الفيصل

مجلة ثقافية شهرية العدد (٢١٩) - رمضان ١٤١٥ هـ - فبراير ١٩٩٥ م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (219) FEB. 1995

دليل الصائم والمائدة الرمضانية

د. فاروق الباز:
البكاء على العقول المهاجرة لا يفيد

سمات علوم المستقبل





الأنوار لأعمال الأبرار

تأليف يوسف بن إبراهيم الأردبيلي، المتوفى سنة ٧٩٩ هـ.

وهو من أهل أردبيل من بلاد أذربيجان، قال ابن قاضي شهبة في ترجمته: كبير القدر غزير العلم.

وكتابه هذا من كتب الفقه الشافعي المعتبرة والمتداولة، وقد جمع فيه ما تعم به البلوى من المسائل المهمة غير المذكورة في المعتبرات.

وقد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على أهم كتب الفقه الشافعي المتقدمة، مثل الشرح الكبير، والشرح الصغير، والروضة، واللباب، والتعليقة، والحاوي، والمحرر. وقد اهتم العلماء فيما بعد بهذا الكتاب، فكتبوا عليه الشروح والتعليقات. (انظر كشف الظنون ١/١٩٥-١٩٦).

هذه النسخة كتبت في القرن العاشر تقديراً بخط جميل، وعليها بعض التصحيحات والتعليقات في الهوامش.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

إعداد: إبراهيم باجس عبدالمجيد

في العدد القادم:

- الرواية الحديثة والجذور الاسطورية
- عقبات في طريق الاستثمار
- أزمة الازدواج الثقافي

البريد

THE MAIL

الفيصل أعادت ترتيب أوراقي

كنت مسافرًا من صنعاءَ إلى مدينة ذمارَ، وقبل موعد السفر بلحظات عَرّجتَ على إحدى المكتبات لشراء مطبوعة أتسلى بها، وأستعين بها على كسر رتابة الطريق وملل السفر. داخل المكتبة تحت الموزع يسلم صاحب المكتبة آخر عدد من «الفيصل»... وبصراحة كانت تلك أول مرة أرى فيها «الفيصل»، وبدافع من الفضول اشتريت نسخة.، وعدت مسرعًا إلى حيث كانت الحافلة تتأهب لبدء الرحلة، وبمجرد أن أستويت على مقعدي بدأت أتصفح العدد، ولشدة ما اندهشت لمحتوياته، صدقوني لم أشعر بزمن الرحلة، بل أحسست أن الحافلة تجاوزت المحطات، ووصلت ذمار في زمن قصير لم أعهده من قبل.

حقيقة إن مضمون «الفيصل» قد تَمَلّكَني بحلاوته وطلاوته ومتعته الفكرية..، وقد استغربت كثيرًا أنني لم أتعرف هذه «الذروة الثقافية» من قبل، فأين المجلات المنتشرة من هذه الوجبة الثقافية الدسمة «غير المتخمة»؟. باختصار لايمكنني أن أصف ما حدث من تحول في حياتي بعد تلك الحادثة إلا بأنه «قنبلة فكرية» انفجرت، وأعادت ترتيب حياتي وتحديد اهتماماتي الثقافية.. ومنذ ذلك اليوم وأنا أحرص على اقتناء «الفيصل» وأحتفظ بكل الأعداد كمراجع، كانت تلك بدايتي مع «الفيصل»..

أحمد علي الوريث
صنعاء ـ اليمن

شباب الفيصل

اقترح أن تتبنّى «الفيصل» مشروعا ثقافيا لاجتذاب أعداد أكبر من فئة الشباب، وفي الوقت نفسه تساهم في توسيع تجارب الشباب، وتثري ثقافتهم المهنية.. ولذلك فإنني أعرض أن تبادروا بنشر سلسلة كتيبات تابعة للفيصل، ربما تسمى «شباب الفيصل» أو أي مسمى آخر مناسبًا، والمهم أن تشتمل هذه الكتيبات الدورية «سواء شهرية أو سنوية أو ربع سنوية»، على أسس التعريف بشتى الحرف وكيفية ممارستها، وتبسيط مفاهيمها.. ومن هذه الحرف ـ مثلا ـ صناعة الخزف، ودباغة الجلود،. وتجليد الكتب، تربية الخيل، صناعة الحلي، زراعة النباتات العطرية وغيرها. من شأن هذه الكتيبات أو الملاحق التي لاتتجاوز بضع أوراق، أن تحبب العمل اليدوي إلى الشباب، وتنمي مداركهم.

عبد الهادي شلوس
حي الفرسان ـ جيجل ـ الجزائر

الشيخ ابن عقيل

أتابع باهتمام مايكتبه الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في بابه «صداع العقول» ورغم إعجابي بالحس النقدي المتميز الذي يتّسم به، إلا أنني أرى أن الجدل الفلسفي الذي يثيره يعد ترفًا في زمن يتصدع فيه العقل العربي بقضايا ومشكلات حياتية تستحق أن تدرس وتناقش بعناية، وفي اعتقادي أن هذه الدراسة والمناقشة تحتاج لأقلام تملك حسا نقديًا مرهفًا، وبما أن الشيخ أبو عبد الرحمن الظاهري قد حباه الله بهذه الملكة، فإنني أرى أن من الأجدر أن يوجهها لنقد الواقع الذي نعيشه والذي يسبب صداعًا لعقولنا.

نبيل جاسم
الدوحة ـ قطر

لا لثقافة السندويتش؟

لايخفى على المهتمين بالثقافة والصحافة أن الساحة العربية تفتقر إلى مطبوعات عربية راسخة تخدم الثقافة والفكر كما ينبغي، ونستطيع القول صراحة وإنصافًا إن "الفيصل" مجلة رائدة، وتأتي في صدارة المجلات العربية، وإن ما حدا بنا لقراءة "الفيصل" ومتابعتها باستمرار لدرجة لايفوتنا منها عدد، وتفضيلها على كثير من المجلات الأخرى، هو جزالة مواضيعها وعمق مباحثها، وقدرة كتابها على الجمع والإبداع، ولا عجب في ذلك إذ إنها تستقطب أقلام النخبة من الكتاب والأدباء والمثقفين.

إن "الفيصل" مجلة الصفوة من المثقفين العرب والمسلمين وقد عهدناها، ومازلنا، صرحاً علميا شامخًا وينبوعا للمعرفة ننهل منه العلوم والثقافة، وهي ليست كالمجلات الأخرى السطحية التي لاتروي غليلا ولاتشفي عليلا، بل هي ذات فكر وثقافة قامت على أسس وضوابط تمخضت عن تنظير مجددًا. لذا نأمل من مجلتنا أن تنأى عن ثقافة السندويتش، لأن في المجلات الأخرى متسع لكل الراغبين في ذلك. إذ لاداعي لإرهاق المجلة بمساحات أخرى كالأسرة أو ما يسمى بركن الأسرة التي يدعو لايجادها بعض الأخوة القراء من خلال زاوية البريد . فهذه المجلة هي مجلة الخواص من المثقفين، وهي التي يجدون فيها حاجتهم وبغيتهم. نريدها أن تبقى دائما متميزة ورائدة بكتابها وثقافتها وموضوعاتها العميقة، بقوتها وحيويتها وفخامتها.

هشام بن ناصر بن زرعة
المبرز ـ الأحساء

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة

البحث..



تعتقد كثير من دول ما يسمى بالعالم الثالث أن نقل التقنية في صورتها النهائية يُمثّل حلاً مثالياً لمشكلات الفقر والتخلف التي تعاني منها، وسبيلاً ضرورياً لتضييق الفوارق الحضارية بينها وبين الدول المتقدمة المالكة لهذه التقنية، ومن ثم تعمد إلى رصد مبالغ طائلة من دخلها الضئيل من أجل تحقيق هذا الهدف، في الوقت الذي تهمل فيه هذه الدول البحث العلمي بشقيه الأساسي (BASIC RESEARCH) والتطبيقي (APPLIED RESEARCH) إهمالاً كبيراً وواضحاً، تنبئ عنه ضآلة مخصصات الإنفاق عليه، وغياب خطة واعية ترسم أولويات البحث وأساليبه، وتستغل القدرات الفكرية عبر شقي البحث العلمي المذكورين الذين يؤثر كل منهما في الآخر في دائرة مستمرة الحركة والتفاعل، بما يؤدي إلى بناء المجتمع ومواجهة مشكلاته بالحلول العملية التي تأخذ في حسبانها خصوصية المجتمع وتفرّد مقوماته. ومن مظاهر قلة الاهتمام بالبحث العلمي كذلك ضعف إعداد الطاقات البشرية الوطنية المدربة والقادرة على فهم تقنيات العصر والتعامل معها من أجل استنباتها أو على الأقل استيعابها بغية تحقيق استعمال أمثل لها، يقلل أخطاءها، وتضمحلّ معه آثارها السلبية في الحياة الاجتماعية والثقافية.

وينطبق هذا الواقع المرير ـ المتجسد في وضع حلول غير جذرية لمشكلة التخلف ـ على عالمنا العربي والإسلامي، الذي تتبع كثير من بلدانه أسلوب النقل من الآخرين دون توفير الأسس والمرتكزات العلمية التي تتيح لها توطين تلك التقنية المنقولة، حتى تصبح جزءاً أصيلاً من نسيجها الفكري والثقافي.

وتوضح الإحصاءات والأرقام أن الدول العربية تحتل المرتبة الأولى على مستوى العالم في تدني مستوى الإنفاق على البحث العلمي وتطويره، إذ لاتتجاوز مخصصاتها لأغراض البحث العلمي ٢٤ر٪ من الدخل الإجمالي لها، بينما تصل هذه النسبة في الدول النامية الأخرى إلى ٤٥ر٪، في حين ترتفع النسبة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أكثر من ٢ر٣٣٪ من الدخل القومي، وتؤكد الأرقام كذلك أن الدول العربية اقترضت ما لايقل عن ١٤٠ مليار دولار في عقد الثمانينيات، مما يشير إلى أن التقنية المنقولة لم تُحسّن أوضاعها الاقتصادية، ولم تؤد إلى رأب الصدع الحضاري بينها وبين الدول المتقدمة، وإنما تدهورت الأوضاع إلى حد استفحلت فيه الاتكالية والاعتماد على الآخرين بشكل أوقفنا حتّى عن التفكير. ولعل هذا الموقف يكون حافزا يوجب علينا نظرة موضوعية متعمقة تدرس أسباب التدهور، وتضع السبل والوسائل الكفيلة بتحقيق الطموحات وفق منظور علمي، يقيم وزنا لحقائق الواقع ومعطياته، دون إهمال تجارب الماضي ودروسه، أملا في مستقبل أفضل يزرع الثقة في النفس والاعتماد عليها.

وتشير تجارب الأمم ونتائج الدورات الحضارية إلى أن ارتقاء سبل التقدم يقوم على أسس وركائز ثابتة، تتجسد في ضرورة الاستقراء العميق للماضي بكل زخمه وتفاعلاته، من أجل الوقوف على المسالك والدروب التي سارت فيها أمم كثيرة ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية، ومعرفة الوسائل التي أتاحت لها الاضطلاع بهذه المسؤوليات، إلى جانب فهم أسباب تضعضع هذه الأمة أو تلك، وأفول نجمها وتراجعها عن مركز الصدارة مفسحة المجال لأمة أخرى.

ومما لاشك فيه أن هذا الاستقراء العميق للماضي يقود إلى إدراك واعٍ للذات، من خلال دراسة الأطوار الحضارية التي مرت بها الأمة، وتعرّف موقفها بين الأمم في كل طور من هذه الأطوار، من أجل الإفادة من الجوانب الإيجابية المضيئة، وتلافي مافي دورتها الحياتية من السلبيات وأسباب الإخفاق والفشل.

ولايعوزنا في هذا المجال النموذج والمثل الذي علينا الاقتداء به، والسير على نهجه، فتاريخ الحضارة الإسلامية ليس عنا ببعيد، وهو زاخر بالعبر والدروس التي تصلح أساساً متيناً للانطلاق نحو بناء حضارة تملك أسباب التقدم والرقي. إذ إن هذه الحضارة بنيت على أسس ومقومات ثابتة تصلح لكل زمان، دون أن يعتورها القدم أو يتجاوزها الزمان، أو يحول دون الأخذ بها اختلاف البيئات أو تباين المجتمعات. فقد ارتكز فيها العلم على الإيمان، حيث أوجدت هذه الحضارة ـ انطلاقا من تعاليم الدين ـ للعلم سياجاً من القيم يحميه من الانحراف، أو الانجراف مع تيار الأنانية والمادية الذي لايعترف إلا بحسابات الخسارة والربح، ولاتعرف قواميسه معاني القيم والأخلاق. وهذا ـ لاشك ـ ما آلت إليه الحضارة الغربية اليوم، مما حمل عقلاءها على التحذير من مغبة الانغماس في تيار المادية، الذي ينذر بانزوائها وفنائها. ويتأسس تحذيرهم هذا على فهم عميق لمسار الحضارات، بدايةً من مرحلة الانطلاق والنهوض، وانتهاءً بمرحلة الذبول والفناء.

والتأمل العميق لمسار الحضارة الغربية في مرحلة الانطلاق يوضح أنها نشأت وتأسست على إنجازات الحضارة الإسلامية وعطاءاتها في مجالات الحياة كافة، إذ تكفل المسلمون بحفظ التراث الإنساني من الضياع، حين راحت أوربا في سبات عميق، وغشيها ظلام القرون الوسطى، ودياجير الخرافات، مما هدد التراث الحضاري الإنساني بالاندثار، بسبب مامارسه رجال الكنيسة من تعنت وقهر على العلماء، واتهامهم بالزندقة والكفر كلما أتوا بنظريات تخالف تصوراتهم، الأمر الذي أدى إلى كبت الفكر وتكبيل الحركة العلمية وإشاعة روح سلبية متشبعة بأوهام الدجل والشعوذة، كما أن الحضارة الإسلامية أفادت أيضاً من نتاج الحضارات الأخرى، وإسهاماتها في المجالات المختلفة، وفق منظور أصيل مستمد من ثوابتها وقيمها، مما كان له الأثر في وضوح سمتها، وتميز عطائها بين غيرها من الحضارات. وهذان المثالان يؤكدان أن التفاعل الواعي ـ بعد معرفة الذات والتوكيد على مقوماتها ـ يعد الأساس لضمان انطلاق حضاري قوي، يصل إلى غاياته وأهدافه المرجوة، ويؤدي إلى إقامة حضارة راسخة الأصول، وثابتة المرتكزات، وواضحة السمات والصفات، بينما من المحال أن يكون النقل القسري لنتاج الآخرين، والتقليد الأعمى لهم أساساً يعتد به في إقامة كيان حضاري له ذاتيته وهويته.

وفي إطار التفاعل الحضاري بين الأمم، فإن شواهد التاريخ تؤكد أن علماء المسلمين هم الذين أسسوا مناهج البحث العلمي، وحددوا طرائقه وأدواته، ووصفوا أساليبه، وكانت هذه المناهج والأساليب وراء التقدم الحضاري الذي أحرزته أوربا، حين أقتبستها من الحضارة الإسلامية، ووضعتها موضع التطبيق. وتقول في ذلك المستشرقة زيجريد هونكة: «لقد قدم العرب أثمن هدية، وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب الأوربي طريقه لمعرفة أسرار

والتحدي الحضاري

الطبيعة، وتسلطه عليها اليوم».

فقد أدى ظهور الإسلام إلى انتظام حركة علمية في كل مكان أشرق فيه نوره، وكان منشأ هذه الحركة العلمية حول العلوم الإسلامية، إذ اقتضى نمو الدولة الإسلامية وتعقد الحياة الاجتماعية ضرورة استنباط الأحكام من أصولها، وتعرف حكم الشرع الحنيف في الحالات والمواقف المستجدة، فازدهرت علوم الفقه والتفسير والحديث واللغة والنحو والعروض وغيرها، كما هيأ الإسلام العقول للبحث والتنقيب، حين أكد أن كل مافي الكون من مظاهر الحياة مسخر لخدمة الإنسان، مما يوجب عليه التفكر والتدبر في خلق السماوات والأرض، ليزداد رسوخ إيمانه، وليصل إلى الوسائل التي ينظم بها حياته مستغلاً مافي الوجود من خيرات أتاحها الله له، وأفضى ذلك إلى بروز المنهج العلمي التجريبي على يد عدد من علماء المسلمين الذين رأوا أن منهج التفكر والتأمل الذي نادى به علماء اليونان لايكفي للوصول إلى استنتاجات علمية صحيحة؛ لأن التجريب -في رأيهم- يعد المحك الرئيس لاختبار مدى صحة الفروض النظرية. ومن المعلوم أن علماء اليونان كأرسطو وأفلاطون كانوا يؤكدون أن الحقيقة هي ما يتوصل إليه العقل المجرد، دون الاستعانة بالحواس التي تفسد عمل العقل- حسب منظورهم-. وكان كثير منهم يحتقرون العمل اليدوي، ويرون أنه لايليق بالعلماء، ومن ثم امتلأت تآليفهم بالفروض والتحليلات الفكرية الغامضة، وذلك مارفضه العلماء المسلمون الذين دعوا إلى عدم الاكتفاء بالنظريات، وأكدوا ضرورة الاعتماد على التجربة والبرهان الحسي لقبولها أو رفضها. ويعد جابر بن حيان من أوائل العلماء الذين اضطلعوا بوضع المنهج العلمي التجريبي، وضم كتابه «الخواص الكبير» أسس هذا المنهج، إذ يقول: «ويجب أن تعلم أنا نذكر في هذه الكتب خواص مارأيناه فقط دون ماسمعناه أو قيل لنا وقرأناه، بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح أوردناه، ومابطل رفضناه، وماااستخرجناه نحن أيضاً وقايسناه على هؤلاء القوم».

وقد استعمل ابن حيان عدداً من المصطلحات المنهجية التجريبية مثل الحدس (الفرض)، التجربة، الدربة، الامتحان، قياس الغائب على الشاهد، العادة (الاطراد)، الإقناع والبرهان، وغيرها. كما بيّن الحسن بن الهيثم، في كتابه «المناظر» أصول المنهج الاستقرائي الذي كان يتبعه في تجاربه، بينما كان الطبيب المسلم أبو بكر الرازي يجرب العقاقير على الحيوان قبل استعمالها للمرضى، بل إنه كان يجرب العلاج على نصف المرضى فقط، ليرى أثره قبل تعميمه على المرضى جميعهم، وهو يحذر من الأدوية الغربية فيقول: «لا تلتفتن إلى الأدوية الغريبة والمجهولة ما أمكنك، إلا أن يصبح عندك أمر أقوى بالتجربة والمشاهدة»، وكذلك قال الرازي بخطأ مذهب إقليدس وجالينوس في الرؤية البصرية، وأثبت أن الرؤية تحصل بوصول الضوء من الشيء المرئي إلى العين، ويعد ابن زهر أول من قام بتشريح الموتى في تجاربه العلمية، كما برهن عبداللطيف البغدادي أن الفك الأسفل في الإنسان يتكون من عظم واحد، وليس من عظمين كما قال جالينوس، ولايتسع المجال هنا لإيراد إسهامات علماء آخرين، وذكر ماحققوه من سبق في المجال العلمي، وإنما أردنا توكيد أن العلماء المسلمين لم يرضوا بالتبعية لغيرهم، وإنما عكفوا على دراسة النظريات والقواعد العلمية التي وضعها الآخرون واختبروها، وتأكدوا من صحة بعضها، وعَدَّلوا مايحتاج منها إلى تعديل، وأبدعوا نظريات أخرى، وأثبتوا صحتها بالتجارب المعملية.

ولم يكتف العلماء المسلمون بذلك، بل حددوا أخلاقيات البحث العلمي، ونادوا بضرورة احترامها، وأكدوا أن اختلاف وجهات النظر لايعني الانتقاص من جهد الآخرين، وأن الأمانة العلمية تقتضي ذكر مصادر البحث ونسبة النصوص إلى أصحابها دون تحريف، كما حتّموا على العالم الالتزام بالموضوعية والحيدة والنزاهة وعدم اتباع الهوى.

ومما لاشك فيه أن لجوء بعض دول العالم العربي والإسلامي إلى نقل التقنية الجاهزة دون توفير الأجواء العلمية الملائمة لاحتوائها وتوطينها، يمثل تغييباً لهذه التجربة الحضارية الإسلامية التي قامت على أساس الاعتداد بالذات، ووضوح الهوية، والتفاعل الحضاري الواعي مع العطاء الإنساني في مجالات الحياة كافة، وصوغه صوغا إسلاميا مبرأ من كل شائبة.

ولقد كان من المأمول أن تهيئ الجامعات والمراكز البحثية البيئة العلمية القادرة على استيعاب تقنيات العصر، وفق منظور علمي واضح، يستصحب التراث الحضاري للأمة، ويأخذ في الحسبان مستجدات العصر ومقتضيات التطور، إلا أن كثيراً من الجامعات والمراكز البحثية تحكمت فيها البيروقراطية الإدارية، وحال ضعف مخصصاتها المادية دون أن تقوم بدورها، وانصرف أساتذة الجامعات إلى التدريس دون البحث، لقلة عددهم بالنسبة إلى عدد الطلاب، وغاب دور القطاع الخاص تماماً في تمويل البحوث العلمية الجادة ، في حين أن الإحصاءات في عام ١٩٧٥م توضح أن الولايات المتحدة الأمريكية أنفقت أكثر من ٣٤ مليار دولار على البحث العلمي، كان نصيب الشركات الكبرى منها ما معدله ٤٧٪، وجاءت معظم البحوث في عالمنا الإسلامي غير ملامسة للهموم الرئيسة للأمة، نظرا لغياب المعايير الموضوعية الدقيقة لترتيب قائمة الأولويات.

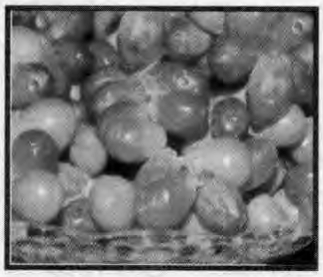
بل إن الثروات الطبيعية من مياه وأنهار وأشجار وتربة زراعية صالحة وغيرها التي حبا الله بها عالمنا الإسلامي تتعرض للإهمال وإساءة الاستخدام وفقدان التخطيط السليم لاستغلالها والمحافظة عليها، رغم أنها لاتحتاج إلى عناء كبير في توظيفها لتحقيق التقدم والرقي الذي نسعى له، وفي الوقت ذاته نبدي إعجابنا الشديد - الذي يصل إلى حدّ الانبهار - بما وصل إليه الغرب من تقدم وحسن تخطيط واستغلال أمثل لثرواته، وتنظيم مسبق لكل طارئ، الأمر الذي يبدو جليا في أوقات الأزمات والكوارث التي يواجهها بقدرة وفاعلية، في حين أن أيّ مشكلة طارئة تسبب لنا الإرباك والفوضى، ممايضطرنا إلى الاستعانة بما لدى الآخرين من خبرات.

وفي حين أنّ عالمنا الإسلامي يزخر بالثروات التي تحتاج إلى بحوث جادة لاكتشافها واستثمارها فإن جامعاتنا ومراكزنا البحثية تتخلف وتتقهقر عن أداء دورها في حلّ المشكلات البيئية التي تهدد هذه الثروات، الأمر الذي يوضح أن هذه الجامعات والمراكز تجسيد لأسلوب النقل غير المقنن، إذ لم يُستفد من معظم أبحاثها ودراساتها، التي احتلت أماكنها في الرفوف. وكان من نتائج تردي أوضاع البحث العلمي في عالمنا العربي والإسلامي هجرة العقول العربية الإسلامية المؤهلة إلى دول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية التي تمارس ما يعرف بصيد العقول (BRAIN HUNTING)، مما يشكل إهداراً للأموال التي صُرفت على إعداد هذه العقول وتأهيلها، وفي الوقت نفسه إضافة للرصيد البشري لدى تلك المجتمعات التي تحتفي بالعلم والعلماء، وتتيح لهم الظروف الملائمة والبيئة الحقة للبحث العلمي المثمر وتحقيق الذات.

إن هذه الحقائق المريرة تدعونا إلى التساؤل: إلى أين نحن سائرون، ولم يبق بيننا وبين القرن الحادي والعشرين سوى سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة؟

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

صحتك النفسية والجسدية في رمضان



«المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء» أثر يوضح العلاقة الوثيقة بين صحة الجهاز الهضمي والصوم، لذا فإن كثيرا من الأطباء يوصون بالصوم، ليستعيد الإنسان صحته وحيويته. وقد أكرمنا الله بشهر رمضان فجعله شهرا للصوم والعبادة. ولكن هناك - للأسف - من ينزعون الى ملء الموائد في هذا الشهر المعظم بما لذّ وطاب من المأكولات والمشروبات، فيفقدون بذلك فرصة ذهبية لتحقيق الصحة النفسية والجسدية. عن القيمة الغذائية للتمر وبعض الأطعمة الأخرى، وعن الأخطاء الغذائية الشائعة في موائد رمضان اقرأ

ص ٥٨

استانبول: أصالة رغم رياح التغيير!



استانبول حاضرة الخلافة الإسلامية، وعاصمة الإمبراطورية العثمانية هبت عليها رياح التغيير في هذا القرن، حتى اعتقد كثيرون أنها أصبحت مدينة غربية مظهراً وجوهراً، ولكن من يزورها ويراها عن قرب يشعر أن روح المدينة الإسلامية لم تفارقها أبداً، على الرغم من كثافة الوجود الأوربي والمظاهر الأوربية التي تبدو لأول وهلة .

ص ٨

السنا: العقار الكنز



السّنا هو الضوء، فيقال: سنا البرق، والسّنا كذلك هو ذلك النبت الذي اكتشف الأطباء العرب الأوائل فوائده العلاجية قبل أن يُصنف ضمن العقاقير المعتمدة للعلاج في العصر الحديث.
والسّنا هذه الشجيرة الصغيرة ذات الخصائص العلاجية الكثيرة، تنطوي على دلالات الضوء، لأنه على تعدد مشتقاته واستخداماته الطبية لاتزال تكتنز أسراراً طبية، لم يكتشفها علماء الصيدلة بعد.

ص ١٥

أدب وفكر

في رحاب رمضان

تعليم

بيئة

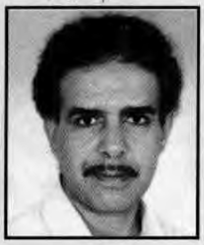
طب وعلوم

تراث وتاريخ

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

من كتاب العدد



جاسم العبودي

من مواليد ١٩٤٩م، أسباني الجنسية من أصل عربي.
- حاصل على الدكتوراه في فقه اللغة العربية، جامعة كومبلوتنسي، مدريد.
- عمل مترجمًا في جامعة غرناطة ووكالة الأنباء الأسبانية الرسمية.
- يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة كومبلوتنسي، ومدرسًا للغة العربية في مدرسة أم القرى التابعة للمركز الثقافي الإسلامي في مدريد، ومحاضرًا في جامعة سيراكوسو الأمريكية.
- شارك في الندوة العالمية حول الأندلس التي نظمتها مكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض ١٩٩٣م.
- **من أهم مؤلفاته:** «الربعي: مسرح الأفكار»، «الإدريسي: مسالك الأندلس»، وله مقالات عديدة منشورة في الدوريات المختلفة.



وفيق صفوت مختار

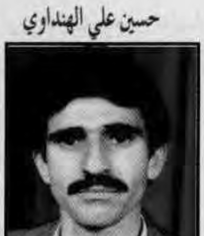
- من مواليد طهطا، سوهاج، مصر١٩٥٨م.
- حاصل على ليسانس الآداب، قسم تاريخ، جامعة أسيوط ١٩٨٠م، وحاصل على دبلوم الدراسات العليا في التربية وعلم النفس ١٩٨٤م، جامعة سوهاج.
- عمل بالتدريس في المرحلة الإعدادية، ويعمل حاليا بالتدريس في معاهد المعلمين والمعلمات.
- من مؤلفاته: «حينما تبكي السماء»، (ديوان شعر)، وله تحت الطبع «عمالقة في ذاكرة التاريخ»، «الطفل بين حاجاته ومشكلاته النفسية (السيكولوجية)»، و«ثمار الحكمة»، و«الحائط والسكون الهش» (مجموعة قصصية)، إضافة إلى العديد من المقالات المنشورة في المجلات المحلية والعربية.



طارق عبدالفتاح شديد

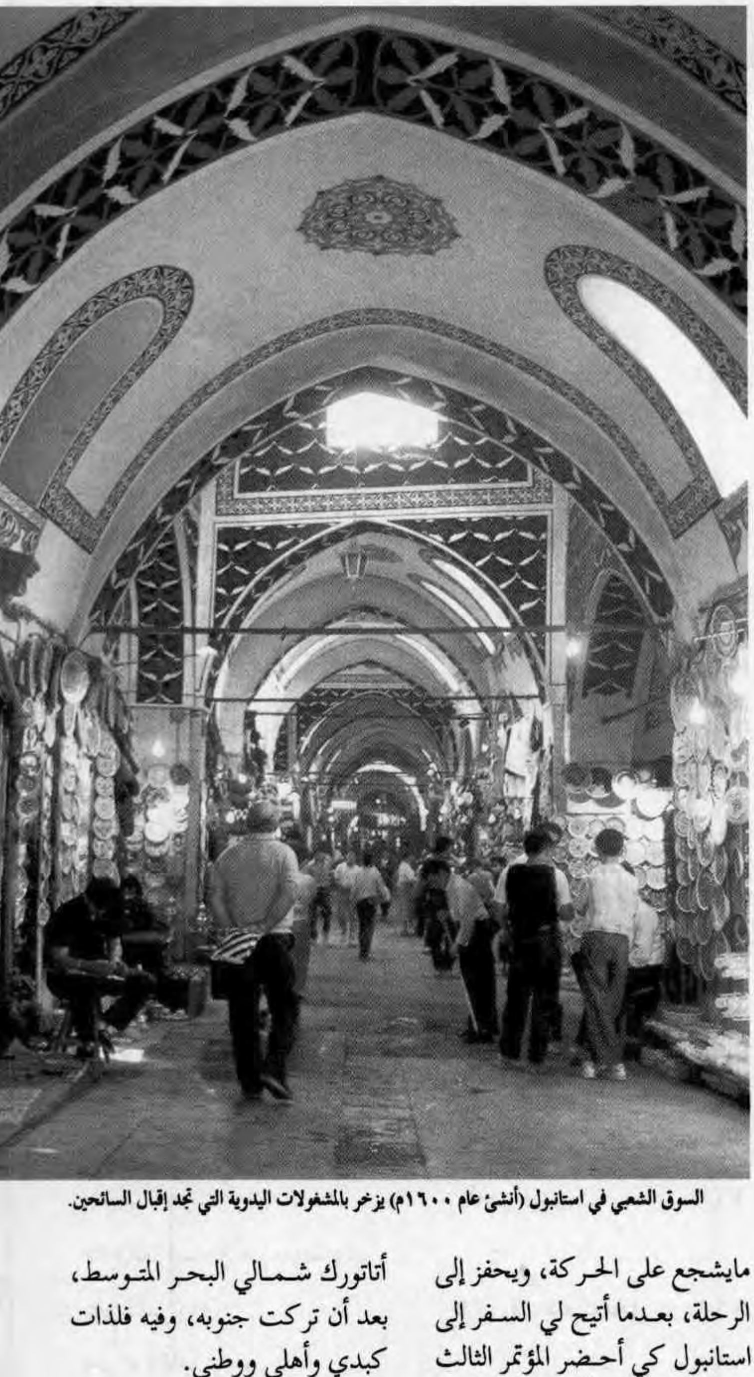
- من مواليد القليوبية، مصر ١٩٦٤م.
- حاصل على ليسانس آداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عين شمس.
- يعد لنيل درجة الماجستير في النقد الأدبي.
- عمل في مجال التربية والتعليم.
- يعمل حاليا صحافيا بجريدة «الشرق الأوسط»، مكتب القاهرة.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

من أهم مؤلفاته: «المذهبية الإسلامية في أدب نجيب الكيلاني»، «د. حسن فتح الباب: حياته وشعره»، «تناغم» (مجموعة قصصية)، «يوميات الشبل ياسر» (قصص للأطفال)، وله مقالات وأعمال أدبيه منشورة في الصحف والمجلات العربية.



حسين علي الهنداوي

- شاعر وأديب سوري
- خريج قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، ١٩٨١م.
- محاضر في معهد إعداد المدرسين بدرعا.
- من مؤلفاته: «معجم أعلام القرآن»، «الوجوه الإعرابية في القراءات القرآنية»، «الشخصية المسلمة»، «محاور الدراسة الأدبية»، «أدب المراهقين: خصائص وأبعاد»، «في النقد والأدب»، «شجرة التوت» (مجموعة قصصية)، «هنا كان صوتي وعيناك يلتقيان» (ديوان)، «أغنيات على أطلال الزمن المقهور»، وغيرها.



السوق الشعبي في استانبول (أنشئ عام ١٦٠٠م) يزخر بالمشغولات اليدوية التي تجد إقبال السائحين.

عابر سبيل: زِيارة إلى استانبول

د. حلمي محمد القاعود

كنا في زمن الصبا والشباب نحفظ بيتا من الشعر يقول :

سافرْ تجدْ عوضًا عمّن تفارقُهُ
وانصَبْ فإن لذيذ العيش في النَّصَبِ

وبالنسبة لي، فقد كنت آخذ البيت على معناه الأصلي، أتشوّق للسفر، ولكني لا أجد الراحلة والزّاد، وأتعبُ لأن التعب قدرٌ لامفر منه لمن أراد الحياة.. بمعنى الحياة..

لذا لم أبرح مصر إلاّ إلى المملكة العربية السعودية حاجًا أو معلّمًا، ومع أشواقي الدفينة للرحلة والاطلاع على ملامح العالم الخارجي، فقد انصعت لفكرة التعرّف على هذه الملامح من خلال القراءة والكتب، حتى بعد أن توفرت إمكانات السفر والرحيل، ولعلي كنتُ متأثرًا بالأستاذ «العقاد» حين قرأت له - ذات يوم - تعليلاً لعدم سفره إلى دول العالم (باستثناء فلسطين والسودان، وربما الحجاز)، فقال: إنه يلف العالم كله من خلال الكتب.

ولعلي أغير من انصياعي واستسلامي؛ لأنطلق إلى رحاب أوسع وأكبر، فيها من غير المألوف مايشجع على الحركة، ويحفز إلى الرحلة، بعدما أتيح لي السفر إلى استانبول كي أحضر المؤتمر الثالث لهيئة رابطة الأدب الإسلامي العالمية. والفضل في ذلك يرجع إلى الله ثم إلى الأصدقاء والزملاء الذين شجعوني، وألحّوا كي أسافر وأشارك، وقاموا بتسهيل إجراءات السفر. في وقت حَرِج، كنت فيه أقضي مرحلة نقاهة تقتضي وقتًا طويلاً، ولكني تشجعتُ وسافرتُ، وهبطت في مطار استانبول الدولي المسمى مطار أتاتورك شمالي البحر المتوسط، بعد أن تركت جنوبه، وفيه فلذات كبدي وأهلي ووطني.

استانبول في الوجدان الإسلامي رمز كبير لوحدة الأمة الإسلامية وعظمتها وعزّتها، تحت رايتها شهد الإسلام أمجاداً كبرى، واقتحم قلب أوربا، وردّ على هزيمة المسلمين في الأندلس، وكانت استانبول، وبخاصة في عهد الخلفاء الأوائل العظام، قبلة حكام العالم، يسترضونها ويطلبون ودّها، ويسألونها العفو، وظلّت تذود عن



الجامع الأزرق من
أهم معالم استانبول
استخدم في بنائه
(٢٠٠٠٠) قطعة
من القرميد الأزرق



حياض الإسلام حتى أتى عليها مايأتي على البشر من تغير وضعف وهوان.. وكان ماكان.. مما سجلته كتب التاريخ، وإن كانت قد حفلت بالكثير من التجني والبهتان نكايةً في المجد الغابر، وتنكيلاً بالعز القديم، وتشويها لدولة إسلامية كانت عظيمةً، وتحذيراً لمسلمي هذا الزمان أن يكرّروا تجربة «استانبول» الظافرة!

ولكن استانبول في وجدان المسلم لاتتأثر بالتجني والبهتان، ولاتتغير بمحاولات التغريب والأوْرَبَة التي فُرضت عليها، بل أكرهتْ عليها إكراهًا، فهي مازالت شامخة بالمآذن والقباب، ومازال صوت الأذان يتردّد في جنباتها الأربعة خمس مرات في اليوم والليلة، ومازالت مساجدها تمتلىء بالمصلين يوم الجمعة، وتكثر فيها حلقات تحفيظ القرآن الكريم، ومازالت مكتباتها العريقة تستقبل الباحثين العرب والمسلمين وغيرهم، تكشف لهم عن مخطوطاتها وذخائرها، ومازالت استانبول الشعب والناس تمثّل الماضي والحاضر والمستقبل، إنتاجًا وتجارة وعلما وزراعة وصناعة وبعثًا جديداً للإسلام على طرف أوربة الشرقي الجنوبي.

بدا مطار استانبول هادئًا نسبيا مع ازدحامه أكثر من مطارات أخرى أعرفها تغص بالمسافرين وضجيجهم؛ وهو ضجيج يميز تلك المطارات، ويدلل على هويتها، ويشعر المرء أحيانًا أنه لايستغني عنه، أو هو بحاجة إليه. لم نقض في جوازات المطار وقتًا طويلاً، فموظفو الجوازات يعملون في صمت ودأب وسرعة وأدب. خرجنا إلى ساحة الحقائب والخروج، وكان علينا أن نستبدل العملة المحلية بعملاتنا أولاً، وهنا اكتشفت أنني أصبحت مليونيراً لأول وآخر مرة في حياتي!!

تساءل الزملاء : هل تغير دولاراً أم ريالاً ؟ نغيّر الدولارات أم الريالات ؟

رأى الجميع أن يغيّر كل واحد منا مائة دولار مبدئيًا .

بعد فترة عاد الزملاء، وفوجئت بأحدهم يقول :

– مبارك عليك ..

فقلت له : خيرا؟!

فقال لي : لقد أصبحت مليونيراً !

ابتسمت، ولم أفهم ماذا يعني، وتطلعت إليه مستفهمًا ، فقال:

– لقد أصبحت مليونيراً، ومعك الآن مليون ومائة وستون ألفاً. وناولني أوراقًا مالية تأملتها، وعرفت أنها ليرات تركية، وأطلقت ضحكة

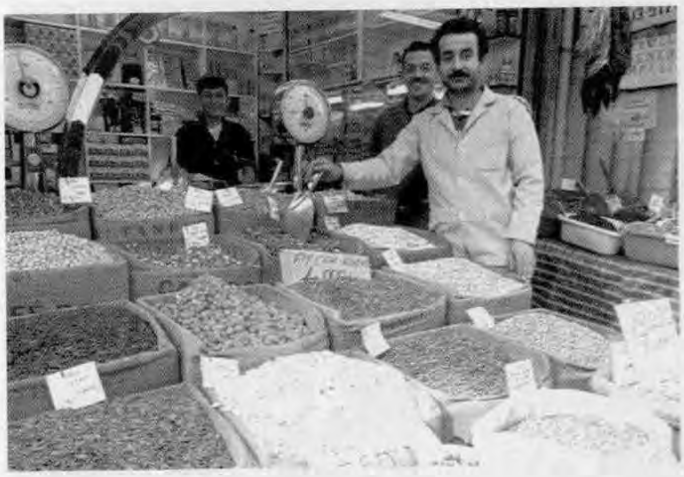


→ إحدى قلاع استانبول المطلة على مضيق البوسفور



خنجر لأحد السلاطين العثمانيين (من مقتنيات المتحف الإسلامي)

محلات العطارة المنتشرة في استانبول تنبئ عن انتماء تركيا للشرق



لاإرادية شاركني فيها رفاق الرحلة؛ حين عرفنا أن العملة في تركيا، وفي كثير من بلاد المسلمين وصلت إلى الحضيض، بسبب الديون المتراكمة عليها لدول الغرب. كان ضحكنا تعبيراً عن نوع من البكاء الذي يوجع القلب، وكأن بداية الرحلة، وكأن استانبول بأكملها مناسبة غير عادية لتقليب المواجع والفواجع في هذا الزمان!

تساءلنا: كيف سنصرف المبلغ؟ وإلى أي مدى يفي باحتياجاتنا؟ عرفنا فيما بعد أن الألف ليرة تركية قبل سنوات قليلة كانت ذات وزن اقتصادي إلى حد ما، ولكنها الآن لابد أن تتضاعف خمس مرات لتشتري بها صحيفة يومية! وتتضاعفُ سبع مرات ثمنًا لعلبة بيبسي تشربها في الشارع. أما في الفندق فلابدَّ أن يتضاعفَ السعر اثنتي عشرة مرة!

لأعرف إن كان صندوق النقد الدولي له حضور في تركيا أم لا؟ ولكن الأمور تتجه (من خلال متابعتنا لسعر الدولار) إلى مستوى آخر من الغلاء، ولم يكن للأتراك به عهد، مع أن بلدهم من أغنى البلاد، وأغزرها إنتاجا في المجالين الزراعي والصناعي، فضلاً عن التجارة والسياحة.. ولكنه قدر المسلمين في كثير من البلاد.

خرجنا من مطار استانبول لنستقل السيارات إلى الفندق.. استقبلنا شاب تركي مهذب، ولاحظت أن سيارات الأجرة موجودة بوفرة، وتتحرك بالدور، وفي هدوء، دون أن يشدّك هذا السائق أو يجذبك ذاك المنادي.. والعدّاد هو الفيصل في الأجرة، وإن كان من الممكن أحيانًا أن تساوم، وتصل إلى سعر أقل من سعر العدّاد.

المسافة بين المطار وقلب المدينة (محلة لاله لي) أو (بايزيد) أو (البازار) طويلة جدا، ولكن السيارة تقطعها في ثلثي ساعة تقريبًا. السرعة رهيبة تتجاوز المائة والثلاثين كيلومترا، في طرق واسعة ومنظمة ومنسابة، يساعد على انسيابها شبكة من الأنفاق والجسور تتيح للجميع الحركة بطلاقه وسرعة أيضا.

عندما اقتربنا من قلب المدينة شاهدت البحر يحيطها، وقد حوّل الأتراك شاطئه إلى ساحل «كورنيش» جميل، يحدّ متنزها أخضر وجميلاً، يستمتع به الناس من أهل استانبول والوافدين عليها. ذكرتني استانبول بالإسكندرية وشطها وشوارعها وبيوتها و«ترامها» العتيق.. إنه البحر الذي يصنع بيئته فيما يبدو.

تستقبل استانبول يوميا - وخاصة في الصيف - آلاف السياح الذين يأتون عبر الجو والبر والبحر، معظمهم من أوربا الغربية، كما يفد إليها أعدادٌ ضخمة من دول أوربة الشرقية التي كانت ضمن الإطار الشيوعي، وهؤلاء لايأتون بقصد السياحة أساساً، وإنما يأتون بغرض التجارة أولاً، وشراء المنسوجات التركية الشعبية التي تعد رخيصة نوعًا ما بالنسبة لشعوبهم. ويوميًا تشاهد السيارات -وخاصة من حجم الميكروباص- وهي تمتلىء بالبضائع المسافرة إلى دول الستار الحديدي. وقد ساعد على تدفق الوافدين إلى استانبول اتصالها البري والبحري بمعظم دول أوْرَبَة هذه، ولقطار الشرق السريع دور مهم في هذا السياق.

الملاحظة التي تسترعي الانتباه، ذلك الحضور المكثف من جانب الشبان الأوربيين من الجنسين واهتمامهم غير العادي بزيارة أيا صوفيا.

كان المتوقع أن يكون كبار السن والعجائز هم الأكثر حضوراً ووجوداً في استانبول، ولكن ماذا يعني وجود الشباب الصغير في السن؟ وبهذه الكثافة اللافتة للأنظار؟

علامة الاستفهام تظل قائمة، ولكن المرء حين يضع في حسبانه مايجري حول استانبول وداخلها من أحداث لايحتاج إلى عناء كثير كي يفهم سر الإلحاح على تغذية وجدان الشباب الأوربي بتاريخ «استانبول» العاصمة القديمة للدولة البيزنطية، ومحل الصراع المكتوم والمعلن بين تركيا واليونان.. إن التطرف الصليبي الذي عبر عن نفسه في البلقان (البوسنة والهرسك، وكوسوفو، وألبانيا..) يجعل الاهتمام باستانبول ذا مغزى أوربي عميق، وبخاصة بعد المطالبة الأوربية الأمريكية بإقامة «فاتيكان

أرثوذوكسي» له صفة الدولة المستقلة على أرض استانبول، والمطالبة بإعادة أيا صوفيا كنيسة كما كانت قبل الفتح الإسلامي لاستانبول.

مع أن المرء يظنُّ أن استانبول قطعة خالصة من أوربا، بحكم مظهرها الخارجي وكثافة الوجود الأوربي ومعالمه، إلا إن الشعب التركي في كثير من قطاعاته، يبدو ذلك الشعب المسلم الطيب الصبور.. صحيح أن حالة الانكسار تظهر في العيون وعلى الوجوه، ولكن طبيعة الشعب هناك تعطيك انطباعًا بأصالته وتدينه الذي لم تنل منه أشرس محاولات اقتلاع الإسلام، وأكثرها إجرامًا في التاريخ الحديث.

إن استانبول التي تضم أكثر من أربعة آلاف مسجد، كما أخبرنا الأستاذ نور الدين، الذي رافقنا في زيارة الآثار الإسلامية، مازالت تحرص على أن تقيم صلاة الجماعة داخل المساجد في أوقاتها الخمسة، ويرتفع صوت المؤذن باللغة العربية، ويرتدي الإمام العمامة والجبة فوق ملابسه الغربية، وهو يؤم المصلين .. صحيح أن الصلاة تؤدى بسرعة ملحوظة وقراءة سريعة وقصيرة، ولكن هذا قد يرجع إلى طبيعة المرحلة الأتاتوركية التي كانت تنظر إلى المتديّن نظرة ارتياب، أو إن الشعب نفسه تتأصل لديه خصيصة السرعة، وبخاصة في أثناء الكلام كما لاحظ ذلك بعض الزملاء.

الشعب التركي نظيف ومنظم، تلمس هذه الحقيقة في الفندق والشارع والمتجر (لم أزر بيتاً تركيًا)، ولكن ماأصاب الشعوب الإسلامية على يد الاستعمار، أصاب الأتراك أيضًا. لقد فعل التغريب فعله، وظهرت آثاره المدمّرة في أكثر من موقع، لكن بقيت جذوة الإسلام مشتعلة في نفوس الكثيرين من أبناء تركيا، وفي تلك الصحوة الإسلامية المباركة التي يقودها شباب مخلص يتعلم الآلاف منهم الآن في الأزهر، وفي كلية الإلهيات، وكلية الأئمة والدعاة، وهي الصحوة الإسلامية المباركة التي تعبر عن نفسها من خلال ثلاثة أحزاب سياسية رسمية، لها برامجها وخططها، وتحظى بالتأييد الشعبي الواضح، ومن خلال قناة تلفازية إسلامية، تبث من خارج البلاد على مدى أربع وعشرين ساعة يوميا، وثلاث صحف إسلامية يومية يطالعها الجمهور التركي باهتمام وإقبال.

إن تركيا دولة علمانية رسميًا ، وعندما كان «تورجوت أوزال » رئيس تركيا السابق -يرحمه الله- يذهب إلى صلاة الجمعة، كانت تقوم قيامة العلمانيين، وكان الرجل يرد بأنه يذهب إلى الصلاة بصفة شخصية وليست رسمية، كان أوزال يدرك حجم المصاعب التي تعترض الإسلام والمسلمين، ولكنه كان يستشعر ذلك المد الإسلامي الكبير الذي يجتاح تركيا، وكان هو نفسه بعضًا من معالمه بانتمائه الضمني إلى تيار العائدين إلى المساجد ولو بصفتهم الشخصية. ومهما يكن من أمر، فإن ملامح الصحوة الإسلامية المباركة تؤذنُ بتحولات كبيرة -إن شاء الله - على المدى البعيد.

مع الانفتاح الكامل والتام على الغرب، والسعي الدؤوب للالتحاق بالسوق الأوربية المشتركة، مع تمتع



قوارب الصيد تملأ شواطيء استانبول الذي يستقبل آلاف الوافدين للسياحة



منظر عام لوسط مدينة استانبول يظهر فيه الجامع الأزرق (أنشئ عام ١٦١٩م)





بائعو الخضروات والفواكه يشغلون الأرصفة



النظافة والجمال سمتان لاستانبول



أوربي مُعلن، فإن الأتراك ذهبوا إلى أبعد مدى في مجال التبعية الإعلامية، ويظهر ذلك جليًا في الصحافة والتلفزة.

فالصحافة هناك مزدهرة، وتصدر بلاقيود مع التزامها الدستور العلماني، ويوجد هناك أكثر من أربعين صحيفة يومية وأسبوعية، بعضها متخصص في الرياضة و(الموضة) والتسلية ونحوها، وللأحزاب صحفها التي تعبر عن برامجها وغاياتها.

على الجانب الآخر، تُوجد ثلاث صحف إسلامية؛ هي : "مليت" و"تركيا" و"الزمان" وتوزيعها كبير، وتكاد تكون الصحف الأولى المفضلة لدى القارىء التركي.

أما التلفاز، فإن الدولة تملك أربع قنوات رسمية، معتدلة إلى حد ما، ولكنها أتاحت ضمنيًا فرصة إنشاء قنوات أهلية تبث من خارج تركيا، وهي في مجملها غير ملتزمة، بل تذيع مادة هابطة، ومتحللة من القيود والأعراف، وبخاصة بعد منتصف الليل، واشتكى كثير من الناس من هذه القنوات، وحاولوا أن يعقدوا مع بعضها اتفاقاً ضمنيًا لتجنح إلى الاعتدال.

وهنا، كانت المحاولة المُجدية والمفيدة، أو الردّ العملي على القنوات المتطرفة المملوكة لليهود، حيث أُنشئت محطة تلفازية إسلامية، لامكان فيها للابتذال أو الانحلال أو العنف، وتخاطب الوجدان الإسلامي في تركيا على مدى أربع وعشرين ساعة يوميا، تقدمُ لهم القرآن الكريم والحديث الشريف والتفسير والسيرة والتاريخ والمسلسلات ذات المضمون الهادف تاريخيا واجتماعيا، والحوادث، والأخبار، وغير ذلك مما يهم المشاهد المسلم في تركيا.

حدثني مرافق فقال : إن معظم الأتراك الآن يفضلون هذه القناة التي تبث من خارج تركيا، وتستمع البيوت التركية إليها باستمرار مما يعني أن الغد التركي - إسلاميًا - سيكون طيبًا بإذنه تعالى، مع وجود كل المصاعب والمصائب التي تترى على الإسلام والمسلمين.

وأعتقد أن تجربة إنشاء قناة تلفازية إسلامية، ستكون نموذجًا فريدًا، يقدم "صورة عملية" لكيفية مقاومة أخطار البث التلفازي الآلي من لدن الآخرين، الذي يرمي إلى تغيير البنية الثقافية للشعوب الإسلامية، وتغريبها، وتحويلها إلى شعوب تابعة - وأقول صورة عملية لأن الصراخ والشكوى وهجاء الآخرين ليس حلاً عمليًا أو مجديًا - فالمجدي والعملي تقديم البديل الفعال والمثمر، كما فعل المسلمون الأتراك.

مدينة استانبول أو الآستانة أو إسلام بول تجمع بين الطابَعَيْن الشرقي والغربي، وقد لعبت الهندسة المعمارية الحديثة، فضلاً عن القديمة دوراً واضحًا في بنائها وتخطيطها، مع أن طبيعتها شبه الجبلية لاتعطيها الانبساط الذي تتمتع به بعض البلدان العربية (تقوم على سبعة تلال)، ويشعر الزائر أن المدينة ممتدة للحركة الطليقة، في أماكنها المرتفعة والمنخفضة على السواء، ويربط استانبول الشرقية باستانبول الغربية مجموعة من الجسور القديمة



والحديثة، ومنها الجسور المُعلقة التي لاتقوم على قوائم خرسانية في قلب الماء كما هي العادة، ولكن تقوم على مجموعة من الأعمدة والروابط العلوية في هندسة رائعة وعجيبة، وأهمها جسر «أوزال» الذي يفخر به الأتراك.

بيوت استانبول على الطراز الغربي من الخارج (على الأقل) تتوّجها الأسطح الآجُرِّية المحدّبة نظرًا لكثرة الأمطار في الشتاء، ومازالت بعض البيوت والمباني القديمة قائمة في مكانها، ولم تجر عليها يد التغيير، وتتميز - كما علمت - بالغرف الفسيحة والصالات الكبيرة والحوائط العريضة والأبواب الضخمة.

لكن مايشد المرء ويبهره، هو الآثار القديمة، بخاصة المساجد التي بنيت منذ عهد «محمد الفاتح» قبل أربعة قرون تقريبًا، ولعل أبرزها مسجد «محمد الفاتح» نفسه، فهو رمز لعظمة البناء وضخامته، ويعتمد المسجد على القباب الكبيرة المزخرفة من الداخل، والنوافذ الزجاجية الملوّنة (من الزجاج المعشّق) المأخوذ من النمط البيزنطي.. وقد لاحظتُ أن مسجد محمد الفاتح يضم طلابًا يشبهون طلاب الأزهر في زيّهم، يحفظون القرآن الكريم، ويدرسون الشريعة، ويوجد في بعض زوايا المسجد طالبات صغيرات محجبات يحفظن القرآن الكريم. ومسجد محمد الفاتح له - إلى جانب قبابه العظيمة- مآذن سامقة تشقّ الفضاء، وتتميز بضمورها واستقامتها حتى طرفها العلوي الذي يأتي في شكل مخروط، قد ينتهي بعضها بهلال مغلق أحيانًا على طراز المساجد العربية.

أما مسجد «أبي أيوب الأنصاري»، فهو أحد المعالم التاريخية والاجتماعية.. كيف؟ إنه يضم رفات الصحابي الجليل «أبي أيوب الأنصاري» (رضي الله عنه)، الذي خرج مع الجيش الإسلامي في عهد «معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) من أجل فتح (القسطنطينية) التي صارت الآستانة فيما بعد، أو إسلامبول أو استانبول كما نعرفها الآن، ويعدُ «أبو أيوب» الفاتح الحقيقي للقسطنطينية في رأي «محمد الفاتح» نفسه، فإن إصراره على الخروج مع جيش الفتح، وهو طاعن في السن، وقتاله الباسل ضد البيزنطيين حتى الشهادة، جعله الفاتح المعنوي الذي افتخر به الفاتح العثماني.

وأهل استانبول - وربما الأتراك جميعًا - يرون في « أبي أيّوب » رمزًا لوحدتهم، وعبقًا من تاريخ المدرسة النبوية الأولى التي كان الصحابة رضوان الله عليهم تلاميذها النجباء.

يضم متحف استانبول الرسمي، مساحة واسعة تحيطها الخضرة والحدائق، ويطل على بحر مرمرة، وتقع خلفه خطوط السكك الحديدية (قطار الشرق السريع) التي تتيح للكثير من أهل أوربة الوصول إلى استانبول بأعداد غفيرة.

والمتحف به أجنحة عديدة تضم مايتعلق بالسلاطين من آل عثمان (ملابس، أدوات طعام، أدوات زينة، سيوف، أوسمة، مذهّبات وزمرد ولؤلؤ وألماس .. الخ) فضلاً عن الغُرف والحجرات التي كان يجلس بها الحكام، بالإضافة إلى جناح خاص يضم الآثار المقدسة المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم من سيوف وأشياء شخصية، وقد يدور حول نسبتها جدل كبير.

والآثار التي يضمها المتحف دليل على قوة سلاطين آل عثمان وعظمتهم وأبهتهم، التي جعلت من دولتهم سيدة العالم في زمانها، وجعلت من استانبول قبلة لكل الدول والحكومات، حتى أتى عليها مايأتي على الناس من ضعف وانكسار، وسبحان من له الدوام.

من الأمور التي أثارت في نفسي مشاعر الغبطة والسرور أمران: أولهما: كان على أرصفة شوارع استانبول، فهذه الأرصفة تمتلىء بعد العصر عادة بالباعة الذين يبيعون شتى السلع والبضائع بدءًا من الملابس الشعبية الرخيصة حتى الفواكه، وفي قلب الزحام رأيت شابًا تركيا ملتحيًا يرتدي ثوبًا أبيض وطاقية بيضاء، وأمامه عربة مدّ فوقها شرائط الكاسيت، وبجوارها مسجّل، ينبعث منه دعاء ختم القرآن الكريم، يتلوه إمام الحرم الشريف في مكة المكرمة آخر رمضان.. كان مفاجأة أسعدتني وسط الطوفان الهادر للباعة الذين يبيعون كل شيء! أحسست أن الجذوة الإسلامية لم تزل، وأن أتاتورك لابد مهزوم في يوم ما، لقد رأيت إرهاصات عديدة بانبعاث الإسلام الظافر وعودة محمد الفاتح من جديد.

الأمر الثاني الذي سرّني هو زيارة غابة «بلجراد» على أطراف استانبول، وهي غابة طبيعية، أشجارها سامقة، وأرضها خضراء، وفي واديها بحيرة عذبة عليها سدّ أقامه أحد السلاطين العظام من آل عثمان، ولعله «محمد الفاتح» نفسه. وقد تدخلت الحكومة بشق الطرق، وتوصيل المياه، وتجهيز المقاعد للزائرين والسائحين من خشب الغابة ذاتها، وبالقرب من البحيرة أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية أمسية شعرية، حضرها رئيس الرابطة سماحة الشيخ «أبو الحسن الندوي»، وقد تبارى الشعراء في الحديث عن آلام الأمة وهمومها بقصائدهم العربية والتركية التي عبّرت عن وحدة المشاعر والأهداف بالرغم من اختلاف الأصول والأجناس.

ساعة أن ودّعت استانبول، أحسست أني أودّع عالمًا مألوفًا، صورته موجودة في أحياء القاهرة، وشاطئ الإسكندرية، وقلعة محمد علي ومسجده والمساجد المحيطة به، وشعرت أن التواصل بين شعوب الأمة يظل قائمًا ولو من خلال خيط رفيع جدًا قد لايراه الناس، ولكنه يربطُ القلوب التي تردّد « لاإله إلا الله ، محمد رسول الله » .

وتبقى استانبول مثيرة للمواجع والفواجع، كما هي ذكرى للزّمن الجميل : زمن الفتح والانتصار .. ولاغالب إلا الله .



السنا عقار عربي الأصل

د. محي الدين لبنية

يقول لسان العرب: السَّنا نبت يُتَداوى به، قال ابن سيده: والسَّنا والسنَّاءُ نبت يُكْتَحَلُ به يمد ويقصر، وأحدثه سناة وسناءة، الأخيرة قياس لاسماع، وقال أبو حنيفة: السنا شجيرة من الأغلاث تخلط بالحناء فتكون شباباً له وتقوي لونه وتسوده ولها حمل أبيض إذا يبس فحركته الريح سمعت له زحلاً، قال حُمَيْد بن ثور:

صوت السنا هبت به عُلوية

هزت أعاليه بسهب مُقفرِ

ويجوز أن يكون السنا: الضوء، يقول مختار الصحاح السّنا: هو أيضاً مقصور ضوء البرق.

تاريخه

منذ القرن التاسع أو العاشر الميلادي استُعمِلَ نبات السَّنا في العلاج ومازال، والأطباء العرب هم الذين أدخلوا استخدام أوراقه وبراعم نباتاته pods في الطب، وكان يُصدر سابقاً مايسمى السَّنا السوداني Su-danese drug من ميناء الإسكندرية لذا أطلق عليه الأوربيون اسم السَّنا الإسكندراني نسبة إليها ثم أصبح يحمل بالبواخر من بورسودان إلى أوربا.

تسمياته

في معظم الدول العربية يعرف العقار بـ سنامكي والسنا وفي مصر سنامكة وبالإنجليزية بـ Senna leaf, Sanna, Sennaside وهناك نوعان رئيسان من نبات السنا يستخدمان طبياً ومعروفان تجارياً هما:

الأول: السنا الإسكندراني أو

السنا الخرطومي Khartoum Senna نسبة إلى مدينة الخرطوم في السودان، واسمه العلمي Cassia Senna (C. acutifolia Delile)

الثاني : السنا الهندي أو سنا تنيفالي Tinnevelly Senna نسبة إلى مدينة في الهند واسمه العلمي: Cassia Angustifolia ولكل منهما صفات مظهرية ومجهرية محددة للتمييز بينهما في التجارة. كما تنتشر النموات البرية للنوع Cassia Italica في المملكة العربية السعودية ويسمى العشرق وجميع أنواع النبات تتبع الفصيلة البقولية Leguminous

مناطق انتشاره

موطن النبات هو إفريقيا الاستوائية، وتوجد النموات البرية للنوع C. Senna في شبه الجزيرة العربية والسودان والصومال. ويزرع بشكل تجاري في السودان خاصة في منطقتي كردفان وسنار Sennar . وفي الاتحاد السوفياتي سابقاً وتجمع فيها أوراقه آلياً angustifolia وتوجد نموات النوع الهندي في السند والبنجاب وجنوب الهند، وغيرها.

وصفه النباتي

جنبة صغيرة أو عشب معمر تنتشر جذوره داخل التربة، قد يصل ارتفاع النبات إلى نصف متر، أوراقه مركبة ريشية متبادلة والوريقات بيضية الشكل خضراء اللون، والأزهار لونها أصفر على شكل نورات غير محدودة، والثمار على شكل قرون تختلف في حجمها حسب أنواعه النباتية يوجد داخلها بذور لونها بني، والنبات له رائحة مميزة.




تختلف أنواع السنا من مكان لآخر

الأجزاء الطبية من نبات السنا

تستخدم أوراق النبات Senna Leaflets وثماره Senna pods تجفف وتحفظ داخل أوعية محكمة القفل في مكان بارد للمحافظة على جودتها.

جمع العقار وتحضيره

يجمع السنا الإسكندراني بشكل رئيسي خلال شهر سبتمبر (أيلول) من النباتات البرية والمزروعة، وتجمع الفروع والأوراق والبراعم ثم تجفف تحت أشعة الشمس ثم تنتقل إلى مدينة أم درمان بالسودان، ويفصل فيها البراعم عن الفروع الكبيرة بواسطة المناخل فتخرج الأجزاء الصغيرة عبر فتحات المناخل ثم تدرج الأوراق جزئياً بالأيدي إلى: أوراق كاملة - ومخلوط أوراق كاملة وأنصاف أوراق - وأجزاء صغيرة Sifting تفصلها المناخل.

وتباع عادة الأوراق الكاملة بينما تدرج الأجزاء الأخرى وتستعمل في عمل مستخلص مائي لها Galenicals ، ويعبأ العقار أحياناً على شكل بالات تنقل بواسطة القطارات إلى بورسودان لتصديره.

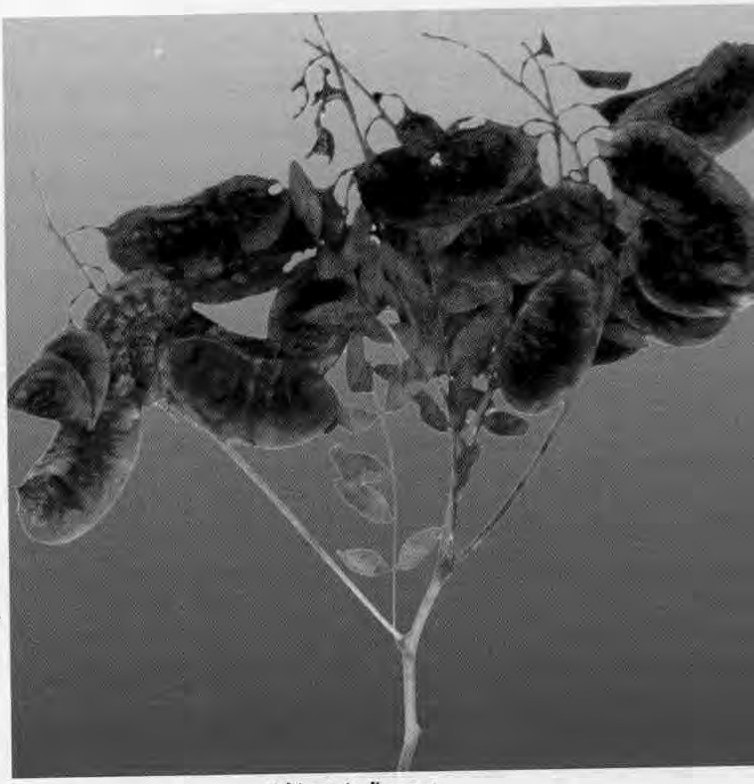
أما السنا الهندي فيجمع من النباتات المزروعة في جنوب الهند بتنيفالي، ويكون النبات أوفر إنتاجاً من النموات البرية للسنا في شبه الجزيرة العربية، وتجمع أوراقه ثم تضغط في شكل بالات وتتكسر عادة فيه الوريقات إلى أجزاء صغيرة، ويشحن إلى مناطق أخرى في العالم.

مكوناته

يحتوي عقار السنا على مشتقات مركب الأنثراكينون Anthraquinone وفصلت منه الو-ايميدين Aloe-emodin وريين Rhein ومركبات كثيرة أخرى ومواد جليكوسيدية Glycosides بلورية تعرف بـ سينوسيد "أ" Sennoside A وسينوسيد "ب" Sennoside B تتحلل مائياً فتعطي جزئين من سكر الجلوكوز وأجليكونات Aglycones السينيدين "أ" و"ب"، ولازالت الفعالية العلاجية للسنا غير معروفة بدقة حتى الآن.

وفيه أيضاً مركبات أخرى مثل سينوسيد "ج" و "د" Sennosides C & D وهي جكيكوسيدات فيها ريين




نوع من السنا يشبه الحناء

Rhein والو-ايميدين ويختلفان في تركيبهما عن سينوسيد "أ" و"ب"، ويحتوي عقار السنا أيضاً على مواد ملونة صفراء فلافونية Flavonal مثل كايمفيرول Kaempferol وهلام نباتي Mulilage وأوكسالات الكالسيوم وتراتنجات Resins

في الطب الإسلامي

اكتشف الأطباء العرب فائدة السنا في علاج الإمساك، وهو أحد النباتات التي انتشرت نمواتها البرية في أراضيهم، وجاء ذكر التداوي بالسنا في السنة النبوية، فروى الإمام الترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه من حديث أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بماذا كنت تستمشين ؟ » قالت: بالشُبرم. قال: « حارٌ جار» ، ثم قالت استمشيت بالسنا. فقال: «لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا » حديث حسن. تستمشين: أي تسهلين بطنك، والشبرم: حب يشبه الحمص يطبخ ويشرب ماؤه للتداوي.

وروى ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السأم». والسأم هو الموت، أما السنوت فقيل إنه الكمون، وقال آخرون هو العسل.

واستعمل الأطباء المسلمون السنا وذكروا فوائده في مؤلفاتهم، وقال عنه الطبيب العربي داود الأنطاكي في تذكرته «السنّا : نبت ربيعي كأنه الحناء إلا أن عوده أدق منها، ومنه نوع عريض الأوراق، وتبقى قوته سبع سنوات، وهو حار يابس يسهل الأخلاط ويستخرج اللزوجات من أقصى البدن، وينقي الدماغ ويذهب البواسير وأوجاع الظهر، وإن طبخ بالخل أزال الحكة والجرب وأدمل الجروح ومنع سقوط الشعر»، وقال عنه موفق الدين البغدادي في كتابه «الطب من الكتاب والسنة» : «السنّا حار يابس في الأولى وهو مما يكون بمكة شرفها الله تعالى كثيراً. وكذلك يختار الأطباء السنا مكي لأ نه أفضل أنواعه، والسنا من أكثر الأدواء مأمون الغائلة، يقوي القلب، ويسهل بلاعنف، لذلك أدخله الأطباء في أجلّ الأدوية لشرفه عندهم وكثرة منافعه في النقوعات المسهلة والمطابيخ والحقن والسياقات والسفوفات وماذاك إلا لحسن إسهاله، وَعَدّه الطبيب ابن سينا في الأدوية القبلية.

فوائده العلاجية

السنا من النباتات الملينة للأمعاء Purgative المستعملة في علاج حالات الإمساك التعددي Habitual Con stiph-tim أو الإمساك الذي يحدث بين حين وآخر، ولإفراغ محتويات القولون من الفضلات، ويُعطى للمريض قبل الفحص الإشعاعي لبطنه، وليس له نفس التأثير المسهل الشديد لنبات الراوند، والسنا ينبه الطبقة العضلية الموجودة في جدران الأمعاء للحركة والتخلص من فضلات الطعام، ويفضل نقع العقار في الماء العادي عدة ساعات قبل استعماله وعدم غليه في الماء ويضاف إليه بعض المنكهات، والمحليات لتحسين استساغته لأن طعمه مر، وبعد حصول المريض على السنا تتحلل مركبات الانثراكينون في القولون إلى جليكوسيدات بواسطة الجرائيم ويظهر تأثيرها عادة خلال ٦-١٢ ساعة من تناوله، ويُعطى العقار على شكل أقراص أو حبيبات Gramules أو شراب، وحددت المملكة المتحدة مقدار هذا العقار للشخص البالغ بأنها تكافئ ١٥-٣٠ ملجم من السينوسيد Sannosides المعطى كجرعة واحدة قبل النوم، ويعطى الأطفال الذين تزيد أعمارهم عن ٦ سنوات نصف هذه الجرعة.

نباتات مشابهة

١ - السنّا مكي: يحضر من النباتات البرية للنوع C. An-gustifolia في جنوب شبه الجزيرة العربية، وتشحن بعض من وريقات هذا النبات Leaflets من ميناء الحديدة باليمن إلى بورسودان ثم تدرج مع السنا الإسكندراني قبل إرسال بعضها إلى بومباي بالهند، ثم تنقل منها إلى إنجلترا مع الشحنات المرسلة من تنيفالي بالهند. وتشابه وريقات هذا النوع السنّا الهندي لكنها تكون لحد ما أطول وأقل عرضاً ولونها أخضر بني أو مائل للبني، ويمكن تمييزه مجهرياً عن الأنواع الأخرى للسنا، لكنه يشابهها في فعاليته العلاجية.

٢ - سنا الكلب Dog sen-



na نبات كانت له قيمة تجارية، ومازال يستعمل في فرنسا وهو محضر من النوع النباتي Cao- sia obovata وعرف أحياناً بـ السنا الإيطالي، والموطن الأصلي له جنوب مصر، وخلال القرن السادس عشر الميلادي زرع في إيطاليا، ووريقات هذا النبات بيضية الشكل وتختلف في مظهرها عن مثيلتها في السنا الإسكندراني، ويمكن تمييزه أيضاً عنه وهو على شكل مسحوق، ويحتوي على نسبة تتراوح بين ١-١٥ر١٪ من مشتقات الإنثراكينون ذات الفعالية الدوائية.

٣ - سنا بالثي Palthe senna

نبات اسمه العلمي C. au- riculata ويوجد في عينات السنَّا الهندي، ويمكن تمييزه بوريقاته الصغيرة Obovate أو Oblang ووجود Tri- chomes آحادية الخلية يصل طولها نحو ٣ مرات عن الموجود منها في الأنواع الأخرى للسنا ويُميز بلونه عند غليه في محلول كلورات هيدرات Chlolal hydrate و ...

٤ - النوع Cassia ho- lescrica FA : وريقاته أصغر حجماً وتكون مكسوة بشعيرات وغير مستدقة الطرف Obtuse havry

٥ - النوع Cassia montara : وريقاته أدكن، ولها قمة مستديرة Rounded a pex وعروق الأوراق لونها داكن.

امتصاصه وتخلص الجسم منه

يحدث معظم امتصاص مشتقات الأنثراكينون الموجودة في مستحضرات السنا في جسم الإنسان بعد تحللها بواسطة جراثيم القولون ويتخلص الجسم منها عن طريق البراز والبول، كما يخرج جزء آخر منها مع بعض الإفرازات الأخرى كلبن الثدي في المرأة المرضع..

تأثيراته الجانبية

قد يصاحب استعمال السنا كَمُلَيِّن للأمعاء شكوى المريض من مغص أو تشنج معوي، ويؤدي طول استخدامه أو تناول جرعات كبيرة منه إلى حدوث الإسهال وفقد شديد في الماء والعناصر المعدنية وخاصة البوتاسيوم من الجسم واحتمال حدوث تكاسل معوي، كما قد يظهر معه تغير لون بول المريض عند استعمال السنا لخروج بعض مشتقات الأنثراكينون فيه.

تحذيرات استعماله

يجب عدم إعطاء السنا للمرضى الذين يعانون حالة انسداد معوي أو من أعراض باطنية لم تشخص طبياً، وأخذ جانب الحذر الشديد عند إعطائه في حالات مرضى القولون الالتهابي وتجنب استعماله فترة طويلة، ويمكن إفراز مركبات الأنثراكينون في لبن ثدي الأم. وإذا كانت الجرعة صغيرة منه فليس لها تأثير سيئ على صحة الطفل الرضيع، ويتلون البول بواسطة هذه المركبات فيتداخل مع الفحوص المخبرية التشخيصية التي يطلبها الطبيب.

مستحضراته الدوائية

يتوفر في الصيدليات العديد من المستحضرات الدوائية للسنَّا على شكل حبوب Tablets أو شراب أو مستخلص مائي منها.

غش العقار

يستعمل أحياناً في غش عقار السنا نباتات أخرى مثل:

١- أوراق نبات Argel Leaves واسمه العلمي Solenostemma Ar- gel من الفصيلة As- clepiadaceai توجد نمواته البرية في منطقة النوبة بمصر وكردفان في السودان، ويشابه نبات السنا في لونه وشكله العام، لكن تتميز أوراقه بقوامها السميك والخشن والمنحني أو المنثني وسطحها المجعد قليلاً وتكون عروق الورق غير واضحة والأوراق متساوية عند القاعدة ولها شعر Hairs Tbree Called، ومذاق مر واضح، وكان يخلط بالسنا لكن يندر حالياً حدوث ذلك .

٢- Tephrosia Apoi- linea de Candolle من الفصيلة البقولية، الأوراق بيضية الشكل Obovate ويوجد أحياناً مع السنا الإسكندراني.

٣ - Arborescens من الفصيلة البقولية

٤ - Ailanthus glan- dulosa desf

٥ - Globularia Al- ypum linn من الفصيلة Globularialeae ويعرف بـ P rovince Senna .

٦ - Coliaria Myr- tifolia Linn من الفصيلة Coriarialeae

وفي الختام لابد من ذكر فضل الأطباء العرب الأوائل في اكتشاف الفائدة العلاجية لأوراق السنَّا وبراعمه واستعماله كملين للبطن قبل تصنيفه في الاقرابازين الحديث ضمن الأدوية المستخدمة في علاج الامساك.

الهوامش :

1 - Reymolds, J.E.F., et al (eds) (1989). Martindale. The Extra Pharma Copoeia. P. 1105-1106. The Pharmaleutical Press, London, England.

2 - Trease, G.E. & Evams, W.C. (1985). Pharmalogmoy. p. 376-382. Bailliere Tindall, London, England .

3 - Tyler, V.E., et al (1981) Pharmalognosy. p.498. lea L Febiger, Philadelphia, U.S.A .

4 - Wa;os. T.E. (1985) Textbook of Pharmacognosy. p. 132-138. C.B.C phblishers and Distributols Indian Ediction, New Delhi, India.

٥ - ابن منظور، لسان العرب ج ١٤/ ٤٠٥. دار الفكر - بيروت - لبنان.

٦ - البغدادي ، موفق الدين، الطب من الكتاب والسنة . صفحة ١١٩. دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٧ - الرازي ، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح . صفحة ٣١٨. - دار الحديث - القاهرة - ج.م.ع .

٨ - المنظمة العربية للتنمية الزراعية (١٩٨٨م)، النباتات الطبية والعطرة والسائدة في الوطن العربي. صفحة ٩٣-٩٥. الخرطوم. جامعة الدول العربية .

الفقه الإسلامي وشريعة اليهود



د. حسن ظاظا

هذا موضوع عُنِيَ به كثير من علماء اليهود - وعاث بعضهم فيه فساداً، وندر مَنْ طرقه من المسلمين، باستثناء بعض القدامى من مؤلفينا في الملل والنحل، كابن حزم والشهرستاني. ولعل السبب في ذلك شعور باطني بأن اليهودية هي أول دين سماويّ له كتبه، وأن الإسلام هو آخر هذه الأديان السماوية، وأن الأحدث قد يتأثر بالأقدم، وليس العكس. ولكن الواقع غير ذلك. فاليهودية شريعة دائمة التغيير والتبديل، وضوابط الاجتهاد فيها مطّاطة بطول ما مرّ عليها من آلاف السنين، وما مرت هي به من ظروف وتقلبات وأزمات.

ومن أمثلة ذلك أنهم يظنون أن المجتهد اليهودي يستطيع أن يُحَرّم ما كان مباحًا في شريعته إذا كانت هذه الإباحة تمثل (خطرًا) على كيان أمته، ويستشهدون على ذلك بتحريم تعدد الزوجات، وقال علماؤهم إن الأصل الطبيعي في الزواج أن يكون بامرأة واحدة، فقد ظل هكذا بين آدم وحواء، وفي أبنائهما، واستمر كذلك إلى زمان (لَمَسك) الذي تزوج باثنتين (التوراة - سفر التكوين ٤:١٩)، ولم يتكرر ذلك من بعده إلاّ عندما كانت سارة امرأة إبراهيم عليه السلام عاقرًا، وأذنت له في أن يتخذ هاجر (التكوين ١٦: ١-٣)، وأضاف إليهما التلمود زوجة ثالثة هي (قطورة)، وقال الراوي في التوراة إن (عيسُو) بن إسحق كانت له ثلاث نسوة، وأما أخوه يعقوب - أبو بني إسرائيل - فكانت له اثنتان أختان الأولى (ليَا) والأخرى (رَاحيل) بنتا لابان، ومعهما جاريتان هما (زِلْفَة وبِلْهَة)، تسرّى بهما يعقوب أيضا. ووُلد له منهما أبناء، أما سفر التثنية في التوراة فإنه يبيح التزوج باثنتين فقط (التثنية ٢١: ١٥ - ١٧)، ومع ذلك فإن رواة التوراة لم يذكروا لموسى عليه السلام إلاّ واحدة هي ابنة النبي العربي شعيب - اسمه في التوراة يثرو - ولعله كان يسكن (يثرب) فجاء اسمها من اسمه القديم. وبقي نظام الزوجة الواحدة بعد وفاة موسى قرابة خمسة قرون، حتى مُلْك داود عليه السلام، فذكر له الرواة في كتب العهد القديم اليهودي ست زوجات، حين كان مقيما في مدينة الخليل (جِبْرُون) ثم كثرت زوجاته بعد أن اتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له. أما ابنه سليمان فنسبوا إليه سبعمائة زوجة شرعية من مختلف الأجناس، وثلاثمائة سرّية (سفر الملوك الأوّل ١١:٣)، أما كتب الحكمة، فإن قارئها في العهد القديم يشعر بأن الزوجة الواحدة عندهم هي الأساس، كما يتضح ذلك مثلاً في أمثال سليمان ٥: ١٥ - ١٩ وفي ٣١: ١٠ - ٣١ وسفر الجامعة ٩:٩، ويتأكد هذا في كلام جاء عن أنبياء اليهود، إذ جرت عادتهم على تشبيه الميثاق بين الأمة الإسرائيلية والله بعقد زواج بين الزوج والزوجة الوحيدة التي لاثاني لها -تعالى الله عمّا يقولون علوًا كبيرًا- (هوشع ٢:٤ - أشعيا: ٥٠:١، أرميا ٣:٧)، أما في عهد التلمود - من القرن الثالث الميلادي إلى الرابع الميلادي في فلسطين وإلى أوائل السادس الميلادي في العراق وإيران - فقد اختلف الفقهاء، فأحدهم لم يفرض أي شرط على تعدُّد الزوجات، إلاّ أن يكون الزوج قادرا على الإنفاق عليهنّ، وآخر يفتي في التلمود الغربي - الفلسطيني - بوجوب استئذان الزوجة الأولى وأخذ موافقتها صراحةً عند الزواج بأخرى، إلاّ إذا كان الزواج الأول قد انقضى بالطلاق أو بالموت. وبقي خلاف فقهاء اليهود قرونا طوالاً، ولوحظ أن يهود أوربا كانوا يجرون على تقليد النصارى هناك في الاكتفاء بزوجة واحدة، فقلّ عندهم التعدد، إلا في أحيائهم المغلقة المتحوصلة في قلب المجتمع المسيحي، كما كان الخوف من الاضطهاد واغتصاب النساء يلعب دوره في هذا السلوك. أما اليهود الشرقيون فقد جَروا على تعدّد الزوجات للحرّية التي منحها الإسلام لأهل الكتاب، ولوصول الكثير منهم إلى مستوى من الثروة والأهمية في المجتمع تبيح له الإكثار من الزوجات، ومؤرخو الشريعة اليهودية يلقون تبعة هذا على الإسلام ظلما وافتراء. فالفقيه الذي حرّم تعدد الزوجات لجميع يهود العالم، لم يكن يعيش بين المسلمين، بل في ألمانيا؛ وهو الحاخام جيرشوم بن يهودا الملقب بضياء الجالية (٩٦٠ - ١٠٢٨)، الذي اشتهر بالدقة في الفتوى والتبحر في التوراة والتلمود، وأجرى (تصحيح) شريعة الزواج والطلاق، فمنع تعدد الزوجات كما منع إطلاق حق الطلاق للرجل، بل قال إن الزوج إذا أراد الطلاق من غير اتفاق مع المرأة، التي لايبغيها، ذهب إلى كاتب العدل وأملى عليه كتاب طلاق هذه

الفقه الإسلامي وشريعة اليهود

المرأة فإن تسلمتْه وقع الطلاق، وإن رَفَضتْ استلامه انتقل الخلاف إلى القاضي في المحكمة. أما تعدُّد الزوجات فاعتبره جريمة ارتداد عن الطائفة اليهودية، بما يترتب عليه من نتائج.

التحليل والتحريم في الفقه اليهودي

وإذا كنا توسعنا في هذا المثال فلأن الكثير من أعداء المسلمين مازالوا يلقون تبعة تعدد الزوجات اليهودي على المسلمين، متناسين داود وسليمان عليهما السلام، وهما عاشا قبل الإسلام بخمسة عشر قرنا. وزعم بعضهم أن فتوى الحاخام جيرشوم (ضياء الجالية) بقيت في الشرق الإسلامي كأن لم تكن لمدة قرون بعد هذا الحاخام، وليس للإسلام دخل في ذلك، وإنما هي مسئولية شيوخ الدين اليهودي، الذين لم ينشطوا لتبليغ الفتوى. بل اعترض عليها بعض فقهائهم. وكان رد المؤيدين لها أن الفقيه في الشريعة اليهودية لايستطيع أن يحلل حراما بحال من الأحوال، أما الحلال فيستطيع تحريمه، إذا كان الاستمرار في إباحته يمثل خطراً على الجالية أو الطائفة كلها، كما ذكرنا في بداية هذا المقال.

ومع ذلك ففي شريعة اليهود كثير من الحرام الذي حُلِلّ، وآخر ذلك قانون الجنسية الإسرائيلية: الصادر من الكنيست (مجلس النواب الإسرائيلي) بعد إعلان قيام هذه الدولة في فلسطين. فهو ينص على أن كل من كانت (أُمُّهُ يهودية) فهو يهودي له كامل حق المواطن في إسرائيل، دون اعتبار لجنسية الأب - إن عُرِف - ولا لطبيعة مجيء الطفل إلى الدنيا أهو من زواج صحيح، أم من زِنى، أم من أب من غير اليهود (الجوييم)، أم من حمل تمّ بين المحارم، أم كان (لقيطا) غير معروف الأب ولا الأم أم كان (مسكوتا عنه) أي أُخْفَتْ أُمُّه اسم أبيه، ولكل هذه القضايا أحكامها في التوراة، والتلمود، وتفريعاتها وخلافاتها واحتمالاتها وافتراضاتها. ولكن حرص الدولة الصهيونية على أن تجذب إليها أكبر عدد من المهاجرين جعلها تتناسى حتى اسم «بني إسرائيل» وأن إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وكلهم منسوب إلى أبيه لا إلى أمه، لدرجة أنهم يرفضون تسمية المسيح عيسى بن مريم ويتمسكون ببهتانهم فيقولون إنه ابن يوسف النجار! ولو هبط على الأرض الآن، لكان له الحق في الجنسية الإسرائيلية طبقا لنص الدستور الصهيوني! مع أنهم يزعمون أنّ الله يقتصّ من ذنوب (الآباء) في أبنائهم، لا الأمهات.

والعالم كله يعرف أن صلب دعوة موسى عليه السلام يتمثل في (الوصايا العشر)، وقد تكررت في التوراة مرتين، الأولى في (سفر الخروج) والثانية في (سفر التثنية)، وهذه الوصايا العشر هي - والنص هنا من سفر الخروج، الفصل العشرين -: «ثم تكلم الله بجميع هذا الكلام، قائلا:

١- لايكن لك آلهة أخرى أمام وجهي! فأنا الربّ إلهك، الذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبودية.

٢- لاتصنع لك تمثالاً منحوتا، ولاصورة، مما في السماء من فوق، ولا مما على الأرض من تحت، ولا مما في الماء من تحت الأرض! لاتسجد لها، ولاتعبدها لأني أنا الرب إلهك، إله غيور، أتعقب ذنوب (الآباء) في الأبناء، إلى الجيل الثالث والرابع من أعدائي، وأُحسن إحسانا إلى ألوف من أحبائي ومطيعي أوامري.

٣- لاتحلف باسم الربّ إلهك باطلاً، لأن الرب لايعفو عمّن نطق باسمه باطلا.

٤- اذكر يوم السبت لتقدسه. في ستة أيام تعمل، وتُنجز كل أعمالك، واليوم السابع سَبْتٌ للرب إلهك: لاتصنع فيه عملاً، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك، ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن الربّ خلق السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح. ولذلك بارك الرب في يوم السبت وقدَّسَهُ.

٥- أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الربّ إلهك.

٦- لاتقتل.

٧- لاتزن.

٨- لاتسرق

٩- لاتشهد على أحد من قومك شهادة زور.

١٠- لاتطمع في بيت أحد من قومك، لاتشتَه امرأته ولا عبده ولا أمته، ولا ثوره، ولاحماره ولاشيئا مما يملكه.

وزعم مفسرو اليهود أن الوصيتين الأولى والثانية قد وجههما الله - تعالى عن ذلك علوّا كبيرا - بصوته، وسمعهما الشعب كله، أما الثماني، الباقية فقد حفظها موسى وبلّغها للأمة بعد ذلك، ودليل ذلك عند أولئك المفسرين أنه تعالى أعلن عن

يهودا الكبير دون الشريعة اليهودية في ستة كتب بعد استبعاد «النصوص الخارجية»

نفسه في الأولى والثانية بعبارة: أنا الربّ إلهك مقترنا بضمير المتكلم (أنا)، على حين جاءت الثماني الأخرى خالية من هذه الإشارة. وللمفسرين عندهم من التعلّق بسفاسف الأمور ما لايكاد يحصى، ولاينقضي منه العجب!

ولكن هل تكفي الوصايا العشر لتضع قوما مثل بني إسرائيل على الصراط المستقيم؟ لا. فقد أرهقوا موسى وأخاه هارون على مدى أربعين عاما في سيناء، بالأسئلة الكثيرة والاستفسارات - المهمة والتافهة - وحركات العصيان والرفض والعدوان، وسجل رواة التوراة المتأخرون جدا عن عهد موسى (ألف سنة) ما أثر عنه وعن أخيه هارون ومن صحبهما وقت الخروج من مصر من أخبار، فبقي هذا التراث مصدرا للشريعة عندهم، يفسره لهم

شيوخهم كما يشاؤون، بعد أن أضافوا إلى التوراة مجموعة من الكتابات التاريخية عن سيرة هذه الأمة بعد موسى، وقيام المملكة ثم استقرارها في عهد داود وسليمان، ثم انشقاقها نصفين بعد موت سليمان، فقامت (مملكة إسرائيل) في شمال فلسطين، واستمر خلفاء داود وسليمان في حكم مملكة في الجنوب عاصمتها أورشليم (القدس)، أما الشماليون فكانت عاصمتهم الأولى (ترّصه) ثم اندثرت بعد اتخاذهم (السامرة) عاصمة لهم، وهكذا عاشت المملكتان: إسرائيل في الشمال، ويهوذا في الجنوب، إلى أن قضى الإمبراطور الأشوري «سنحاريب» على إسرائيل، وقضى الإمبراطور الكلداني بختنصر على مملكة يهوذا بعد ذلك بزمن قليل. ودخلت هذه السير والوقائع في تلك المجموعة من الكتابات التاريخية، ثم أضيف إليها ركام من النصوص الأدبية والحكمية، وتكوّن من ذلك (الكتاب) أو العهد القديم، الذي أصبح يحتوي على أربعة أجزاء: التوراة المنسوبة إلى موسى بأسفارها الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين أو الأحبار أو الكهنة، العَدَد، التثنية) ولاحظ العلماء - ومنهم البريطاني درايفر في كتابه «مقدمة إلى نصوص العهد القديم» - أن سفر التثنية الأخير ليس إلاّ تلخيصاً للأحكام الشرعية الواردة في الأسفار الأربعة السابقة، ليكون مرجعًا سهلا وسريعا للقضاة، وأنه يحمل الكثير من الدلائل على كتابته بعد عهد موسى بكثير.

مجالس القضاء عند اليهود

استمر القضاء على هذا النحو، يمارسه رجال الدين في مكان مخصص لهذا الغرض، كان دائما ملحقًا بالمعابد، يتناوب الجلوس فيه قاضٍ أو أكثر، في غير مواقيت الصلاة أو الأعياد، وكان القاضي يجتهد في تأسيس حكمه على نص من العهد القديم، إما تفسيراً وإما قياسًا وتأويلاً. ودام هذا الوضع إلى مابعد فتح الإسكندر المقدوني فلسطين، ودخول البلاد تحت الإدارة اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد. ففي هذه الحقبة عرف اليهود تنظيما آخر للقضاء في (مجالس) متخصصة، تجمع أكثر من قاض واحد، بحسب درجاتها في الأهمية، ويسمى كل مجلس منها باسم (سَنْهَدْرين) وهي كلمة مستعارة من الكلمة اليونانية (سَنْهَدْرِيون) أي (مؤتمر).

ولكن رواة التلمود أرادوا - على عادتهم - أن يُسْبِغوا على السنهدرين قدسية وعراقة ليست له، فزعموا أن السبعين رجلا الذين اختارهم موسى عليه السلام من قومه، ورد ذكرهم في التوراة (سفر العدد ١١: ٢٤) كانوا أول سنهدرين في بني إسرائيل! وإن كان السبعون رجلا الذين اختارهم موسى ليسوا بقضاة، بل جماعة من كبار السن والحكماء، يسترشد بخبرتهم وتجربتهم في تدبير أمور الجموع التي خرجت معه من وجه فرعون، فكان هذا المجلس الاستشاري أقرب شبها بما يسمى باليونانية «جيروسيا» - أي مجلس الشيوخ.

ودرجات السنهدرين المعروفة في التلمود أهمها: السنهدرين الأكبر، وهو المحكمة العليا،

لا سبيل لتنقية الفكر الإسلامي من الإسرائيليات إلا بالخوض في محيطها ومعرفة غمزه ورمزه

واختصاصاتها كانت تختلف باختلاف الظروف السياسية والاجتماعية لليهود، حيث كانت تحكمهم أمم أخرى غير يهودية. ونحن نعرف أن هذه المحكمة العليا كان لها رئيس مشهود له بالتبحر في الشريعة، يشاركه في السلطة الكاهن الأعظم الذي يتمتع بلقب «أمير الطائفة» - ناسيء - ولذلك جرت العادة على ذكر من كانوا على رأس هذا المجلس اثنين اثنين، أولهما «الأمير، أو الرئيس» وثانيهما «رئيس المحكمة» أَبْ بِيتْ دين.

وإلى جانب السنهدرين الأكبر، أنشئت مجالس قضاء إقليمية يرعى كلاً منها ثلاثة وعشرون فقيهًا. والقضايا التي تتطلب حكما بالإعدام كانت تُحَوّل كلها إلى السنهدرين الأكبر. وقد جاء في المِشْنَا: أن قضاة المحكمة العليا كانوا لايحكمون بالقتل إلاّ نادرا، حتى شاع بين اليهود قول مأثورهو «أن السنهدري الذي يحكم بالإعدام مرة في كل سبعين سنة يكون سفّاحًا»! وواضح أن محكمة مكونة من الفرّيسين (علماء الدين المحافظين) والصدوقيين (مذهب آخر يفخر بتسلسله عن الطبقة الأرستقراطية بين اليهود، ولايؤمن بالآخرة لأنها لم تذكر صراحة في التوراة ولا في غيرها من الكتب التي يؤمن بها اليهود، ومن أجل هذا هاجمهم المسيح عليه السلام في الإنجيل)، والكتبة وهم حفظة النصوص المقدسة وشرّاحها، ثم الزهّاد المتقشفين (الإِبْيونيم) والمناضلين المتطرفين (القنّائيم)، وكثير من المتأثّرين بالحضارة اليونانية ثم الرومانية.

وفي هذا الخضم المتلاطم من حق الباحث أن يسأل: وأين الشريعة اليهودية؟ والقضاء؟ كانت هذه الشريعة تنضج على نار الأحداث الجسام. ففي العراق وإيران كانت حركات اضطهاد اليهود تنبثق من حين لآخر، وكانت القلاقل في الشام ناشبة باستمرار تقريبا بين اليونان ثم الرومان وبين اليهود، حتى تحولت إلى حرب سافرة عام ٧٠ ميلادية، إذ فَهِم الرومان أن اليهود فيها هم أصل الفتن وحركات العصيان، فحاربهم فسبازيان الإمبراطورالروماني، وأمر باستئصالهم من البلاد، ثم خلفه ابنه ووريثه تيتوس فواصل سياسة أبيه، وكاد أن يقضي على اليهود جميعا عام ٧٠م، ثم أتم هذا العمل الإمبراطور الروماني هَدْريان، عام ١٣٥م.

في هذه الفترة الصاخبة، الحافلة بالأحداث الجسام، ظهر في فلسطين العلاّمة اليهودي «يهودا الكبير» أو «الناسيء» أي الرئيس، أو الأمير، جامعُ شرائع المِشْنا ومبوِّبها، وُلد عام ١٣٨م لأسرة من كبار الأثرياء، ورث عنهم أموالاً طائلة وأرضا زراعية شاسعة، ثم تلقى علوم الشريعة اليهودية، على شيوخ من أشهر ما عرف اليهود في تاريخهم. وفي عام ١٧٠م صار رئيسا للسنهدرين الأكبر في أورشليم. وأعطى لنفسه سلطات مطلقة في إدارة ما بقي في فلسطين من الجالية اليهودية، فلم يدخر جهدا في إنعاشها والعناية بها، وليتمكن من ذلك احتفظ لنفسه بحق تَعْيين القضاة في المحاكم الشرعية اليهودية في جميع أنحاء فلسطين، كما

الفقه الإسلامي وشريعة اليهود

كان يختار بنفسه معلمي العلوم الدينية في معاهد اليهود، وألزم الجالية كلها بالزكاة: للكهنة كل سنة، وللمعابد والمعاهد كل «سنة سبتية» - أي كل سبع سنين. وكان هذا يبدو ثقيلاً عليهم بالإضافة إلى ضرائب الدولة الرومانية، ولكنهم نالوا في مقابل ذلك كثيرا من المسالمة من جانب الرومان، لأن يهودا الكبير كان معروفا منهم، ومتعاونا معهم، وصديقا للإمبراطور أنطونين نفسه. ثم إنه كان رجلاً منظّم الفكر، دقيقا، شديد الحب للعلم. فممّا روي عنه في ذلك قوله: تعلمت الكثير من أساتذتي، وأكثر من ذلك من زملائي، أما الذين علّموني أكثر من الجميع فهم تلاميذي.

ويهمنا هنا أن نلاحظ أن هذا الرجل تنبه بذكائه إلى أن الشريعة اليهودية ليست بها مدوّنة، تجمع شتاتها، وتيسر الرجوع إليها، فكانت «المشنّا» التي أشرنا إليها. وهي مجموعة (الأحاديث) الشفوية التي كان يرويها العلماء قبل يهودا، ويعتمدون عليها في القضاء والفتوى. وشكّ كثير من الباحثين في أن يكون يهودا قد سجل المشنا بالكتابة، اعتمادًا على قولة جاءت في التلمود هي أن الأمور التي تُرْوى لك مشافهة لايحقّ لك إثباتها بالكتابة (التلمود - كتاب الطلاق ٦٠ ب)، والعبارة هنا غامضة في عمومها، فإن الذين كتب الربيّ يهودا عنهم المشنا قالوا إنها من تعليم الله لموسى بالمشافهة والتحديث! فهي ليست من نوع أي كلام مسموع يكتبه الإنسان عن قائله، ومن هنا سَمَّاها اليهود «التوراة الشفهية»، وإن كانت أسانيدها لاترقى إلى عهد موسى على الإطلاق، ولا لأي نبيّ من أنبياء اليهود، فأسانيدها منقطعة بعد وفاة موسى بما يقرب من ألف وخمسمائة سنة، وبعد وفاة العُزير ينسب إليه تسجيل التوراة وكتب الأنبياء وأسفار الحكمة بخمسمائة سنة، لكن للضرورة أحكام! ويبدو أن هناك مجموعات متفرقة من المشنا سبقت الربّي يهودا واطلع عليها، فأبعد منها ما شكّ في صحة نقله، أو تردّد في قبوله، فكتبه على حدة في مجموعة من أحاديث (الشريعة الشفهية) سمّاها باللغة الآرامية (البرّايتا) أي النصوص الخارجة أو البرّانية. وما بقي عنده بعد ذلك رتّبه في ستة كتب بحسب الموضوع الشرعي لكل منها:

١- البذور (زراعيم): ويبدأ بعد الصلاة بأحكام الأرض والزراعة والإنتاج الزراعي.

٢- الأعياد (مُوعد): ويتضمن أحكام السبت وبقية الأعياد والمواسم.

٣- النساء (ناشيم): وفيه الأحكام التي تنظم علاقة الرجال بالنساء من زواج وطلاق ونحوها.

٤- الإضرار بالغير (نزيقين): ويحتوي على الشرائع الخاصة بالجنايات والدّيات والتعويضات.

٥- المقدّسات (مُدَاشيم): وفيه أحكام الشريعة الخاصة بواجبات اليهودي نحو المعبد والكهنة.

٦- الطهارة (طَهَرُوت) ويفصل ذلك في المياه والجسم وأحكام الاغتسال والوضوء وإفرازات الجسم ونحوها.

ومات الربّي يهودا الكبير حوالي عام ٢١٧ ميلادية، وبقي كتابه (المشنا) أكبر ركيزة لشريعة اليهود بعد التوراة، وتعاقبت على شرحه أجيال من فقهاء اليهود في فلسطين من عام ٢١٩م إلى ٣٥٩م، عندما اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية، ثم أغلق مدارس اليهود في فلسطين بما في ذلك معاهد الشريعة، بوصفهم أعداء المسيحية، وقتلة المسيح. أما في الشرق - في العراق وإيران - فقد بقيت هذه الدراسات المتعمقة حول المشنا إلى الفتح الإسلامي، وهكذا ظهر شرحان مطولان للمشنا باسم التلمود؛ الأول غربي (أورشليمي) وهو ناقص، لأن هذه المعاهد كانت قد أغلقت قبل إتمام شرح المشنا. والثاني شرقي (بابلي)، وكان تمّ عند ظهور الإسلام، لأن الفرس كانوا يدينون بالمجوسية ولم تكن بين هذا الدين واليهودية أية مشكلات تاريخية أو عقائدية. وما يزال التلمود البابلي يتمتع بين اليهود بثقة أكبر من التي للتلمود الغربي الأورشليمي، كما أن أحباره يحظون من اليهود بسمعة أضخم من حيث المعرفة بأسرار الشريعة. وكان للتلمود البابلي ثلاثة مراكز أو «مَثِيبات» لكل منها شيخ برأسها، وهي «نهردعة» في شمال العراق، بين النهرين، إلى الجنوب الشرقي من مدينة «الرُهَا»، ثم «سورة» بالقرب من بغداد، ثم «عانة» التي كانت على عهد التلمود تسمى «فومبديتا». كما كانت للتلمود العربي مراكز ثلاثة أيضا، ليس منها القدس، إذ كانت كلها تقع في شمال فلسطين وهي «طبرية» نسبة إلى الامبراطور الروماني «طبريوس»، ثم «قيسارية» نسبة إلى«قيصر» وهو اللقب الرسمي لكل إمبراطور روماني، ثم «صفورية» وهو اسم لبلدة صغيرة. كانت تسمى في العصر اليوناني (سفوريس).

كيف ظهرت الإسرائيليات؟

ولغة التلمود هي الآرامية لا العبرية، أما المشنا فلغتها عبرية وسطى، أي بعيدة عن اللغة الفصحى للعهد القديم. والتلمود في تفسيره للمشنا يطيل، ويستطرد، ويروي القصص والخرافات والخوارق والمواعظ الأخلاقية والنصائح الطبية والصحية وأوصاف البلدان البعيدة الغريبة وأشكال الشياطين والملائكة، وتطور الخليقة حجما ونوعًا وشكلاً وسلوكا منذ الطوفان إلى أيام الراوية. وهو باب تسرّب منه الكثير من الحكايات المعقولة وغير المعقولة في ثنايا الفكر الإسلامي الذي انتشر منذ أيام الخلفاء الراشدين في كل من أرض بابل وفلسطين، فحمل عن شيوخ التلمود «الأمُورائيم» كما يسمون عند اليهود، هذا الدخيل الغريب على الفكر العربي والإسلامي الذي يسمى «الإسرائيليات»، ولابد لتمحيص الفكر الإسلامي من الخوض في هذا المحيط المترامي المتلاطم ومعرفة أسراره وغمزه ورمزه، وهو مطلب عسير يحتاج إلى (مجامع) من العلماء تعكف عليه بصبر وأناة: وبموضوعية بعيدة عن الأهواء.

اليهود وظهور المذاهب الفقهية الإسلامية

ومن العهد القديم إلى المشنا والتلمود،

وتضارب الفتاوى والآراء حول أصغر الأمور، جاء الإسلام والشريعة اليهودية في حاجة إلى تنظيم وترتيب وإكمال وإعادة نظر. وحضر اليهود ظهور المذاهب الفقهية عند المسلمين، ورأوا ما تموج به من نشاط وحيوية، فبدؤوا بالبحث في اليهودية، وألف سعديا سعيد بن يوسف الفيومي كتابه «الأمانات والاعتقادات» في أسس الإيمان اليهودي، وأفتى بخروج اليهود والقرّائين عن الملّة لأنهم كفروا بالتلمود، ولم يعتبروه أصلا من أصول الدين، وأظهر دراية تامة بالمذاهب الإسلامية، فانتقى منها مابدا له موافقا لمفاهيم عقيدته، فأحيانًا عن المعتزلة، وكثيرًا عن أهل السنة والجماعة، أو عن الأشاعرة أو الظاهرية. بل عن الصوفية من المتأثرين بالأفلاطونية الجديدة في القول بوحدة الوجود.

كما ترك في الفقه كتابا في أحكام المواريث، وبعض الآراء الفقهية في نصوص متفرقة عُثر عليها في مخطوطات «الجنيزة» في القاهرة، وعاش سعديا حياة صاخبة من ٨٨٢م إلى ٩٤٢م.

وإذا كان سعديا قد طغى بشهرته وأعماله على جميع العلماء (الجاؤنيم) في الشرق، فإن موسى بن ميمون قد ملأ الدنيا وشغل الناس شرقا وغربا بما أوتي من ذكاء وسعة في العلم بجميع فروعه المعروفة في عصره. ولد في قرطبة عام ١١٣٥ أو ١١٣٨م في أسرة غنية بعلماء الشريعة اليهودية، واضطره احتلال الموحّدين لقرطبة إلى الهجرة، ومازال يضرب في مناكب الأرض حتى استقر في مدينة فاس بالمغرب عام ١١٦٠م، حيث درس الطب. وشد أهله الرحال إلى مصر وفلسطين عام ١١٦٥م. فأقام موسى بن ميمون فترة في الإسكندرية، ثم رحل إلى القاهرة. وكان له أخ تاجر ثري اسمه داود بن ميمون، مات في بعض أسفاره بالمحيط الهندي، فورث موسى منه ما مكنه من إتمام دراسته في الطب.

وفي عام ١١٨٥م أصبح طبيبا للقاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني وزير صلاح الدين الأيوبي. وعُين رئيسا للجالية اليهودية في مصر إلى أن توفي بالفسطاط عام ١٢٠٤م.

ويهمنا هنا إنتاجه في الشريعة اليهودية، فله فيها كتاب مهم جدا عنوانه: «مثاني التوراة» (مشني تُوراه) أي «المذكّر بالشرائع»، وجعل له اسمًا ثانيا هو «يَدْ حَزَاقَه» أي (اليد القوية) تبركًا بعبارة تكررت في التوراة من أن الله أنقذ بني اسرائيل من فرعون «بيد قوية، وذراع ممدودة» وكلمة«يد» بالحساب الرقمي للحروف الأبجدية - في العربية والعبرية - تساوي (١٤) الياء عشرة والدال أربعة، فسمّى الكتاب هكذا لاحتوائه على أربعة عشر قسما من الشريعة، وفي التسمية لعب بالألفاظ كما هو واضح.

وقد فرغ موسى بن ميمون من تأليفه عام ١١٨٥م، فجاء دستورا جامعا لكل الأحكام الشرعية عند اليهود، وعددها ٦١٣، منها ٢٤٨ من الأوامر، ثم ٣٦٥ من النواهي. كما قَنّنَ أركان الإيمان اليهودي في ثلاثة عشر ركنا. وسنتناول كل هذا - إن شاء الله - في مقال نخصصه لحياة

شهد اليهود ظهور المذاهب الفقهية عند المسلمين وتأثروا بنشاطهم ومناهجهم

موسى بن ميمون وأعماله، لأنه - في نظرنا - يمثل أقوى صلة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، وأكبر الأسماء التي يفخر بها اليهود إلى يومنا هذا، ولليهود المغاربة عيد شعبي يختمون به أيام عيد الفصح - ذكرى عبور موسى البحر - ويسمّون هذا العيد «ميمونة»، ويزعمون أنه ذكرى وفاة ميمون بن يوسف والد موسى بن ميمون الذي أنجب هذا الرجل العظيم.

ومازال طائفة اليهود المغاربة والشرقيين تحتفل بهذه المناسبة حتى في إسرائيل! وإلى جانب ابن ميمون خمل ذكر كثير من الفقهاء والشرعيين اليهود، نذكر منهم على سبيل المثال إسحق بن يعقوب الفاسي المولود في ولاية «قسنطينة» بالجزائر عام ١٠١٣م، والمتوفى في إقليم قرطبة بالأندلس عام ١١٠٣. وكان مرجعا في تفسير التلمود البابلي، وألف في الفقه اليهودي كتابا جرّد فيه هذا التلمود البابلي من المناقشات الطويلة والأساطير والخرافات، واكتفى بالأحكام الشرعية، فاشتهر كتابه هذا باسم «مختصر التلمود» أو «التلمود الصغير».

وفي القرن السادس عشر الميلادي ظهر في التشريع اليهودي أول كتاب غلبت شهرته على ما سبقه من الكتب وهو «شُلْحَانْ تمارُوخ» أي «المائدة المرتَّبة» غلب حتى على كتاب ابن ميمون نفسه. والآن لاتوجد محكمة للأحوال الشخصية اليهودية، ولا مركز لرئيس الطائفة (الحاخام) ولا مكتبة يهودية محترمة إلاّ وفيها «شُلحان تمارُوخ» من تأليف يوسف بن إفرايم كارو، المولود في البرتغال عام ١٤٨٨. وانتقلت به أسرته وهو طفل، على إثر سقوط الأندلس وسيادة الكاثوليك واضطهاد المسلمين واليهود. فأقامت هذه الأسرة في «أدرنة» بتركيا، وفي عام عام ١٥٣٦م سافر يوسف كارو إلى صفد بفلسطين. وبسرعة ظهرت مواهبه التلمودية - والصوفية أيضا - فاختير رئيسا للمحكمة الملّية في هذا البلد، ومديرا لمعهده العلمي اليهودي، وفي هذه الفترة ألفّ كتابه هذا ليكون مرجعا لطلاب المعهد. ويمثل هذا الكتاب أوفى مدوّنة في الفقه اليهودي وأحسنها ترتيبا، ولذلك توجد له ترجمات بجميع اللغات التي يعيش بين أهلها يهود. ولما كان يوسف كارو من اليهود الشرقيين (السفرد) فقد جاء الحاخام الإشكنازي المعاصر له موسى بن إسرائيل إسَّرْلِسْ البولندي، واستدرك على الكتاب ما يكمله من التشريع الإشكنازي، وسمّى هذه التكملة «مَاَيّا» أي «مَفْرَش المائدة»! ومات كارو في صفد عام ١٥٧٥م.

وكان فقهاء المسلمين من الأتراك مهتمين في ذلك الوقت بالمدوّنات الفقهية الإسلامية للعمل بها في محاكمهم. وهذا موضوع آخر للبحث والمقارنة.

وفي هذه الجولة السريعة جدا في الفقه اليهودي تبين لنا أن الفقه الإسلامي كان (المنقذ) لفقه القوم من التيه الذي كان يتمثل في التوراة والمشنا والتلمود وما حولها من تفريعات.

صراع الحضارة بين الشرق والغرب



بقلم:
د. يوسف عزالدين

مازال الصراع الحضاري بين الشرق والغرب مستمرا بالرغم من تطور الغرب التقني الكبير، فهو يرى الشرق قوة عارمة قوية تقف أمام طموحه الحضاري ورغبته في السيطرة الثقافية والهيمنة الفكرية لذلك يتجاهل حضارتنا وفضلها عليه محاولا طمسها ونسيانها.

قال ول. ديورانت في (قصة الحضارة): "إن قصتنا تبدأ بالشرق، لا لأن آسيا كانت مسرحا لأقدم مدنية معروفة لنا فحسب، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية، التي ظن (سير هنري مين) خطأ أنها المصدر الوحيد الذي استقى منه العقل الحديث، فسيدهشنا أن نعلم كم مخترعا ألزم مخترعاتنا لحياتنا، وكم من نظامنا الاقتصادي والسياسي ومما لدينا من علوم وآداب ومالنا من فلسفة ودين يرتد إلى مصر والشرق".

إن ديورانت يعترف وبصراحة بأن مؤرخي الغرب لايريدون وصل جذور حضارتهم بالشرق، لذلك حاولوا بكل جهدهم طمس حضارة الشرق ووليدها الأصيل الحضارة العربية الإسلامية، وتجاهلوها وسموها حضارة الشرق، لأن الحضارة اليونانية الغربية لها صلة بهم، فهم يرونها أصل حضارتهم ومنبع ثقافتهم وقاعدة فنهم الجديد وأصل أدبهم، ولم تكن مصر وحدها التي أثَّرت في حضارتهم، إنما تمتد الجذور إلى الأشوريين والكلدانيين والبابليين، واستمدت قاعدتها من الشرق كله.. وقد اعترف ديورانت ثانية بأثر التعصب وتجاهل فضل الشرق بقوله: "إن التعصب الإقليمي الذي ساد كتابتنا التقليدية للتأريخ التي تبدأ رواية التأريخ من اليونان وتلخص آسيا في سطر واحد، لم يعد مجرد غلطة علمية، بل كان إخفاقا ذريعا في تصوير الوقائع ونقصا فاضحا...".

أوردت النصين عن كاتب منصف لأبرهن أن كثيرا من علماء الغرب مازالوا يرون الثقافة اليونانية والفكر الروماني أصل ثقافتهم، وعلى هذين المنبعين قامت حضارتهم وثقافتهم وفكرهم ليظهروا بمظهر القوي الذي لايدين للشرق بشيء، وأن حضارتهم ذاتية وخيرٌ من حضارة الشرق وأنضج من ثقافته، ولابد للثقافة الناضجة والفكر الغربي المبدع أن يسيطر على العالم لقوته وأصالته وإبداعه.

ولاشك بأن الغرب وثقافته وحضارته دخلت إلى أفكارنا وسيطرت على كثير من عقول الكتاب، لأن وسائل إعلامه في الصحف والكتب والإذاعة المرئية والمسموعة أصبحت عِلْمًا يُدرس وصناعة يجب أن تُتقن، وقد وصل في هذه الصناعة مستوى كبيرا، ولا ترقى وسائل إعلامنا في الشرق كله إلى مستواه المتطور.

وسائل إعلام الغرب

ولقوة وسائل الإعلام والأسلوب العلمي والفني في النشر والبث سيطرت على عواطف الجماهير وفهم نفسية الشرق، وغدا سبيلا من سبل خلق الإبداع الفني والإنتاج الثقافي في الغرب نفسه، وقد استغل الغرب هذه المواهب الإبداعية الكبيرة لفرض حضارته وثقافته وحياة مجتمعه ومشكلاته الفكرية والأدبية على الأمم النامية، وأبرز الفارق الحضاري بين حضارتنا المعاصرة وحضارته الشابّة الفعالة بعد أن أثّر فكريا

وحضاريا في كثير من التقاليد والعادات الشرقية، وتمكن من الضغط على جماعة ممن ليست لهم الشخصية القوية والقاعدة التراثية الصلبة، وأخذها إلى جانبه.

مع أن الشرق بفكره وحضارته وثوابت أصالته كان أقوى كثيرا منه اليوم، عندما جاء نابليون استفاد الشرق في حملته من ثقافة الغرب الجديدة وفكره المتطور ماكان متسقا مع تقاليد الشرق وعاداته الاجتماعية.. ولم تقدر هذه الحضارة على زعزعة الكيان الحضاري للأمة، بل إن هذا التحدي الغربي كان له رد فعل أفاد الفكر والأدب وحضارة الشرق، إذْ نهض الفكر وتحرك بقوة، وأخذ مايناسبه وأبدع الكُتّاب والشعراء وتطورت الحضارة.. واستمرت هذه اليقظة حتى الحرب العظمى الأولى، وزادت في الحرب العالمية الثانية، وازدهرت في النصف الأول من القرن الحالي. ثم بدأت حضارة الغرب وثقافته تتغلغل بعمق وبقوة بعد انبهار المفكر بالمخترعات الكثيرة واستكانته إلى الترف والرفاهية التي ولدتها هذه الحضارة.

التقليد والتبعية

إن الانبهار بالحضارة الغربية التي تحمل ثقافته وأدبه وأسلوب حياته كان موضع استغراب من قبل البعثة الأولى التي ذهبت إلى فرنسا، فقد رأى رفاعة رافع الطهطاوي أسلوب الحياة وطراز المجتمع وتقاليده تخالف كثيرا ماألفه في الشرق، ومن أبرز مواضع الاستغراب طريقة الطعام والشراب فوصفها لنا بقوله في "تلخيص الإبريز": "لم نشعر في أول يوم إلا وقد حصل لنا أمور غريبة في غالبها، وذلك أنهم أحضروا لنا عدة خدم فرنساوية لانعرف لغاتهم، ونحو مئة كرسي للجلوس عليها لأن هذه البلاد يستغربون جلوس الإنسان على سجادة مفروشة على الأرض. فضلا عن الجلوس بالأرض، ثم مدوا السفرة للفطور ثم جاؤوا بطبليات(١) عالية ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية وجعلوا قدام كل صحن قدحا من القزاز(٢) وسكينا وشوكة وملعقة، وفي كل طبلية قزازتين من الماء وإناء فيه ملح وآخر فيه فلفل، ثم رصوا حول الطبلية كراسي لكل واحد كرسي، ثم جاؤوا بالطبيخ ووضعوا في كل طبلية صحنا كبيرا أو صحنين ليغرف أحد أهل الطبلية ويقسم على الجميع لكل إنسان في صحنه شيئاً يقطعه بالسكين التي قدامه، ثم يوصله إلى فمه بالشوكة لا بيده، فلا يأكل الإنسان بيده أصلا ولابشوكة غيره أو سكينه أو يشرب من قدحه أبدا".

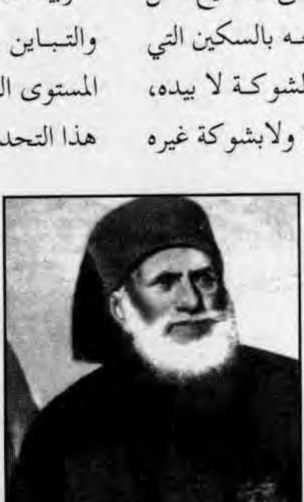
هذا الاستغراب في طريقة تناول الطعام والجلوس إلى المائدة أصبح أمرا طبيعيا في عالمنا الشرقي، فقد قرأت في مناهج دراسة التدبير المنزلي الأسلوب والقواعد ذاتها، وبدأت المدارس تدرسها وتعلم الفتيات ترتيب المائدة ووضع الأطباق والجلوس إلى المائدة وطريقة الجلوس وقواعد تقديم الطعام ومتى يبدأ الجالس بالأكل وكيف يأكل.. وكأننا لم نكن نعرف حضارة الأكل وأسلوب تناوله.. لأن حضارة الغرب أصبحت جزءا من حياتنا وأسلوبا طبيعيا من شرائح المجتمع العربي الذي استغرب الطهطاوي هذا الأسلوب حتى سجله لأنه شيء جديد غريب.

ضعف الشرق

لاشك بأن شعور الضعف الذي استولى على كثير من أبناء هذا الشرق من جراء قوة الغرب وتقدمه التقني دعاه إلى التقليد منذ زمن محمد علي باشا. وعندما كان الجيل قوي الأصالة عميق الجذور في الحضارة الإسلامية أخذ من الغرب مالاءم تقاليده وعاداته ومثله ودينه ومجتمعه.

المصلحون

إن ظهور عدد من المصلحين المسلمين والعرب كان سببا في توعية الأمة بالمخاطر التي سوف يتعرض لها الشرق من الثقافة الغربية للاختلاف الجذري بين الحضارتين، والتباين بين العقيدتين، فأراد المصلح رفع المستوى الثقافي في الشرق ليقدر على هضم هذا التحدي الجديد، وينبه على مايفيد الأمة من تراث الغرب وحضارته شرط الاحتفاظ بأصالة اللغة العربية والتراث الإسلامي، منهم عبدالرحمن الكواكبي في كتابيه "أم القرى" و "طبائع الاستبداد"، ودعوة جمال الدين الأفغاني، وتبعه محمد عبده ووجد هذا الصدى في كتابات محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان.



محمد علي باشا



الزهاوي

التيار المادي

كان رد الفعل واضحا أمام تيار الغرب المادي عندما نشرت "نظرية النشوء والارتقاء" لجارلس دارون في كتابه "أصل الأنواع" الذي احتقر الإنسان، وجحد كونه

سيد المخلوقات، وبما كتب شبلي شميل في "فلسفة النشوء والارتقاء" فرد عليهم جمال الدين الأفغاني في "الرد على الدهريين" كما رد محمد عبده. وكتب فريد وجدي كتابه "أطلال على المذهب المادي" للوقوف أمام التشكيك في ثقافتنا الروحية ومقاومة النظريات المادية الغربية.

موقف الشرق

إن التطور العلمي أو الفكر الجديد في الغرب كان عاملا قويا في هز الشرق عندما رأى قوة الغرب وتطوره العلمي، فقد أثرت فيه حملة نابليون والعلماء الذين جاؤوا مع الحملة لما أسَّسُوا المجمع العلمي المصري، وبدأ

أصاب هوس الإعجاب بالغرب ونظرياته بعض المفكرين فدعوا إلى تقليده

العلماء المسلمون يحتكون بالعلماء الفرنسيين، ووجدوا هناك علوما أخرى غير العلوم التي يعرفونها. وقد حدثنا الجبرتي عن التجارب العلمية التي كانت تجري، واندهاش علماء مصر بهذه العلوم الجديدة، وقد كان ميالا إلى هذه العلوم وفضل الحكم الفرنسي على الحكم العثماني وحكم المماليك، وذكر أسلوبهم في العدل وإصلاحاتهم، وعَدَّهم رسل الثقافة، لارسل استعمار، فكان من أوائل من رضي بالثقافة الغربية. وكان حسن العطار أكثر صراحة عندما طالب بأخذ الحضارة الغربية عندما وازنها بما آل إليه حال مصر من تأخر وانحطاط.

وجاءت "روضة المدارس" و "يعسوب الطب" وغيرها من المجلات التي صدرت، وفيها ذكر أعلام الغرب وعلمائهم مع مصطلحات حديثة في العلوم، ومن ثم تبنت "المقتطف" ترجمة كثير من علوم الغرب ونظرياته، فكان صدى هذه النظريات عميقا في فكر المفكرين في كثير من الأقطار العربية، بخاصة نظرية التطور لجارلس دارون، ونظرية جمس جينز في تكون المجموعة الشمسية، وظهور نظرية الجاذبية لإسحق نيوتن، وأسهم شبلي شميل وصرُّوف في نشرها وشرحها.

وفي العراق أصاب هوس الإعجاب بالغرب ونظرياته بعض المفكرين، وكان أكثرهم اندفاعا جميل صدقي الزهاوي متأثرا بما تنشره مجلة المقتطف، فدعا إلى مساواة المرأة بالرجل في جميع الحياة العامة والاختلاط قبل الزواج، دون مراعاة المجتمع الإسلامي وتقاليده. قال:

في الغرب حيث كلا الجنسين يشتغل
لايفضل المرأة المقدامةَ الرجلُ

ويذكر سقراط وأرسطو وكوبرنيكس وداروين وسبنسر واديسون وغيرهم من المخترعين والمكتشفين في الغرب مع الفلاسفة، فقال في قصيدة الجحيم:

ثم إني سمعت سقراط يلقي
خطبة في الجحيم وهي تفور
وإلى جنبه على النار أفلا
طون يصغي كأنه مسرور
وارسطاطاليس الكبير وقد أغر
ق منه المشاعرَ التفكيرُ
ثم كوبر نيك الذي كان قد أفـ
ـهمنا أن الأرض جرم يدور
ثم داروين وهو من قال أنا
نسل قرد قضت عليه الدهور

وعندما مات توماس أديسون رثاه وسماه ملك الكهرباء:

يابلاد الأمريك إنا مُعزُو
كِ على رُزْءٍ قد أبى أن يهونا
مَلكَ الكهرباءِ خلَّدك العلـ
ـم وإن كنت قد لقيتَ المنونا

أمام هذا الزخم الكبير من التيار الغربي الذي نشره كُتّاب التحديث وقف التيار المعارض الذي كان يقف على قاعدة صلبة من التراث الإسلامي والأدب العربي وثبت أمامه. لأن أكثر دعاة التغريب كانوا يجهلون جذور هذا الفكر والأسباب التي دعت إلى ظهوره، وردد (العصري) الآراء كالببغاء دون عمقٍ في الفهم ومعرفة بالأسباب، فهو يتحدث عن الاتباعية (الكلاسيكيّة)، ولكن يمثل بأمثلة من الإبداعية (الرومانسية)، ويتحدث عن (الواقعية) ولكن يمثل (بالرمزية) ولعل مرد هذا الخلط عدم فهم هؤلاء لنظريات الأدب والفكر الغربي فهماً جذريا.

إن ثبات الفكر الشرقي أمام التيار الغربي يظهر قوة شخصية المفكر الشرقي الذي ماضاعت شخصيته أو اهتزت مثله أو ضاعت تقاليده، وسَلِم من القلق والحيرة بالرغم من أن الفكر الذي وصله كان نتيجة قلق واضطراب في نفس الغربي من جراء الحروب والمطاحنات الطائفية والعرقية في الغرب، وسيطرة المادية الجافة التي آمنت بالعلم والمختبر وبالتطبيق العلمي للنظريات الجديدة بعد انحسار سيطرة الإيمان الروحي من النفوس وتوغلها في العالم المادي الجديد.

إن الحروب والمنازعات الغربية انعكست على نظرياته وآرائه وفلسفته وعلى بنائه الفكري والأدبي والاقتصادي والاجتماعي.. إن فقدان الأثر الروحي وظهور المخترعات والاكتشافات الجديدة هزت الفكر الغربي

صراع الحضارة بين الشرق والغرب

القديم، وأبرزت فلسفات وآراءَ جديدةً ظهرت بعد الحروب الطاحنة، فولدت الحيرة والقلق بعد تدهور المُثُل العالية وضياع التقاليد السامية التي كان يعيش عليها الفكر الأدبي التي أدت إلى ظهور تيارات فكرية وأدبية جديدة وأساليب فنية حديثة، كالوجودية والسريالية وأدب اللامنتمي والدادية والتكعيبية والتجريدية واللامعقول والعبثية.

إن انشغال الفكر العربي بآلام حاضره سبب التوتر النفسي والحيرة التي كمنت في اللاشعور، وأبعدت المقلد عن أصالة الفن ومتعة الجمال ورقة الأحاسيس الأدبية التي تلهم العواطف النبيلة والأفكار السامية



عبد الرحمن الكوتكبي



رفاعة رافع الطهطاوي

ووضوح التعبير وجودة اللفظة ومافيها من صفاء روحي وهدوء، لأن المتناقضات الغربية أدت إلى تشويه واضح في الإنتاج الأدبي والفني، واضطراب في فلسفة الحياة التي رسخت في الفكر الغربي، والتي وجد فيها الكاتب العربي القلق راحةً نفسية.

الصراع الاقتصادي

إن كثيراً من المفكرين المعاصرين لم يدرسوا الأثر الاقتصادي في السيطرة الثقافية والغزو الفكري، وظنوا بأن الاستعمار لم يأت إلا لنشر دينه وعاداته وتقاليده. والواقع أن الصراع كان بين الرأسمالية وفكر ماركس والفكر المتمثل بالشيوعية قويا، وأنَّ التقدم الصناعي في الغرب أدى إلى وفرة الإنتاج، والحاجة الماسة إلى المواد الأولية، إضافة إلى أن الشرق خير سوق لبيع إنتاج المصانع المتقدمة التي تركت النول اليدوي إلى الآلة التي اختصرت عدداً من العمال، وأدت إلى بطالة لم تكن في الغرب من قَبْلِ الثورة الصناعية.

فالاستعمار الحربي أو السياسي جاء إلى الشرق وأثار الحروب للسيطرة على مخزن كبير للمواد الأولية، الرخيصة الثمن السهلة المنال. جاء إلى الشرق تحت شعار تحضير الأمم المتأخرة، وبث الحرية بنشر المدنية الأوروبية وحضارة الغرب وعلمه وثقافته ولغته، وقد كانت الكنيسة بقواها الدينية تسند هذه السيطرة التي أخفت باسم الدين والحضارة أزمتها الاقتصادية.

وجد الغرب ثوابت الشرق الحضارية ليست هشة الأخذ أو سهلة السيطرة، لأن المفكر الشرقي له قاعدة من اللغة العربية ومن الحضارة الإسلامية درسها في مساجد مكة المكرمة والمدينة المنورة والأزهر و بغداد ودمشق والزيتونة. وقف أمام تيار حضارة الغرب وهضمها واستفاد منها وطورها حسب حاجته وقوة إرادته والمنفعة التي تعود على أمته، فالعامل الاقتصادي كان الدافع الأول للاستعمار الحربي والسياسي والديني، أخفاه وراء دعوة التمدن والحرية والحضارة.

إن مقاومة الاستعمار بالثورة عليه أو محاسبته أو رفض آرائه كانت تقوم على قاعدة الاختلاف في الدين واللغة والأصل، بل بالشكل الخارجي، لأن التراث الإسلامي الضخم لم يذب أو يضمحل أو يذهب، إنما سكن في اللاشعور بالرغم من أنَّ الحملات الأولى التي وصلت إلى الشرق كانت تلبس لباس البحث العلمي وحب الاستطلاع والسياحة.. أراد الغرب إضعاف هذه الشخصية القوية التي تقف أمام سيطرته بالدراسة العلمية والإحصاءات الحسابية، وعرف أن الدين الإسلامي هو القوة التي تقف أمامه. فادّعى بأنه سبب تخلف الشرق وانحطاطه، فتصدى له المفكرون والشعراء والأدباء، وفنّدوا هذا الزعم الباطل بإثبات أن المسلمين الأوائل قد تقدموا بالإسلام، وتطورت حياتهم الحضارية فيه، ومن هؤلاء معروف عبدالغني الرصافي الذي يقول:

يقولون في الإسلام ظلماً بأنه
يصد بنيه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت
أوائله في عهدها المتقدم؟
إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله
فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم في الإسلام إلا فريضة
وهل أمة سادت بغير التعلم

وكان رد الفعل الدعوة إلى إحياء التراث الإسلامي، وإلى إصلاح أحوال المسلمين، ونشر الثقافة العربية، ونبذ كل غريب، والاستفادة من مخترعات الغرب وفهم حضارته في الوقت نفسه.

نشر ثقافة الغرب

بالرغم من قدرة الغرب على الحرب السياسية وانتصاره بالمخترعات الجديدة،

وبالرغم من أنه سيطر على كثير من الأقطار العربية فلم تنثن المقاومة السياسية والتحدي الثقافي والحضاري، فاضطر الاستعمار إلى إنشاء حكومات صورية، حُكّامُهَا من أبناء القطر، وبدأ يحكمها من وراء ستار بالمستشارين الذين كان يعينهم مع الوزراء لامتصاص هذا التحدي، وكسر حيويته الدافعة، ثم بذل الجهد بإبعاد العربي عن التأريخ الإسلامي بالعناية بالتأريخ القديم، مثل آشور وآكد وبابل في العراق، وبالحضارة الفينيقية في الشام، والحضارة الفرعونية في مصر، وأخذ يظهر رمز هذه الحضارات في الطوابع والنقود وفي التأريخ، ويُعنى عناية

الفكر الإسلامي لم يضمحل أو يذب رغم قوة تيار التغريب

خاصة بها، متجاهلا حضارة الإسلام والعرب، واهتم بدراسة آثار الحضارة القديمة للقضاء على الاعتزاز الروحي والكيان الفكري، وقطع صلة العربي والمسلم بالتراث، لأنه متى انفصم عن تراثه أحس بالغربة والحيرة والقلق، وعندما يعيش في الفراغ الروحي والقلق الحضاري يسهل على الغرب الاستيلاء على فكره، وتوجيهه الوجهة التي يريدها، ومتى تاه فكره وضل في روحه، فسيكون إنسانا بلا قاعدة روحية، وتسيطر عليه (اللاأبالية)، ويندفع نحو اللهو والعبث والاهتمام بالمظاهر البراقة والطقوس الظاهرية والعدمية القاتلة، دون أن يسبر غور الفكر الغربي، ويعرف شيئا عن حضارته المزدهرة، وتراثه الأصيل.

اللغة الأجنبية

كانت أول محاولات التغريب نشر اللغة الأجنبية في أوطاننا، لأن اللغة الغربية تحمل ثقافته وحضارته، ومتى أحب العربي لغة الأجنبي فسوف يرتبط به ويزداد الإعجاب بالأدب وبالتالي بالثقافة وأخيرا بالحضارة.. فكان أبناء العراق وفلسطين والسودان يتعلمون الإنجليزية، وأبناء الشام وشمالي إفريقيا العربية يتعلمون الفرنسية، وطرابلس وبرقة وفزان يدرسون الإيطالية، وقد تمكن الفرنسيون من خلق جيل لايعرف لغته في المغرب وتونس والجزائر.

الغريب أن اليهود أحيوا لغتهم الميتة، بل إن برودسكي كتب باليديش اللغة الميتة، وأخذ جائزة نوبل، وأصر اليهود على العبرية وإحيائها مع أنها لغة محدودة الثقافة ضيقة الحضارة، كما اعتزت اليابان وروسيا والمانيا بلغتهم الخاصة.. إن نشر اللغة الأجنبية يرمي إلى هدفين:

الأول: فصل الأمة العربية عن أصولها. وكنت أقابل في أوربا قسما من العرب لايعرفون اللغة العربية ويتحدثون الفرنسية أو الإنجليزية بطلاقة دون أن يعرفوا شيئا من لغتهم، فكانت اللغة سببا في ضياع الشخصية، والانضواء تحت لواء أمة أخرى.

الثاني: إبعادهم عن القرآن الكريم، وظهر ذلك بوضوح عندما رفضت ترجمة فارس الشدياق للإنجيل، لأنها صيغت بأسلوب عربي متين، ثم كُتِبَ الإنجيل بعدها بلغة ركيكة حتى لايحس المسيحي بجمال اللغة العربية وحلاوتها، فتؤدي إلى الإحساس بجمال اللغة والعودة إلى جذورها، ومن أهمها القرآن الكريم والحديث النبوي.

وقد فُرض على الأطفال العرب تعلمها بقوة، ونشأ جيل لايعرف سواها، وبواسطتها بث أفكاره باسم التطور والتقدم والعصرية والتنوير أو محاربة الرجعية والتخلف، فكان بعض أصحاب الشهادات العليا من أدوات هذا التيار في مهاجمة التراث بعد أن غُرِس فيهم الإعجاب باللغة الأجنبية والتباهي بتعلمها، كما تعلمها جماعة من العرب شعوراً بالنقص أولا، والاستفادة من وظائف الأجنبي ثانيا، فوجدناهم يرطنون بفخر، ومن كان منهم يستعمل العربية يحشو لغته ببعض الكلمات الغربية، وأكثَرَ أصحاب الشهادات العالية من استعمال المصطلحات الأجنبية من اللغة التي درسوا فيها، مع أن اللغة العربية تستوعب كل المصطلحات الأجنبية، وقد وجد مايماثلها بالعربية.

وعمل مجامع اللغة العربية المتواصل دليل على أن العربية مطواع، فقد أخرجت هذه المجامع عددا كبيرا من المعاجم لكثير من المصطلحات الحديثة.

وزاد الطين بلة الاستعمار اللغوي الذي جاء مع الخَدَم، وأخذت الأم تتباهى بأن أولادها يعرفون اللغة الهندية أو لغة الأردو أو التايلندية، وللأسف أخذ العرب يلوون ألسنتهم بلغتهم عندما يتخاطبون مع الخدم، وكان حَريا بهم تعليمهم العربية، لأن أكثرهم من المسلمين، بفتح مدارس مسائية لتعليمهم اللغة العربية.

إن اليابان والصين وروسيا تمسكت بلغاتها وبدأ تعلم العلوم بها. أذكر أنني قابلت شون لاي، وكان الشخص الأول في الصين بعد ماوتسي تونغ، وأخذنا نتحدث معه، فكان يرد علينا بالصينية من خلال المترجم، فقلت له ياسيادة الرئيس أنت تعرف الإنجليزية والفرنسية وجميل أن ترد علينا بإحداهما..

صراع الحضارة بين الشرق والغرب

فضحك وأجابني مرة أخرى باللغة الصينية.

إن المؤلم أن يكون العربيّ هو الذي يحمل ثقافة الغرب ويدعو لها، ويعدها خيرا من ثقافتنا، فهل رضي المثقف الصيني والياباني والروسي بهذا؟

إن وجود لغة أخرى خَلَقَ ثُنائية في التعليم وتمزقا ثقافيا أدى إلى وجود تعليم ديني وتعليم مدني، وعلى هذه الثنائية أسست الجامعات العربية لتقابل التعليم في الأزهر، بينما كان السلف الصالح لايعرف إلا تعليما واحدا يخرج من مدارسه سواء أكانت المساجد أو المدارس، وماانقسم المجتمع إلى جديد وقديم، أو متطور ومتخلف، وقد حدث تنافر كبير بين تعليم الأزهر ثم دار العلوم من جهة والجامعات الحديثة من جهة أخرى، وبذلك خلق طائفتين أو جيلين ينادي كل واحد بأنه على الحق، وأن صاحبه هو الذي يعيش في الضلال.

إن كراهية اللغة الأجنبية كانت نتاج العمل السياسي، وكان رد الفعل الاهتمام بدراسة التراث العربي الأصيل حتى يرد على الاستعمار العسكري والسيطرة الاقتصادية، ونما في النفوس الشك من كل علوم الغرب، فابتعد جانب من المفكرين عن تيارات الغرب.

صراع بين جيلين

غير أن الجيل الثاني بدأ يألف العلوم الجديدة بعد أن كثرت المجلات والجرائد في مصر ولبنان ودمشق تتحدث عن شيء جديد، وتمكنت بعض العقائد من السيطرة، وخلقت لها أنصارا، وأنشأت أحزابا وجمعيات تعجب بالغرب وعلمه، ثم نسي بعد ذلك أعمال المستعمر الأول، ونشأ جيل تعلم اللغة الأجنبية، وأصبحت كراهية المستعمر بعيدة عنه لأنه لم يمارسها أو يحس بوطأتها، وبدأت المعركة الكبيرة بين التيار الراديكالي والفكر الرأسمالي، وكل واحد يدعو إلى مثل عليا وشعارات براقة. وقد نفذ الفكر الجديد إلى كثير من عقول الشباب عندما أحس بأنه مسحوق ماديا ومعنويا، وتجلى الاحتكاك الكبير بين مثل الشاب ومايقرأ ومايدرس، فجرّه إلى حيرة وقلق وضياع روحي، وبدأت تهتز بعض مثله القديمة، وتتناقض الآراء التي درسها.

كيف نسترد شخصيتنا؟

إن الصراع الثقافي الذي جاء من الاحتكاك المباشر وغير المباشر بثقافتنا خلق جيلا مضطرب الفكر حائر الرأي وقد ساعد الغرب على هذه السيطرة والحيرة والقلق، فما السبيل إلى إعادة الثقة بالنفس؟، أعتقد أن ذلك يكون بما يلي:

١- خلق جيل قوي متين مزود بالثقافة العربية الأصيلة مع دراسة عميقة للتراث الغربي بعد أن خُلق جيل آمن بالمفاهيم اليسارية والرأسمالية، وكلتا القاعدتين اقتصادية بالدرجة الأولى، ومتى فهم هذا الجيل الأسباب والدوافع ووازن ذلك بحضارته فسوف ينشأ جيل له قابلية كبيرة في هضم الفكر الجديد واحتواء كل حديث.

٢- فهم حضارة الغرب في ضوء المقومات الشرقية، وتقليص شدة الانبهار وعمق الإعجاب بإحياء جانب من حضارتنا وموازنتها بحضارته، وبالجذور التي استقى منها الغرب حضارته، وأثر حضارتنا في حياته.

٣- بذر الغرب التفرقة والبغضاء بين أبناء العرب ليسهل عليه السيطرة عليهم متفرقين خوفا من قوة العرب ووعيهم في الاتحاد والدفاع عن المصير المشترك بعد أن وجد جذورهم الحضارية قوية وتراثهم متين البناء وحدة نظرتهم وقوة أصالتهم وبناء شخصيتهم، فعلينا أن نتحد لمواجهة عدونا.

٤- نشر الحرية الكاملة بعد أن بذر الغرب في أقطارنا روح الدكتاتورية لقمع الحركات الفكرية التي يراد منها قمع الشعوب وقتل حريتها كاملة.. وحاول رفاعة الطهطاوي فهم الفلسفة البرجوازية، وضرب الأمثلة بالحرية بأيام العرب، وأنهم كانوا أحرارا، وأورد قول عمر بن الخطاب: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)، وأراد الاستفادة الصالحة، وندد بمساوىء الغرب لثقته وإيمانه بالتراث الفكري، وليحذر الناس من مساوىء الغرب حتى لايضعف أمام مظاهره ويفتن بما فيها.

٥- وضع منهج حديث لكل المدارس في التدريس بداية من اللغة العربية وتدريسها والعلوم البحتة والتقنية، ووضع منهج يلائم الفكر الأصيل والحضارة الجديدة والاهتمام بجوهر الأمور والابتعاد عن المظاهر البراقة، لأن التطور الاجتماعي يجب أن يكون جزءاً من اللاشعور الروحي حتى يعمل به الجيل، والابتعاد عن ثنائية التعليم لبناء الشخصية الجديدة والثقافة الحديثة، وقد حاول ذلك علي مبارك عندما أسس دار العلوم ليجمع بين الثقافة الغربية والأصالة العربية.

٦- يجب التصدي لدعوات الغرب بالانتقاص من المُثل العليا لهدم المقوّمات العربية والإسلامية بأساليب جديدة بعيدة عن الوعيد والخطب والترهيب لخلق إنسان يؤمن بحضارته، ولايكون ذلك إلا بالقضاء على أمية المتعلمين والقضاء على الجهل الحضاري عند الدارسين وبالاستفادة من حضارة الغرب ووسائل إعلامه وأسلوبه في بث الثقافة ونشر علومه وأفكاره.

أثر المنجزات التقنية في الشخصية الروائية



بقلم: د. نعيم عطيه

تعرض هذه الدراسة لبعض التأملات حول ماإذا كان للتقنية الحديثة ومنجزاتها تأثير في فن الرواية. وفي هذا المقام يثور التساؤل عن الجهود الفضائية، وابتعاد الإنسان في أقماره وصواريخه عن هذا المكان الذي يسمى بالأرض من ناحية، والجهود من أجل تصنيع الإنسان الآلي أو «الروبوت» الذي سيتزايد إنتاجه مع التحسن الذي سيدخل على هذه الصناعة المذهلة، بحيث تصنع نسخ مكررة من الروبوت الذي يحاكي الإنسان في قدراته بلا اسم ولا هوية من ناحية أخرى. هل لهذه المظاهر المستقبلية تأثير في فن الرواية العريق؟

إن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في الأدب الروائي الحديث هو: هل يمكن تصور عمل روائي تقع أحداثه في "اللامكان"؟ أو بعبارة أخرى في "أي مكان بلاتحديد" ولايكون بطل هذا العمل شخصاً بعينه، بل أي شخص بلا ضابط أوقيد؟

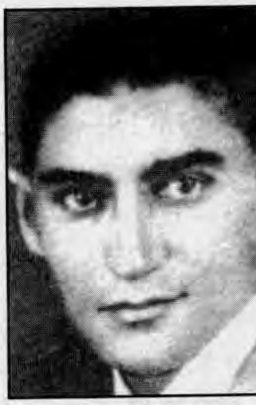
شخصيات في وجود بلا معنى

هذا هو ما آلى على نفسه القيام به نفر من الروائيين منذ كافكا إلى بيكيت مقدمين إلى تاريخ الرواية مايمكن أن نسميه "بالرواية الحيادية" أو "الرواية التجريدية"، أو إن شئنا أن نستعير تعبيراً للناقد رولان بارت، أمكننا أن نطلقَ عليها "درجة الصفر في الكتابة الأدبية" حيث يحلم الروائي برواية كل من فيها "مجهول" لا اسم له، ولا أسرة، ولاعنوان، ولاغير ذلك من البيانات التي ترد في "بطاقات الهوية" ولايوجد في قلب العمل الروائي سوى شخص غير محدد المعالم. وبذلك تفتقد الرواية كل مضامينها التقليدية لتصبح مجرد "قصيدة" أو إن شئنا "مجرد ممارسة للكتابة من أجل الكتابة" مما يقرب "العمل الروائي" من "عمل تشكيلي لاموضوعي".

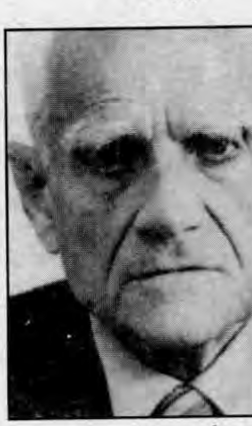
ولقد خلق فرانز كافكا -ربما دون قصد منه إذ كان يعتقد أنه كاتب واقعي، يسلط أنظاره على أحداث الحياة اليومية العابرة- خلق كافكا بعض معتقدات العبث والقلق التي تسلطت على جيل الروائيين اللاحقين به، وواصلت إلى تولد "الصياغات السلبية" في الفن الروائي المعاصر.

في رواية كافكا "القضية" نجد رجلاً غير معروف الهوية -فليس ثمة تفاصيل تعطى لنا عن حياته أو عن ماضيه أو عن أسرته- يُواجَهُ باتهام دون أن يعرف أبداً ماهي جريمته التي ارتكبها..يمضي إلى محام يستشيره. ويجوب شوارع مدينة شبحية.. ولايعني شيئاً هنا أن اسمها براغ.. يشحذ تفكيره وذاكرته فيما قد يكون سببا لاتهامه.. وتتوسط له صاحبة الغرفة التي يقيم فيها لدى السلطات القضائية.. وكلما تزايد تفكيره وتصوراته عما يمكن أن يكون موضوع الاتهام الموجه إليه، تزايدت وطأة الكابوس على هذا الرجل الذي لايُعرفُ من اسمه سوى حرف واحد هو "كا" والذي ماإن يتوصل إلى المثول أمام قاضيه حتى يصدر حكمٌ بإدانته، وينفذ فيه حكم الإعدام رجلان مجهولان في أرض خالية مهجورة.. وهكذا بدأ في الأدب الروائي الحديث هذا الاتجاه الذي سيتضخم بعد ذلك.. ونعني به الاتجاه إلى "الحذف" حذف الأسماء والمعالم وعلى الأخص العلل المسوّغة والمفسرة للسلوكات الإنسانية.. وإذا كان ذلك قد أخذ مأخذ الرمز والإيماء إلى الوضع الإنساني، إلا إن قوة هذا العمل الروائي وأهميته في تاريخ الفن الروائي، إنما ترجع على الأخص إلى تلك الدعوة، وإن شئنا الدقة، ذلك التحريض على إلغاء القرائن الاجتماعية والنفسية والسياسية من العمل الروائي.

ماهي الشخصية التي أدخلها كافكا إلى تاريخ الرواية؟ إنها شخصية الإنسان الذي يوجد في هذا العالم دون أن يكون لوجوده، ولا لوجود الآخرين معنى. ومن ثم يوصلنا كافكا في رواياته إلى معاينة "السلوك الإنساني المعرَّى من السبب" ماذا نستخلص من ذلك؟ إننا نستخلص من ذلك



فرانز كافكا



ألبرتو مورافيا

ولاشك تأكيدا للقول بأن الوضع الإنساني هو قبل كل شيء.. "حضور". وقد أدرك ذلك الآن روب جرييه فكتب عن أحداث روايات صمويل بيكيت يقول «في هذا العالم الروائي الحركات والأشياء هي "موجودات" قبل أن تكون "ذات معنى"» .. والآن.. وقد توضّح لنا أمر على غاية من الأهمية في تفهم "تلك الشخصية المجهّلة" التي دخلت الرواية الحديثة.. ألا يجدر بنا أن نقرن الفكرة بالأنموذج.. فنضرب أمثلة على هذه الشخصية المجهَّلة التي خلفها كافكا للروائيين اللاحقين منذ عام ١٩٤٠م؟ نجد ذلك عند دينوبوزاتي، وعلى الأخص في روايته "صحراء التارتار" حيث نرى جنوداً يحرسون قلاعاً صغيرة متناثرة وسط الصحراء. ولكن هؤلاء الجنود قد نسوا منذ سنين وربما منذ قرون أي بلد يحرسون، وأي عدو انتظموا يصدون هجماته.. في هذا العمل كما في "القضية" وفي "القلعة" أو "القصر" لكافكا نجد صرحا مكتملا يشد بعضه بعضا.. ولاينقصه شيء سوى "المعنى".. سوى العلة من وجود كل هذه الظواهر التي لاحصر لها.. وإذا أمكن للروائي أن يحذف من عمله أخطر مافيه وهو "منطق وجوده" فليس من الصعب أن يمتد منهج الحذف إلى كل مقومات العمل الأدبي.. ومنها الشخصية، فمن "اللامعنى" يمكن أن ننتقل إلى "اللاشخصية" بكل سهولة ويسر.

ومن ثم في كل روايات موريس بلانشو: "حكم الإعدام" عام ١٩٤٨م و"توما الغامض" عام ١٩٥٠م و"في اللحظة المقصودة" عام ١٩٥١م نجدنا على الدوام في "تيه" وتجري الأحداث بين شخصيات لاتعرف من أين أتت وإلى أين تذهب. وهي شخصيات رئيسة ملقى بها في عالم سُحبَ منه ابتداء كلُّ معنى؛ فلانجد مثلا في "توما الغامض" سوى رجل يسير بالقرب من البحر ويمر بفنادق وفنادق، يدخل غرفا، يجتاز أروقة.. يلتقي بامرأة.. ثم يمضي إلى البحر.. من جديد.

وكم من روائي غير بوزاتي وبلانشو سيجترون هذه الفكرة، بل إنه مابين عامي ١٩٦٠و ١٩٦٦م لم يخل في كل من "الرواية الجديدة" و"السينما الجديدة" عمل فني أو أدبي من صورة ذلك الرجل الذي يُرَى من ظهره هائما سائراً كما لو كان يطارده كابوس خفي، ويمضي هو في بحث مضنٍ عن قدره.

ولنعد في هذا المقام إلى بيكيت الذي كان تلميذا لجيمس جويس في لغته، إلاّ أنه السليل الشرعي لكافكا في خياله الروائي.. سواء أراد بيكيت ذلك أم لم يرد، وسواء تبينه مبكراً أم اكتشفه مؤخرا.. فمنذ عام ١٩٤٧م وبيكيت يتكلم عن إحساسه بوجود رمادي قاتم حُذفَ منه كل معنى، وحل محله قلق تَعس وشَجَني.. مامن أمرٍ في أعماله الروائية سوى ذلك الهيمان الحزين لرجل أعزل في عالم حُرِمَ من كل تبرير.. إن شخصيات بيكيت تعيش في حالة من العزلة والضياع كاملة ومطبقة.. بلا أهلٍ.. بلا أولاد.. بلا أسرة.. بلاحالة اجتماعية.. ثم بلا أذرع.. وبلا سيقان. ولم يبق لها من إمكانات سوى أن ترفع عقيرتها بالكلام عن تعاستها. ولنسمعه في "مولوي" يقول: ".. بعد قليل سيطبق العمى.. لم أعد أسير.. سأصبح أخرس أيضاً والضجيج يضمحل.. بمجرد عبور العتبة يكون هذا هو الحال". ورويدا رويدا، يصبح هذا الصوت الرتيب الأصم المجهَد سلسلةً من التراتيل التي يفصح فيها الإنسان عن ألمه بلغة حزينة وممتلئة "بذكريات مثل ديدان تزحف في الطين".

وكي يتحقق التنويع الروائي يعمد بعض الكتاب إلى خلط همهمات النفس الداخلية بصخب العالم الخارجي، كما فعل كلود مورياك في روايته "العشاء في المدينة"، وتقوم على حوار أجوف حول مائدة.. رنين الأقداح والأطباق.. أحاديث في موضوع قديم.. مناقشات أدبية.. وفي خضم كل هذا يعلو الصوت الداخلي لأحد الحاضرين يتذوق كأسه، ويحلم، بينما يدور الحديث من حوله، بل ويشترك فيه من وقت لآخر.

وإذا لم تعد الرواية محكية بمعرفة الروائي، أو بتوجيه خطابه إلى القارىء، فإنه لايبقى في الواقع سوى عنصرين هما: الأشياء أولاً، والصوت الذي يلتقي به القارىء ثانيا.. وبين هذين المنهجين من مناهج الرؤية التي تبدو متعارضة بحسب الظاهر، مال الروائيون إلى اختيار أحد طرفي النقيضين: الموضوعية أو الذاتية، والتزام مايسفر عنه اختيارهم في أعمالهم الروائية. وإذا كانت الرواية الجديدة هي على الأخص رواية "اللاشخصية" أو "اللابطل" فيمكننا أن نلحظ مع الناقد برنارد بينجو أن ثمة وسيلتين للتخلص من الشخصية الروائية: الأولى مباشرة يجريها الروائي، فيحذفها كلما لاحت في العمل الروائي، والثانية غير مباشرة بأن يطلب من الشخصية ذاتها أن تفترس نفسه، وقد لجأ روب جرييه إلى الوسيلة الأولى، بينما عمد بيكيت إلى الوسيلة الثانية.

منهج الحذف

وفي "منهج الحذف" نجد العالم الخارجي يكتسب أهمية على حساب الإنسان، فلاتصبح

الأشياء ملكاً له، بل يصبح هو منتسباً وتابعاً للأشياء.. فيتراجع وينمحي أمامها. أما في "منهج الافتراس" فإن العالم الخارجي المهشم المبتلع يصبح مجتراً بواسطة ضمير لايجد دعامة من داخله مما يترتب عليه انهياره، وهو في انهياره هذا يجرف الشخصية التي كانت عاجزة عن أن تحدد نفسها، وتتبين حقيقة هذا الضمير الذي يتحدث.

وفي مقام التخلخل الذي طرأ على الشخصية الروائية المعاصرة يجدر ألا ننسى ذلك التأثير المزلزل الذي أتى به الفن للروائي - والمسرحي أيضاً - للكاتب الإيطالي لويجي بيراندللو. فمنذ السنوات الأولى من القرن الحالي بدأ بيراندللو منهجاً نفسياً (سيكلوجيا) جديدا لمعالجة الشخصية الروائية وعرضها. وقد امتد هذا المنهج في إيطاليا عند موارفيا، وفي فرنسا عند جيد وسارتر، وفي إنجلترا عند هكسلي. وقد أرسى هؤلاء جميعاً من بعده الشخصية الروائية على حقيقة أصولية مؤداها استحالة الصدق والإخلاص على الإنسان. إن شخصيات بيراندللو لا تحيا تبعاً لما يعتمل في داخلها من إرادة.. وإنما يمضون في الحياة على ماهي عليه، والحياة على مايرغبونها، إن بين مايفعلونه فعلا ومايريدون فعله هوةً وتنافراً. وكثيراً مايكتسي التعبير عن هذا الانفصال بين البطل وأفعاله بمسحة من الدعابة والهزل، وقد عُرف أبطال بيراندللو من أجل ذلك بازدواج الشخصية، وقد بدا ذلك على الأخص في أعماله القصصية "المرحوم ماتياس باسكال" و"شخص ومائة ألف" و "حكايات لمدة عام" وقد رفض بيراندللو في هذه الأعمال القصصية والروائية أن ينصاع لقانون السيكلوجية الروائية.. إنه يصور أشخاصاً يفكرون ويحسون، مثلما كان يفعل أسلافه، إلا أن هذه الشخوص إنما تفكر وتحس متأخرة، فتمضي الأحداث أسرع منهم، فلاينجحون في أن يكونوا صادقين مخلصين أبدا.. وبهذه الشخصية المزدوجة العاجزة المنقسمة التي تجد في الأكذوبة دفاعها وشقاءها معا كان بيراندللو مجدِّداً ورائدا لمن جاؤوا بعده من روائيين رفضوا بدورهم الشخصية السوية المتماسكة. بل إن الشخصية الروائية المعاصرة كثيراً ماتتحول وبسرعة فائقة إلى أكثر من شخصية متداخلة ومتضادة، مثلما كانت "التكعيبية" في "فن التصوير" المعاصر أكثر من مظهر للشيء الواحد في الآن ذاته.

إذن، "الرواية الجديدة إلى أين" ؟ ماالذي حدث لعماد الرواية التقليدية "البطل" ؟ لايتردد كثير من النقاد والروائيين المعاصرين، وبكل صراحة في إعلان "موت الشخصية" . إن البطل في الرواية الحديثة أصبح بلا اسم .. وبلا اسرة.. وبلا ملامح.. وبلا مال.. وبلا طابع.. على أن البطل الحديث لم يصبح على أي حال «نمطاً» فهو ليس وجهاً جديداً يضاف إلى قائمة "البورتريهات" التي عرفها تاريخ الأدب من قبل.

وقد يحق لنا التساؤل عن ذلك التحول الذي


مارسيل بروست

طرأ على الشخصية الروائية ".. ماالذي جعلها تتطور من "المحسوس" إلى "المجرد" ؟ وينقلنا هذا إلى التساؤل عن مستقبل الرواية ذاتها هل أصبحت وقد انهار عمادها الأكبر "الشخصية" أو "البطل" - هل أصبحت آيلة للسقوط حقا؟

وقد تصدى لهذين التساؤلين كثير من النقاد والروائيين المعاصرين، فبدأوا بالتعبير عن اعتقادهم بأن زحزحة "البطل" من الرواية الجديدة وانزواءه في ركن قصي منها، لايعني تقويض الفن الروائي بقدر مايتيح الفرصة لارتياد آفاق روائية جديدة.. إنها تجربة ومغامرة.. بكل ماتحتويه التجربة من تجديد وماتبشر به المغامرة من مكاسب وكشوف.. أما السبب الكامن وراء ذلك التطور من "المحسوس" إلى "المجرد" فيعزونه إلى أن هذا العصر هو عصرٌ تحوَّل فيه الناس إلى أرقام.. وإذا كان عالم الأمس قائماً على صعود أو سقوط عدد من الرجال أو الأسر، مما كان يجعل الشخصية الفردية ذات المعالم البارزة والسمات المتميزة وسيلة وغاية كل بحث، فقد أصبح عالم اليوم أقل ثقة في "فرديته". ومن ثم أقل تركيزاً على "الذات" متجاوزا إياها إلى حالة شعور وإدراك أكثر شمولا ورحابة.

موت البطل

ولكن هل هذا التفسير هو التفسير الوحيد؟ . أو بعبارة أخرى هو التفسير الكافي لظاهرة تحلُّل الشخصية في الرواية الحديثة ؟ إن نقطة البداية التي يستند إليها هذا التفسير، هو أن الوجود المكاني أرحب بكثير من أفعال الفرد البطل. ويجدر بالروائي الحديث أن يهتم بهذه الرحابة والتنوع، بحيث ينسى الفرد، ويغرق في وصف ذلك الوجود المكاني المترامي الأبعاد. ولكن هل حقاً هذا هو كل مافي الأمر ؟ هل يصلح هذا التفسير "الشيئي" حتى لأدب ذاتي مثل أعمال صمويل بيكيت الروائية التي اتسمت رغم ذاتيتها بذلك التحول من "الملموس" إلى "المجرد".

من أمهات الكتب التي صدرت عن صمويل بيكيت الحائز على جائزة نوبل كتاب من تأليف أستاذة الفلسفة أولجا بيرنال بعنوان: "اللغة والخيال في رواية بيكيت" وهو تحليل متحمس ومنهجي في ذات الوقت لأزمة التعبير في الأدب المعاصر من خلال أعمال صمويل بيكيت الروائية، تلك الأزمة التي نفخت رياح التشتت في أرجاء الحقل الأدبي، ويسجل الكتاب في هذا الصدد أن لغة بيكيت انفصلت عن شخص معين بذاته. فلم يعد البطل في أعماله سوى إنسان بلا اسم.. إنسان يمضي في الحديث، وهو محكوم عليه به في حيز مكاني وزماني لافكاك له من إساره حتى بعد الموت، لأنه كي يدخل هذا الحيز لابد أن يكون قد سقط خارج الحياة أصلا. إن الكلام عند بيكيت هو مواصلة غامضة لما في داخل الكائن الإنساني من شيء قد يتراجع ويتراجع لكنه يرفض الاستسلام للصمت.

أثر المنجزات التقنية في الشخصية الروائية

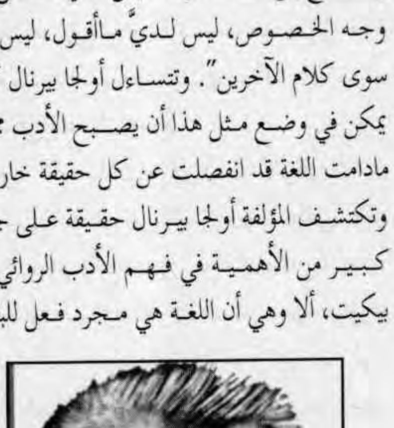
وفي أعماق البطل "وات" لافي خارجه يتحقق التمزق وانفصام الكلمات والأشياء. فلابقاء للكلمات إلا ببقاء الاعتقاد في الأشياء.. ولابد أن تُعتبرَ "وات" الطليعة الأولى في محاولة التمرد على المنهج المستقر في الأدب الحديث منذ قرنين على الأقل، وهو منهج الربط بين الكلام والنظام الخارجي. فنجد مونولوج "وات" يتحرر رويدا من كل الظواهر المحيطة. وأصبحت اللغة عنده هي إعطاء شكلٍ لما كان عند بدء الخليقة خواء وظلمة. وتتمثل مأساة "وات" في أنه تنبه إلى أنه إنما صُنعَ من هذه الكلمات التي تفد إليه غازية من الخارج، حاملة إليه معها كل الأشياء. وإذ يعمد "وات" إلى رفضها وطرحها عن كاهله فإنه يجد نفسه قد هوى إلى ماهو خارج اللغة، فيرتبط مصيره بالعزلة التي ستعقب رحيل الكلمات الأخيرة أو "الجرذان" كما يسميها.

هل اقتصر هذا الأمر على "وات" أم بدا هذا "الانحدار" على شخصيات بيكيت الأخرى؟

حدث انحدار الكائن الإنساني إلى خارج اللغة فيما بعد أيضا بالنسبة "لمولوي" و"اللامسمى"، في روايتيه اللتين تحملان هاتين التسميتين وإذا كانت الكلمات لاتجدي إلا في التذكير بالأشياء فإنه يكفي التخلص من ذكر الأشياء حتى نتحلل من نير الكلمات، وهو مايعني أن يفقد المرء تملكه لنفسه، أو بعبارة أخرى يحطم في أعماله فكرة "الملكية"، فنجد "وات" ينسحب من غرفته ليحيا في غرفة "نوت"، ونجد "مولوي" يريد أن يكف عن أن يكون مايملك. أو بعبارة أخرى لايطيق أن يكون كائناً متملّكاً. ومن ثم يختفي حتى الاسم من العمل الروائي، ويفقد الزمان والمكان مدلوليهما، لانعدام الأشياء في إطار محدَّد ومنظَّم. ولهذا تضحي الحكاية المروية أيضاً غير مفهومة.

أصبحت كل الشخصيات غير قادرة على تصور العالم وفقا لإيماءات اللغة القديمة، ومن ثم يعجز الحوار التقليدي عن إضفاء الفهم والانصياع على العالم والطبيعة والناس، بل وعلى الكلمات المستعملة ذاتها. لنقرأ من رواية "مالون يموت" هذه الفقرة: "لاجدوى من استخدام الكلمات، إنها فجة قدر ماعليه الأشياء التي تشير إليها".

على أنه في "اللامسمى" و "كيف يكون الأمر" لازال الصوت موجودا على الدوام. وهو -أي الصوت- يواصل الكلام.. يتمتم في يأس.. بكلام يكاد يكون غير مفهوم.. كلام الآخرين.. ولنستمع إلى هذه الفقرة: "ليس لديّ ماأفعل على وجه الخصوص، ليس لديَّ ماأقول، ليس لديَّ سوى كلام الآخرين". وتتساءل أولجا بيرنال كيف يمكن في وضع مثل هذا أن يصبح الأدب ممكنًا، مادامت اللغة قد انفصلت عن كل حقيقة خارجية؟ وتكتشف المؤلفة أولجا بيرنال حقيقة على جانب كبير من الأهمية في فهم الأدب الروائي عند بيكيت، ألا وهي أن اللغة هي مجرد فعل للبقاء،


صموئيل بيكت

وهذا البقاء هو الحياة ذاتها.. ومن ثم كان الأدب ديمومة مستميتة تصارع الصمت والعدم.

وإذا كان النقاد يقسمون الرواية الحديثة إلى "رواية داخلية"، ويضعون على قمتها ديستويفسكي، وإلى "رواية خارجية"، ويضعون على قمّتها كافكا، فإن التيار الحديث في الأدب الروائي قد سار بسرعة في مجرى كافكا. لقد باءت محاولات بروست الروائية بالفشل. فهذا الروائي، الذي اعتقد أنه بتغلغله في الأعماق النفسية يمكن أن يعثر على الحقيقة، قد أبان أن تلك الحقيقة الدفينة الأصولية إنما هي حقائق وحقائق، متاهات ومتاهات.. مثلما أسفرت التجارب العلمية عن أن "الذرة" ماهي إلاَّ ذرات لانهائية بدورها..

إن الرجل المعاصر تسحقه حاضرة آلية.. وليس "الضمير" سوى تكوين هش من "أفكار متواترة متلقاة من الجماعة التي ينتمي إليها" الجمل الجاهزة (الإكلاشيهات) التي يُحيط بها الإنسان المعاصر نفسه ليست سوى "عدم الإقرار له" لأي وجود أصيل وكل إيمان بالداخل وهمٌ وعناءٌ لاأصل له ولاطائل منه.. وقد جاء إلينا البير كامي فعمد إلى تعرية الداخل لنكتشف "الخواء والعدم"، وعندما يحاول بطله ميرسو أن يبحث عن القليل الباقي من نفسه لايجد سوى شذرات باهتة.. وإذا كان موقنا بشيء فهو بأنه سيموت.. إنه باب فُتح على فقر مدقع، حقا..

ميلاد جديد

ولقد أوصلت هذه النتائج المخيِّبة للآمال إلى ذلك الإحساس الذي تفضي إليه عادة كل تصفية للماضي، ذلك الإحساس الذي لايخلو على أي حال من تفاؤل وتساؤل: ماالذي يجب أن يكون عليه المستقبل؟ وإننا لنجيب على ذلك قائلين: إن الانفتاح بفن الرواية على آفاق جديدة ممكن باختبار سلامة الدعائم التي تقوم عليها. لقد تسنى للروائيين الجدد أن يثيروا في أعماق القارىء صدمة غامضة وتطهيرية، وأمكن أن يبدو المشهد الإنساني كله في ومضة من البرق الخاطف.. وترى ناتالي ساروت أن "كا" بطل كافكا - وهذا يسري على أبطالها المجهَّلين أيضاً- يبحث عن الاقتفاء بالآخرين - تماما مثل أبطال ديستوفيسكي - والهدف الذي يسعى إليه ذلك البطل المجهل "كا" أكثر تواضعا، وبالرغم من ذلك فهو أصعب منالا. ماذا يطلب بطل كافكا؟ إنه يطلب من أولئك الذين ينظرون إليه نظرات ملؤها الريبة والشك أن يمكّنوه من أن يثبت براءته من اتهامات غير معلومة يُحال بها بينه وبين الوصول الى تعقب موجهيها، ولكن بسبب إصراره اليائس، وعمق العذاب الإنساني، فإن هذا المطلب

أثر المنجزات التقنية في الشخصية الروائية

المتواضع والسعي الدائب إلى تحقيقه يتعدى حدود "السيكلوجية" ويقترب كثيراً من المطالب الغيبية الميتافيزيقية.

وهذا الكلام يصدق أيضا على "مارتيرو" بطل ناتالي ساروت في روايتها التي تحمل اسمه، وهو أحد الشخصيات القليلة التي تحمل اسما في عالم ساروت الروائي.

شخصيات متحف الشمع

والآن، هل يمكن أن ندلي بتفسير لما طرأ على الشخصية الروائية من تطور؟ .. يقول الناقد جان ريكاردو: إن الشخصية قديماً كانت تُصنَع صنعاً جيداً، ويُعتنى بكل تفاصيلها دون أن يغفل من دقائقها النفسية السيكولوجية أو الطبيعية الفسيولوجية أو الاجتماعية شيء، ولكن الشخصية الجديدة حُرمت من هذا الاحتفاء البالغ به.. ونرى اليوم روايات كثيرة ليس البطل فيها شخصاً محدد المعالم يمكن التعرف عليه.. إنه مجرد "أنا" مجهولة الهوية. وليست في أغلب الأحيان سوى انعكاس للمؤلف ذاته. وليس مرد ذلك إلى فردية متطرفة أو نزوة صبيانية، مادام أن ذلك الاتجاه نجده أيضا لدى عديد من كبار الكتاب المعاصرين، ابتداء من بروست في "البحث عن الزمن المفقود" إلى جينيه في "معجزة الوردة" بل مرده على الأخص إلى نزعة عارمة من الشك في «شرعية البطل الروائي» سواء من ناحية القارىء أو من ناحية الكاتب.. لم يعد الكاتب الحديث ليقبل عندما يمسك بالقلم أن يكتب عبارة مثل هذه "خرجت المركيزة في الساعة الخامسة". ولايطاوعه قلمه إلا أن يكتب عما يهمه.. وهو بهذا الأسلوب الذاتي يتمكن من أن يتركز فنه على أمور تعنيه أكثر مايعنيه خروج المركيزة أو دخولها مثلا.. وقد سارت الرواية الجديدة في ذات المسار الذي سار فيه التصوير الحديث، فقد أخذ العنصر الباطني السيكولوجي والاجتماعي والسوسيولوجي في الرواية -مثل العنصر المرئي في التصوير- يتحرر من الموضوع الذي كان ينصب عليه، وينزع إلى مايمكن أن نسميه "بالاكتفاء الذاتي" فيركز الروائي الحديث على هذا العنصر كل جهده، ويجب أن يركز القارئ الحديث بدوره عليه كل انتباهه، بمعنى أن الأحداث في الرواية الجديدة تقل وتتراجع مع الشخوص إلى الخلفية مفسحة الطريق أمام الخلجات النفسية، وبذلك يجد القارىء نفسه غائصا في مادة بلا حدود.

ولما كان الشك من الزيف يتسلل في الوقت ذاته إلى قلب كل من القارىء والروائي، وهو مايترتب عليه أن يتحرر كل منهما من الآخر، ويتوجس خيفة منه، فإن الشخصية بدورها "لاتلبث أن ترتج وتتحلل"، ولاتعدو اليوم أن تكون ظلا أو شبحا. لقد كانت الشخصية التي تحمل



بلزاك

عبء التاريخ، نمطا أو "وجها لاينسى" .. كان يجب أن يعرف الكاتب كيف يتصيدها على طريقة بلزاك أو فلوبير.. ويبدو أن الهدف الأساسي للروائي كان أن يعدد إلى مالانهاية الأنماط أو النماذج الإنسانية بلحمها وعظمها كأولئك الذين نراهم من حولنا.. وقد كان القارىء يعرف أن تلك النماذج أو الأنماط المشيدة بكلمات طنانة، وأفعال لافتة للأنظار ليست سوى صيغ جوفاء يستخدمها بدوره دون كثير إيمان بها لتسوية تصرفاته وتسويغ سلوكه.. وعلى الرغم من أنها من صنع الخيال فإنها تؤخذ مأخذ الحقيقة، وهكذا تتحرك الخيوط التي تعلق فيها الدمى.. وكانت بنات الخيال هذه تطعَّم بكثير من التفاصيل.. فترى شخصيات بلزاك كانت مرسومة بثراء.. محاطة بعناية فائقة، لم يكن ينقصها شيء، من أزرار السروال الفضية إلى المنظار النبيذي على أرنبة الأنف.. أسلاف البطل.. بيته مبنى بعناية.. قبو خموره ومخزن غلاله.. كل ممتلكاته.. ومصادر دخله.. ملابسه.. جسمه.. وجهه.. وعلى الأخص مقومات شخصيته التي يتفرد بها.

وكما أن السماء زرقاء والليمونة صفراء.. بحيث لايمكن أن نتصور السماء دون زرقة والليمونة دون اصفرار.. فان الأب جوريو عند بلزاك هو البخل بعينه.. وحتى عند ديستوفسكي الكثير من أسلوب بلزاك أيضاً بكل ذلك الوصف الدقيق، الذي كان يلجأ إليه كما لو كان مضطراً لإرضاء ذوق العصر.. إنه يصف، ويصف أولئك الذين اكتشفهم ويطلق عليهم مسميات، ويحاول أن يستخلص من ملاحظاته مبادىء عامة وينتهي الأمر بأن لانكون قادرين أن نحيا مع الشخصيات. إذ يبقى ذلك البعد الزمني الذي تتصف به الذكرى فاصلا بيننا وبينها.. ولانكون قادرين إلا أن نحكم عليها.. ونفكر فيها بعقولنا.. ولاتلبث أن تعرف طريقها إلى متحف الشمع الذي يضم الأنماط الأدبية، إذ إنها مصنعة كي تكون مطابقة للأصل إلى أقصى حد.. حتى ليكاد القارئ يتوق إلى لمسها بأنامله.. ومثل الصحفي كان على الروائي أن يتحلّى بالقدرة على إعطاء الأحداث التي ينقلها إلى جمهوره، مهما بدت غير مطابقة للواقع، تلك السمة من الصدق التي تستطيع وحدها أن تنتزع التصديق من القارىء.

إن الرواية الغربيَّة الحديثة تخلت عن إعطاء الشخصية الروائية تلك الأبعاد والنسب الإجبارية التي تضفي عليهم شبها مزعوما بالواقع، مادام الذي تكسبه من حيوية سهلة تفقده في النهاية.. وأضحت الواقعية الحديثة تحكم على كل شيء من تلك الواقعية التقليدية الضحلة التي أصبحت نهباً مشاعا بين كل أولئك الذين لايستطيعون غيرها.

مخطوطات
جديرة بالدراسة والنشر

الاتصال في مختلف النسبة

لمغلطاي بن قليج

١

١٨



حلقات يكتبها :
حمد الجاسر

قيل قديمًا (ويل للرجال من الرجال) ويصح أن يقال: (ويل للعلماء من العلماء) فهذا عالم يُعَدُّ باقعة من البواقع(١) في مختلف أنواع العلوم المعروفة في عهده، والتي طرقها بمؤلفاته الكثيرة، ومع ذلك فقد لقي من التجريح والتنقص والأذى الشيء الكثير من معاصريه من العلماء أنفسهم، وماذاك - فيما يبدو لي - إلاَّ لاختلاف المذاهب كما سيمر بالقارئ شيء من ذلك.

من أشهر فروع العلم - ولاسيما علم الحديث واللغة - معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنَى والألقاب، أي التي تتفق منها في صور الكتابة، وتختلف في النطق، فقد كان المتقدمون لايعنون كثيرًا بإعجام الحروف، وإنما يدعون ذلك في الغالب لمبلغ إدراك القارئ، ومعرفته لأسماء الرجال وكُناهم وأنسابهم، ولما فشا اللحن، وكثرت الأخطاء بضعف وسائل تلقي العلوم بالرواية عن العلماء المختصين بها، وأخذها عن الكتب بدون تلقٍ أو رواية، اتجه ذوو الاختصاص منهم إلى معالجة هذا الأمر بالتصدي للتأليف فيه منذ عصور متقدمة.

ولعل من أجل المؤلفات في هذا الموضوع كتاب «الإكمال في رفع الارتياب، عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنى والأنساب» لابن مَاكُوْلا: علي بن هبة الله المتوفى سنة ٤٧٥هـ ، وقبله مؤلفات لكنها لاتبلغ مبلغ هذا الكتاب من حيث التفصيل والشمول والإتقان، وقد رجع ابن ماكولا إلى أشهرها، والمرء مهما بلغ من المعرفة محدود العلم، ولهذا وقع في مؤلف ابن ماكولا مارآه العلماء من بعده جديرًا بأن يوضح، وأن يُتَدارك وأن يصحح، فألَّفوا مؤلفات عدة في هذا الموضوع منهم: ابن نُقْطَةَ محمد بن عبد الغني الحنبلي (٥٧٩/٦٢٩هـ)، ذَيَّل على إكمال ابن ماكولا بكتاب يزيد حجمه على نصف حجم «الإكمال»، وقد قام (مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى) بطبع هذا الكتاب فصدر سنة ١٤١١هـ في أربعة مجلدات باسم «تكملة الإكمال».

كما قام منصور بن سليم (٦٠٧/٦٧٧هـ) محتسب الإسكندرية المعروف بابن العمادية فذيل على كتاب ابن نُقْطَة ومؤلفه لايزال مخطوطًا في (دار الكتب المصرية)، وقد صوره (معهد المخطوطات) برقم ٦٧٨ من كتب التاريخ. وبعد ابن سليم جاء ابن الصابوني محمد بن علي بن محمود (٦٠٤/٦٨٠هـ)، فذيل على ذيل ابن نُقْطَةَ بكتاب سماه «تكملة إكمال الإكمال» طبع في بغداد سنة ١٣٧٧هـ بتحقيق الدكتور مصطفى جواد، وقال الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي - رحمه الله - عن ابن الصابوني: (يوافق منصورًا في أشياء وينفرد كل منهما بأشياء، وفوائد منصور أكثر).

وممن ألف في الموضوع الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣/٧٤٨هـ) في كتاب سماه «المشتبه»، وقد طبع هذا الكتاب مرتين،

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر

آخرها في القاهرة سنة ١٩٦٢م.

وجاء مغلطاي فألف ذيلاً سماه «الاتصال، لكتاب ابن سليم وابن نقطة والصابوني والإكمال»، وحوله يدور هذا البحث ولابن حَجَر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد (٧٧٢/٨٥٢هـ) كتاب «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»، قال في مقدمته ما ملخصه: إنه وجد في كتاب «المشتبه» إعوازاً من ثلاثة أوجه، أحدها: تحقيق ضبطه لأنه أحال في ذلك على ضبط القلم فما شفَى من ألم. ثانيها: إجحافه في الاختصار. ثالثها: أن فيه مالا يَردُ عليه - إلى أن قال - : واعتمدت على نسخة المصنف التي بخطه، وعلى الأصول التي نقل هو منها، وعلى غيرها مما غلب ظني أنه لم يراجعه حال تصنيفه، كالأنساب للرُّشاطي(٢) ولابن السمعاني، وكالذيل الذي ذيل به الحافظ منصور بن سليم الإسكندراني على ذيل ابن نُقْطة، وكالذيل الذي ذيل به العلامة علاء الدين مُغُلْطاي أجزاء، وهو ذيل كبير، لكنه كثير الأوهام والتنكرات والإعادة والإيراد لما لاتمس الحاجة إليه غالبا(٣) وقد طبع كتاب الحافظ ابن حجر «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» في أربع مجلدات.

ويلفت النظر هنا وصفه لكتاب مُغُلْطاي، وأنه كثير الأوهام والتنكرات والإعادة إلى آخر ماذكر. وقريب من هذا الوصف وإن كان أسهل منه قول صاحب «كشف الظنون»(٤) عن كتاب مغلطاي هو ذيل كبير لكن أكثره أسماء الشعراء وأنساب العرب. انتهى. فكأن اعتناءه بهذه الأمور، مما يؤخذ على المؤلف:

وعَيَّرني الواشون أني أحبها!!

وقبل ابن حجر جاء ابن ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن محمد الدمشقي (٧٧٧/٨٤٢هـ) فألف كتابًا سماه «توضيح المشتبه» وقد قامت بنشر هذا الكتاب (مؤسسة الرسالة) لصاحبها الأستاذ محمد رضوان دعبول بتحقيق الأستاذ محمد نعيم العرقسوسي في عشرة أجزاء، الجزء العاشر منها يحوي فهارس الكتاب المفصلة، ولعل تلك المؤلفات التي تقدم ذكرها هي أشهر ما ألف في هذا العلم.

مغلطاي بن قليج: (٦٨٩/٧٦٢هـ)

القاهري التركي الأصل، الحنفي المذهب: يُعَدُّ من أبرز علماء القرن السابع، وأشهرهم بسعة علمه، وكثرة مؤلفاته، واتجاهه للتحصيل والتلقي عن مشاهير علماء عصره، في اختصاصاتهم المتنوعة، في جميع فروع العلم، حتى بلغ مبلغ أقرانه منهم، مما لا أرى تفصيله من أحواله، ففي كتب التراجم ما يفي بالغرض من ذلك، وإنما أكتفي بعرض لمحات تتعلق به، ذات صلة بما عرف من مؤلفاته، وما ناله من أذى من معاصريه، مما لم يكن مستغربًا في ذلك العصر، الذي اشتغل فيه أُوَارُ التعصب المذهبي، واشتدت وطأته من مقلدي المذاهب على مخالفيهم، من دعاة الاجتهاد، وحسب القارئ مثالاً لذلك مالاقاه شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه - ، ومن غريب الاتفاق: أن مغلطاي ممن عرف الشيخ ابن تيمية، وممن كان يُحلُّهُ المنزلة اللائقة به من التقدير والإجلال، فقد اجتمع به في القاهرة، فقال عنه: (شيخنا الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الذي طبق ذكره جميع الأقطار، وشاع علمه في جميع الأمصار، فلذاك ليس جنيبا(؟) عن التعريف بحاله، رأيته بالقاهرة، وأجازني مشافهة فيها، وجئته لأودعه وسألته الوصية والدعاء فقال لي: ياغلام روينا في كتاب الترمذي بإسناد ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس: «ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظْك»)، ثم ساق الحديث مضيفًا: (هكذا ذكره من غير إسناد، ولم أروِ عنه حديثًا عَلَّق إسناده غير هذا، وهو يرويه عن أبي الحسن بن البخاري)، ثم تحدث عن سند الحديث، وعن أخي الشيخ شرف الدين وعن بعض أقاربه.(٥)

ولئن كان ما لاقى مغلطاي من معاصريه لم يبلغ الحدَّ الذي بلغه معاصِرو الشيخ ابن تيمية به من التضييق عليه، حتى توفي في السجن، فلأن مغلطاي كان الخلاف بينه وبين أولئك مقتصراً في الغالب على مآرب دنيوية في التكالب على وظائف ذات صلة بالدولة التي يصرف شؤونها في ذلك العهد رجال قد يكون لقوة صلتهم بمغلطاي من الأثر في الدفاع عنه ماجعله بمنأى عن المبالغة في النيل منه.

يذكر ابن حجر في «الدررالكامنة» (٦) أن مغلطاي قد لازم الجلال القزويني، فلما مات ابن سيد الناس (٧٣٤هـ) تكلم القزويني لمغلطاي مع السلطان فولأه تدريس الحديث في (الظاهرية) فقام الناس بسبب ذلك وقعدوا، ولم يبال بهم، وبالغوا في ذمِّه وهجوه، فلما كان في سنة ٧٤٥هـ وقف له العلائي (٧) لما رحل إلى القاهرة في سوق الكتب على كتاب جمعه في العشق، تعرض فيه لذكر الصديقة عائشة، فأنكر عليه ذلك، فرفع أمره إلى الموفق الحنبلي فاعتقله بعد أن عَزَّره، فانتصر له جنكلي(٨) بن البابا وخلصه.

وذكر المقريزي في كتاب «المقفى» (٩) في ترجمة موفق الدين الحجَّاوي، أنه قدم القاهرة فولأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة سنة ٧٣٨هـ، وأنه رُفع إليه أن الشيخ مغلطاي بن المحدث صنَّف كتاب «الواضح المبين فيمن استشهد من المحبين» وأنه ذكر في حق أم المؤمنين - رضي الله عنها - ما يُجَلُّ مقامُها عن إيراد ذلك في جملة أخبار المحبين، فاستدعاه إلى مجلس حكمه، ومعه الكتاب المذكور، فلما اعترف أنه صنفه ، أمر به فَضُرِب، وكُشف رأسه وسجن، ولم يخش فيه جاها.

وذكر ابن حجر في ترجمة أحمد بن عبد القادر بن مكتوم(١٠): ولما امتُحِنَ الحافظ علاء الدين مغلطاي بسبب تصنيفه في العشق، عَمِل فيه بُلَّيْقَة يهجوه بها، رأيتها بخطه، ويقصد بالبلَّيقة القصيدة التي باللهجة العامية.

ونقل ابن حجر(١١) عن الشهاب ابن رجب

قوله: وله مآخذ على أهل اللغة، وله كثير عن المحدثين قال: وأنشدني لنفسه في «الواضح المبين» شعراً يدل على استهتار وضعف في الدين. انتهى. لا أستبعد أن من الأمور الأخرى التي أثارت عداء بعض معاصريه تعرضه لبعض المحدثين بالنقد، وأن ما كتب عن أم المؤمنين - رضي الله عنها - في كتابه «الواضح المبين» اتخذ منه ذريعة لذلك، ولعل من المناسب إيراده بنصه ليتضح مدى ما أُخذ على مغلطاي بسببه. لما ذكر في مقدمة الكتاب ما يحتاجه الفكر المكدود من ترويح، وإيراد الأخبار المتعلقة بذلك أضاف: وقد أجمع العلماء أن الحب ليس بمستنكر في الدين، ولا بمحظور في الشرع، فقد قال الزهري: أول حب كان في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة، ثم ذكر حديث عبدالله بن عمرو حين أرسل مولاه إلى أم سلمة يسألها: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل أهله وهو صائم، فقالت: لا، فقال لها: إن عائشة قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم، فقالت أم سلمة: إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى عائشة لايتمالك عنها، أما أنا فلا، وذكر بعد ذلك شرود جملها في بعض الغزوات، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول: واعروساه، واعروساه، هذا هو كل ماورد في الكتاب مما يتعلق بعائشة(١٢).

أما حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة فهذا مما لايماري فيه أحد، وأما حديث أم سلمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبل عائشة وهو صائم، فقد أورده «البخاري في صحيحه» (باب النوم مع الحائض) - انظر «فتح الباري» - ج١ ص ٤٢٢ - ولكن بدون زيادة قول أم سلمة كما أورده في (باب القبلة للصائم) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل بعض أزواجه وهو صائم ثم ضحكت، انظر «فتح الباري» - ١٥٢/٤ - وأضاف الحافظ بن حجر: يحتمل أن ضحكها للتعجب ممن خالف في هذا، وقيل: تعجبت من نفسها إذ تحدثت بمثل هذا مما يستحّيى من ذكر النساء مثله للرجال، ولكنها ألجأتها الضرورة في تبليغ العلم، وقد يكون الضحك خجلاً في إخبارها عن نفسها أو تنبيهاً على أنها صاحبة القصة ليكون أبلغ في الثقة بها، أو سرورا بمكانها من النبي صلى الله عليه وسلم، وبمنزلتها منه، ومحبته لها إلى آخر ماذكر.

وإذن فما الذي يؤخذ على مغلطاي في إيراد هذا الحديث، اللهم إلاّ إذا كانت الزيادة التي رواها عن أم سلمة غير صحيحة، فقد يقال هذا، ولكن الأمر لايستلزم أكثر من مطالبته بإثبات الدليل أو الاعتراف بخطئه في ذلك.

وأما خبر نفور عائشة، فالأمر في ذكره أيسر من أن يتخذ وسيلة للنيل من هذا العالم الجليل.

ويأتي القول عن شعر مغلطاي الموصوف بالاستهتار، فقد تتبعت الكتاب، فلم يتضح لي من شعره سوى ثمانية أبيات، أورد منها في آخر كل جزء من أجزاء الكتاب الخمسة بيتين، وقد سار في هذا على نهج صاحب كتاب «أسواق الأشواق من مصارع العشاق» جعفر بن أحمد السراج الذي كتب على كل جزء من أجزاء مؤلفه الـ (٢٢) ثلاثة أبيات من شعره، أوردها البقاعي في مقدمة كتابه، وأبيات مغلطاي هي:

في آخر الجزء الأول(١٣):

كتابٌ جمعتُ به جُلَّ ما
تفرق من قصصِ العاشقينا
وكنتُ ألومُهُمُ دائبا
فصِرتُ لهم أحدَ العاذرينا

وفي نهاية الجزء الثاني(١٤):

رثى لهم من ذاقَ مثل الذي لقوا
فألْفِيَ فيما قد لقوه إِماما
وَجَمَّعَ من أخبارهم في هواهم
أحاديثَ مثلَ الروض جيد غماما

وفي نهاية الجزء الثالث(١٥):

تصنيف من ذاق من سلافته
الصفو، ومافاته مكدَّرُها
يطوي أحاديث وجده، ودموعُ
العين في فيضِهِن تنشُرُها

وفي نهاية الجزء الرابع(١٦):

لقد حسد القرطا أصلعَ لم يكن
إذا ما مشى بالقرع كالمتخايل
فصلع رأسا لم يصلعه ربه
يرق رقيقا بعد أسود حائل

وليس في هذا الشعر كما يتضح للقارئ أي شيء يؤخذ عليه.

وقد يكون الشعر الموصوف بالاستهتار، مما ساقه مغلطاي في الأخبار والأشعار، التي ينقلها عن آخرين، ومن المعروف أن الناقل لايحكم عليه حكم القائل، فمؤلفات قدماء العلماء من المحققين وغيرهم مشحونة بالأخبار والأشعار المرذولة، وليس في ذلك مايقدح بعدالتهم، أو ينقص من أقدارهم، إذا لم يَبْدُ منهم ما يؤيد ماتحويه أو يقرُّه.

الهوامش:

(١) من معاني الباقعة: الإنسان الداهية الذكي العارف لايفوته شيء ولايدهى.
(٢) انظر عن كتاب الرشاطي، مجلة «العرب» - س ١٧ ص ٤٧١/ ٧٢١/ ٩٣٤-.
(٣) «تبصير المنتبه» لابن حجر العسقلاني - ٢/١ -.
(٤) - ج٢ ص ١٦٣٧ -.
(٥) كتاب «الاتصال في مختلف النسبة»، باب «تيمية ويتيمة»
(٦) - ١٧٥/١ -.
(٧) هو: خليل بن كيكلدي (٦٩٤/٧٦١هـ) ترجمه ابن حجر في «الدررالكامنة» - ٩٠/٢ - ووصفه بأنه حافظ زمانه وبالإمامة في الحديث والفقه والأصول، وأطال الثناء عليه.
(٨) جنكلي هذا: ترجمه ابن حجر، وأثنى عليه، كان ممن يميل إلى ابن تيمية ويتعصب له ويرد على من يرد عليه، وكان آخر زمنه كبير الدولة متنقلاً بين الشام ومصر وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٦هـ.
(٩) - ١١٨/٤.
(١٠) «الدرر الكامنة» - ١٧٥/١ -.
(١١) المصدر السابق - ٣٥٣/٤ -.
(١٢) «الواضح المبين» - ص ٧ -.
(١٣) «الواضح المبين» - ص ٣٢ -.
(١٤) المصدر السابق - ص ٦٠ -.
(١٥) المصدر نفسه - ص ١٠٧ -.
(١٦) المصدر نفسه - ص ١٤٥ -.

قصة قصيدة

الشباب الراحل
لمنصور النمري

د. محمود الربداوي

قال منصور النَمَري يتحسّر على أيام الشباب:

ما تنقضي حسرةٌ منّي ولا جزعُ(١) … إذا ذكرتُ شبابًا ليس يُرتَجَعُ
بان(٢) الشبابُ، وفاتتني بلذتهِ … صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَعُ
ما كنتُ أُوفي شبابي كُنهَ(٣) عزتهِ … حتى انقضى، فإذا الدنيا له تَبَعُ
تعجَّبتْ أنْ رأتْ أسرابَ دمعته … في حلبة الخدّ أجراها حشًا وَجِعُ
إنْ كنتِ لم تَطعمي ثُكلَ الشباب ولمْ … تَشْجَيْ (٤) بغُصَّته فالعذرُ لا يَقَعُ
لو قد لبستِ قناع الشيب كان لنا … عذرٌ لديكِ، وراح اللومُ والوَلَعُ
أبكي شبابًا سُلبناه، وكان، ولا … تُوفي بقيمته الدنيا وما تَسَعُ
ماكنتُ أولَ مسلوبٍ شبيبته … مكسوَّ شيبٍ، فلايذهب بك الجَزَعُ
تلك الأسى(٥) من لِداتي، في رؤوسهمُ … عمائمُ الشيب مُنجاب(٦) لها الصَلَعُ
لا تَعذُليني، فإني غير كاذبتي … عنكِ الكَذوب، ولافي وُدكمْ طمَعُ
قد كنتُ فيكنَّ ذا جاهٍ وذا مِقَةٍ(٧) … أيام غصنُ شبابي ليّنٌ تَرِعُ(٨)
إني لمعترفٌ مافيَّ من أَرَبٍ … للغانيات، فما للنفس تنخدِعُ؟
ما واجه الشيبَ من عينٍ، وإن وَمِقتْ … إلا لها نبوة(٩) عنه ومُرتَدَعُ
قد كِدتَ تقضي على فوت الشباب أسىً … لولا تعزيكَ أن العيش مُنقَطِعُ

قائل قصيدتنا هذه في البكاء على الشباب هو الشاعر منصور بن الزّبْرقان بن سَلَمة النَمَري، ينتمي إلى قبيلة ربيعة بن نزار، وكان يسكن في (رأس العين) وتنتشر قبيلته: ربيعة في الجزيرة السورية حول مدينة (نُصَيْبين).

نشأ منصور في رأس العين، ثم صار مؤدّبًا فيها، تتلمذ للشاعر كلثوم بن عمرو العتابي، وكان راوية لشعره، فحذق قول الشعر حتى عُدَّ من فحول الشعراء في العصر العباسي، وحتى قال فيه الشاعر علي بن الجهم: «أنا أشعر من امرئ القيس، والنمري أشعر مني(١٠) وقصة هذه القصيدة تتلخص بأن قبيلة ربيعة تمردت على العباسيين، فأرسل إليها هارون الرشيد قائدًا يعيدها إلى طاعة الدولة، فأعمل هذا القائد السيف في رقاب أهلها، وقتل من رجالها الكثير، فما كان من عُقلاء قبيلة ربيعة إلا أن اختاروا وفدًا منهم يبلغ مئة رجل، وأوفدوه إلى هارون الرشيد يطلبون العفو، وكان من بينهم منصور النمري، وهنا تختلف الروايات حول كيفية دخوله إلى دار الخلافة. منها أن منصورًا لما حاول الدخول لمقابلة الخليفة هارون الرشيد منعه حاجبه (الفضل بن الربيع) لأنه ـ أي منصور النمري ـ رجل تقتحمه العين، ويزدريه من رآه؛ لأنه كان قصيرًا أزرق أحمر أَعمش نحيفًا، فتوسط له يزيد بن مَزيَد الشيباني، فأوصله إلى الرشيد، فقدَّم له هذه القصيدة.

وكان قد أعدَّها عندما انتدبه قومه لمرافقة الوفد والتوسل للخليفة أن يرفع

السيف عن رقاب بني ربيعة، والقصيدة تشهد بذلك، فقد حبَّرها الشاعر مدحةً كاملة في تسعة وستين بيتًا طبقًا للرواية التي أوردها صاحب كتاب (جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام)(١١). والقصيدة أبيات من الشعر النادر النفيس، تنقسم إلى قسمين: مقدمة في التحسر على الشباب الراحل، ثم أبياتُ قصيدها في مدح هارون الرشيد. وقليل أن نقول في نقدها إنها أدّت غرضها؛ إذ انتزعت من الرشيد إعجابه، فتغلغلت إلى سويداء قلبه، فجعلتْ الرشيد يشارك الشاعر في التحسر على الشباب تَحَسُّرًا استدرَّ دموعَ عينيه، وأثارت في قسم المدح منها كامن شعور الخليفة بعزة السلطة ونشوة المجد، وكأن إيقاعها الذي وُفّق الشاعرُ لاختياره على البحر البسيط، وقافيتها على العين المضمومة تضافرتا لإشاعة الحسرة والحنين بدءًا والنشوة والفخر انتهاءً.

وغنيٌّ عن البيان أن نقول إن منهج القصيدة التقليدية قد أخذ بالاهتزاز في هذا العصر، فقامت ثورةٌ تزعمها أبو نواس المعاصر لمنصور النمري، تدعو إلى نبذ المقدمة الغزلية المتمثلة بالوقوف على الأطلال ووصف الرحلة والراحلة، وغيرها من العناصر البدويّة التي لم تَعُد موجودة في واقع المجتمع الحضري، فعندما رغب منصور النمري أن يُدَبِّجَ مدحته لهارون الرشيد حاول أن يرضيَ نوازع العصر الفنية، فأسقط المقدمة الطَّلَلِيَّة، كما رأى أن الغزل لا يتّسق مع مرحلة العمر التي يعيشها، فتجنّب الغزل، واستبدل به عنصرًا ليس غزلاً، ولكنه قريبٌ من الغزل، ويمتُّ إلى النسيب والنساء بسبب، وهو الشباب الراحل، فقدَّم لمدحه مقدمة في البكاء على الشباب الراحل الذي كان شفيعه لدى الغانيات، بلغتْ هذه المقدمة أربعة عشر بيتًا، وهي في الحقيقة ليست أجمل قصائده فحسب، بل هي أبيات رائعة لاتضارعها أبيات أخرى لشاعر آخر في الشيب والشباب، على كثرة ما قاله الشعراء في هذا الفن، مما دعا ابن المعتز أن يقول فيها: «هذه القصيدة عجيبة، وتشبيبها في الشيب لم يقل مثله أحد»(١٢) وقال أيضا: «قد أقام القيامة في تشبيب هذه القصيدة بالشباب».(١٣) وروى الثعالبي «أن الرشيد بكى حتى أخضلَّت لحيته»(١٤) عند سماعه بعض أبياتها، وقيل إنه كان يستمع إلى من كان ينشده هذه العينية، وكانت المائدة معدّةً له، فأمر برفع الطعام وصاح قائلاً: هذه أطيب من كل طعام ومن كل شيء(١٥). وقد عبّر عن انفعاله بالقصيدة، فأمر أن يُرفَع السيف عن ربيعه في نصيبين، فرُفِع في عصر اليوم الثاني.(١٦) وقيل: إن (البيدق) - وهو راويةٌ كان ينشد الرشيد أشعار المحدَثين - أنشد الرشيدَ عينية النمري، فأمر أن يُرسل للنمري بسبعةآلاف دينار(١٧).

عنصران كانا السبب الذي أدخل النمري إلى قصر الخليفة، وهما أصدقاؤه وشعره، وهما اللذان منحاه بحبوحة من العيش نَعِم في ظلالها حينًا من الزمن.

وهذان العنصران هما اللذان كانا نقمةً عليه، سلباه كل نعيم حصل عليه، فقد تحوّل حب أصدقائه إلى حسد له على ما ناله من منزلة في دار الخلافة، ولذلك سعوا بالوشاية بينه وبين الخليفة، واستغلّوا بعض شعره فأسمعوه - أي هارون الرشيد - شعرًا سياسيًا كان قد قاله، وفسروه تفسيرًا أثار عليه غضب الخليفة وسخطه، مما حمل الخليفة على أن يأمر بعض أتباعه بالرحيل إلى الجزيرة ليأتي برأس منصور النّمري، وقد رحل الرسول لينفّذ أمر الخليفة، ولكن منيّة النمري سبقت وصول الرسول، فكان الرجل قد مات في اليوم السابق لوصوله، وتقول بعض الروايات إن الخليفة أمر بنبش جثته وحرقها.

وهكذا كانت قلوب الأصدقاء، صفتْ فأوردتْ الشاعر موارد الرزق والعيش الرفيه، ثم تكدرت فأوردته موارد الهلاك.

ولنترك مأساة الشاعر، ولنعد إلى قصيدته العينية، وخاصة في مستهلها فقد أجمع النقاد على أنها من خير ما قيل في موضوعها على شباب رحلْ، ونجم عمر أفَلْ، ولذلك كثر الذين يرددون في أعماق أنفسهم:

ما تنقضي حسرة مني ولا جَزَعُ
إذ ذكرتُ شبابا ليس يُرتَجعُ

الهوامش :

١ـ الجزَع: نقيض الصبر
٢ـ بان: رحل وابتعد
٣ـ الكُنه: القَدْر أو الوقت
٤ـ تشجَيْ: تحزني
٥ـ الأسى: جمع أسوة: وهي القدوة وما يتعزّى به الحزين.
٦ـ منجاب: منكشف منشق
٧ـ المقة: الحب ، ومِقَ: أحبَّ
٨ـ تُرَع: غصَّ
٩ـ نَبَتْ عنه العين: قُبح في العين فلم تقبله.
١٠ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٣٨
١١ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٢ ص٣
١٢، ١٣ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٣٩
١٤ـ خاص الخاص للثعالبي ١١٢
١٥ـ المصدر السابق ١١٢
١٦ـ الأغاني للأصفهاني ٢٢/١٢
١٧ـ تاريخ بغداد ٨/١٣

رمضان شهر الجهاد والانتصارات

البُوَيْب

معركة رمضانية منسية!

طارق عبدالفتاح شديد

صيام رمضان يتيح للمسلم فرصة الانتصار على كل سلطان في الأرض، الانتصار على سلطان الشهوة في الجسد، وسلطان الكبر والغرور في النفس، وسلطان التقاليد والعادات والأعراف في المجتمع، وسلطان السمعة والرياء في الأعمال لإرضاء الناس..

كما يتيح الصيام للمسلم فرصة الانتصار على سلطان القوة والأذى عند الأعداء؛ لأن الانتصار على العدو الذي نعاني منه أشد المعاناة لايتحقق إلا بمدرسة الصوم، فالمهزوم أمام نفسه وشهواته جندي في جيش العدو، حَرِيٌّ به أن يحمل لأمته الهزيمة.. ولذا كان الصيام طريق الجهاد، والجهاد طريق النصر، فهو عطاء كأعظم ما يكون العطاء، عطاء بالنفس والمال، في سبيل هداية البشرية وتخليصها من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ونسخ حكم الطواغيت والمتسلطين على رقاب العباد (١)..

من هنا، رأينا أغلب الانتصارات التي حققها المسلمون ـ ولأمر يريده الله عز وجل ـ كانت في شهر رمضان، ولذا أمكن أن نطلق عليه شهر الجهاد، وعلينا أن نظهر هذا الجانب العظيم في هذا الشهر الكريم، حتى يعلم المسلمون أن رمضان شهر جد واجتهاد وجهاد، وليس كما فهمه البعض ـ خطأ ـ من أنه شهر الراحة فكسلوا عن معالي الأمور..

انعطافات تاريخية

فمن أبرز الغزوات والمعارك التي وقعت في رمضان، وشكلت انعطافات كبرى في حياة المسلمين ومسيرة البشرية، غزوة بدر الكبرى، وفتح مكة، وعين جالوت.. وهناك معارك أخرى، وقعت في شهر رمضان، ولم تشتهر عند الناس شهرة المعارك السابقة، وكاد يطويها النسيان، رغم أهميتها الكبرى ودلالاتها العظمى في التاريخ الإسلامي، ومن هذه المعارك: معركة «البُوَيْب» التي دارت بين المسلمين والفرس، وكان لها أثر حاسم في كسر شوكة المجوس وفتح العراق وفارس..

و«البويب» مغيض متفرع من نهر الفرات، وقد وقعت عنده المعركة المذكورة في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث عشرة للهجرة، في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت بعد معركة «الجسر» ـ الملاصق لنهر الفرات ـ والتي انهزم فيها المسلمون، واستشهد منهم أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف، وقتل من الفرس ستة آلاف، وكان ذلك في شهر شعبان(٢)..

مداواة الهيبة المجروحة

وقد هزت موقعة «الجسر» نفس أمير المؤمنين عمر وجميع المسلمين هزًا عنيفا، وكان الذين فروا من المعركة لاتجفّ دموعهم ندما على ما فرط منهم.. وأخذ عمر يفكر في استرداد هيبة المسلمين في العراق، فالفرس إذا لم يُلاحَقُوا طمعوا، وما لم يُشغَلوا هجموا، والمسلمون في العراق يتعرضون كل يوم لغارات الفرس.. لذا استنفر عمر المسلمين، فأقبل الناس على المدينة من كل ناحية لملاقاة عدوهم العنيد، وأخذ عمر يلحقهم جماعات جماعات «بالمثنّى» آخر قُوَّاد معركة «الجسر»، الذي نجاه الله ليثأر لإخوانه الذين لقوا الله، ويستعيد كرامة المسلمين، حتى اجتمع لدى «المثنى» جيش عظيم .. وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النَّمري في جمع عظيم من النمر النصارى، وقالوا: نقاتل مع قومنا.

خطة المعركة

احتشد جيش المسلمين على شاطئ البويب الشرقي، وسمع الفرس بذلك، فاستخفوا بالمسلمين: «وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمرًا كَانَ مَفْعُولاً» (الأنفال: ٤٤)، ولم يظن الفرس إلا أنها ستكون مثل موقعة «الجسر»، واختاروا «مهران» ليكون قائد قواتهم ـ وهو من فرسانهم وشجعانهم ـ وعسكر مُهرانُ وجيشه الكثيف على شاطئ الفرات بإزاء المسلمين.. وكاتب مهران المثنى، إما تعبر إلينا أو نعبر إليكم ، وأجابه المثنى: بل اعبروا، وعبر مهران وجيشه، واجتمع الجيشان على شاطئ الفرات الشرقي في المكان المعروف بالبويب..

وطلع القائد الإسلامي «المثنى» على المسلمين راكبا فرسه الشموس، وطاف بالجيش وعبأ جنوده، فجعل على المُجَنِّبَتَيْن «بشير بن الخصاصية وبُسْر بن أبي رُهْم»، وعلى المجردة «المعنّى» أخاه، وعلى الرجالة أخاه «مسعودًا»، وعلى الرِّدْءِ «مذعورا»..

وعبأ «مهران» جيشه، وخرج به في ثلاثة صفوف، مع كل صف فيل، والرجالة أمام الفيلة، وأحدثوا أصواتا مزعجة، فقال المثنى للمسلمين: «إن الذي تسمعون فشل، فالزموا الصمت»(٣).

ونبه المثنى المسلمين إلى أنهم صائمون، ولفت أنظارهم إلى ما يحدثه الصيام في الإنسان من الضعف، واقترح عليهم أن يُفطِروا ليقووا بذلك على قتال عدوهم، فأفطروا(٤).. ووقف على الرايات يحثهم على القتال، وكلما مر براية قال لأصحابه: «إني لأرجو ألا يُؤتَى الناس من قبلكم اليوم، والله ما يسرّني اليوم لنفسي شيء، إلا وهو يسرني لعامتكم» فيجيبونه بمثل ذلك، ثم قال: «إني مكبر ثلاثا، فتهيّؤوا، ثم احملوا في الرابعة»(٥)..

فدائيةُ المثنى وانهزامُ الجمع

ولم يكد المثنى يكبر التكبيرة الأولى حتى بادر الفرس بالقتال، وشدُّوا على المسلمين شدة عنيفة، اختلت منها صفوف بني عِجْل من المسلمين، وخاف المثنى إثر هذا الاختلال، فأرسل إليهم رجلاً يقول لهم: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لاتفضحوا المسلمين اليوم، فاعتدل القوم، وأبلوا بلاء حسنا، وفرح بذلك المثنى حتى ضحك(٦).. ودارت المعركة بين الفريقين، واشتد أُوارها، وأخذت تتأرجح حينا مع المسلمين، وحينا عليهم، وخشي المثنى أن تطول المعركة، ويضعف المسلمون أو يصيبهم الوهن ففكر وفكر، وتأكد أن المعركة لاتُحسم إلا إذا هُزم قائدهم، فعزم على أن يحمل عليه مهما كلَّفه ذلك، وأن يحسم المعركة بضربة خاطفة.

ثم عمد المثنى إلى رجلين من العرب ولكنهما على دين النصرانية، فحثهما على القتال معه حمية، وأثار فيهما النخوة العربية، وقال لهما: «إني حامل على مهران، فإذا رأيتماني أحمل عليه فاحملا معي»(٧)، وحمل المثنى على مهران حملة صدق الله فيها ، فأزال مهران عن مكانه، وتأخر القلب متقهقرا، واختلط الجيشان وثار الغبار، فلم يعرف كلُّ فريق لمن الغلبة، وظل المسلمون يشددون الهجوم، وظل الفرس يتقهقرون.

وانهزم جيش الفرس هزيمة نكراء، وتفرقوا في كل مكان، وفرُّوا نحو «الجسر» يريدون العبور، ويتلمسون النجاة، ولكن المثنى ـ رحمه الله ـ كان أسبق منهم، فحال بينهم وبين الجسر وردهم عنه، وأعمل المسلمون سيوفهم في الفارين منهم قتلا، وأجبر «عرفجة بن هرثمة» كتيبة من جيش الفرس، حتى لم يكن وراءها إلا الفرات، يقول عرفجةُ: «ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم، وسلى عنا مصيبة «الجِسر» فلما دخلوا في حد الإحراج كسروا علينا، فقاتلناهم قتالا شديدا، حتى قال بعض قومي: لو أخرت رايتك: فقلت: على تقديمها، وحملت بها على حاميتهم فقتلته، ففروا نحو الفرات، فما بلغه أحد منهم فيه روح»(٨).

ندم من المثنى

وتتبع المسلمون الفرس إلى الليل، وهم يتخبطون لايدرون ماذا يصنعون، وسيوف المسلمين تنهشهم نهشا، فلما كان الصباح تتبعوهم كذلك، حتى أمسوا وقتلوا منهم زهاء مائة ألف(٩).

ولكن «المثنى» ندم على منعه جيش الفرس من العبور، فأعلن ذلك قائلاً: «لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه، حتى أحرجتهم، فإني غير عائد، فلاتعودوا أيها الناس إلى مثلها: فإنها كانت مني زلة، فلاينبغي إحراج مَنْ لا يقوى على امتناع»(١٠).

وصلى المثنى على شهداء البويب، ومنهم أخوه مسعود وقال: «والله إنه ليهوّن عليَّ وَجْدي أن شهدوا البويب، وأقدموا وصبروا، ولم يعجزوا ولم ينكلوا...»(١١).

وانتدب المثنى جماعة من المسلمين، ليتعقبوا المجوس وهم فارون، حتى يوقعوا الرعب في قلوب أهل فارس، وأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر فعبروا عليه، وخرج جميع من كان قد حضر يوم الجسر يطلب القوم أو الشهادة، لعله يُكفّر عما كان منه يوم الجسر.. وغنم المسلمون غنائم عظيمة، حيث أصابوا بقرا وغنما ودقيقا وسبيا، فقسمه المثنى بينهم.

دروس مستفادة

في الإمكان استخلاص الكثير من الدروس المستفادة من معركة «البويب»، فقد كانت المعركة اقتصاصا عادلا من هؤلاء الذين غرروا بالمسلمين ونالوا منهم، وهي في الوقت نفسه إعلان عن قوة المسلمين، واسترجاع لما فقدوه من الهيبة في نفوس المشركين، وإعادة للروح المعنوية إلى أعلى مستوى في قلوب المؤمنين.

وقد تجلت الأخلاق الإسلامية العظيمة بوضوح في موقف «المثنى» قائد جيش المسلمين حين أعلن ندمه على منعه جيش الفرس من العبور، فالإسلام رأفة ورحمة، ومحافظة على ماء وجه العدو، حتى في حالة الانتصار، ومما يلفت الأنظار اعتراف القائد المسلم بالخطأ وإذاعته على الجيش، وهذه مرتبة لايصل إليها إلا من تربّى على مائدة الإسلام(١٢)..

وختاماً فقد كانت هذه المعركة من أجل العقيدة، لإعلاء كلمة الله، وإزالة العقبات عن طريق دعوة الإسلام، لا من أجل قومية أو عصبية.

الهوامش:

(١) مجلة «الأمة»: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر، العدد (٩)، السنة الأولى، رمضان ١٤٠١هـ ـ تموز يوليه ١٩٨١م، ص(٥).
(٢) رياض الصائمين: د. عبدالرحمن البر، دار الوفاء ـ المنصورة، ط(١) ـ ١٤١٤هـ، ص ١٣٢:١٣٨.
(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ٢/٤٤٢.
(٤) تاريخ الطبري، ٣/٤٦١.
(٥) الكامل لابن الأثير، ٢/٤٤٣.
(٦) تاريخ الطبري، ٣/٤٦٥.
(٧) السابق، ٣/٤٧٧.
(٨) السابق، ٣/٣٦٨.
(٩) السابق والكامل لابن الأثير، ٣/٤٤.
(١٠) الكامل لابن الأثير، ٣/٤٤.. تاريخ الطبري، ٣/٤٦٩.
(١١) تاريخ الطبري، ٣/٤٦٩.
(١٢) رياض الصائمين: ص١٣٦، ١٣٧.

مسؤولية وسائل الإعلام في التعليم الإسلامي



د. عبدالقادر طاش

للإعلام صلة وثقى بالتربية والتعليم، فهو -بوسائله الجماهيرية المتنوعة من صحافة وإذاعة وتلفاز- يعلم الناس، ويسهم في العملية التربوية في المجتمع. ويومًا بعد يوم تزداد أهمية وسائل الإعلام الجماهيرية في المجتمعات الحديثة. ويرجع ذلك إلى انتشارها الواسع، وجاذبيتها المبهرة، وتجاوزها للحدود والقيود، بالإضافة إلى سهولة الحصول عليها، وارتفاع نسبة اعتماد الناس عليها في الحصول على المعلومات والاطلاع على مايجري في محيطهم القريب والبعيد.

وليس من شك في أن الخصائص التي اجتمعت لوسائل الإعلام الجماهيرية، جعلتها لدى قطاعات عريضة من أفراد المجتمع من المصادر الرئيسة التي يؤسسون على مايستقون منها آراءهم ومواقفهم واتجاهات سلوكهم الفردي والجماعي. ومن هنا أصبحت هذه الوسائل منافسًا قويًا للمؤسسات التقليدية للتربية والتعليم كالمدرسة والجامعة والبيت، لذلك وصف بعضهم وسائل الإعلام بأنها غدت "المعلم الجديد" للأجيال، وهو معلم يحبه الصغار والكبار لما يتمتع به من مزايا يفتقر إليها "المعلم التقليدي" في المدرسة أو البيت.

ولقد سارعت ظروف العصر ومتغيرات الزمان في مزاحمة وسائل الإعلام الجماهيرية لمؤسسات التربية والتعليم، ومنافستها بقوة لاتقاوم، فقد انشغل الآباء والأمهات عن أبنائهم كثيرًا، وتراجعت فعالية البرامج والنشاطات التربوية والتعليمية في مؤسساتها المعروفة، وانحسر دور المربين والمعلمين، وتشعبت اهتمامات الأجيال الجديدة، وتكاثرت عليهم المغريات، وتجاذبتهم أسباب اللهو والاستمتاع. ويكفي للتدليل على مدى استقطاب وسائل الإعلام الجماهيرية للأطفال بخاصة -وهم الشريحة الرئيسة التي تتوجه إليها البرامج التعليمية- أن نوازن بين مايقضيه الطفل من وقت لمشاهدة التلفاز، ومايقضيه من وقت لتلقي الدروس في المدرسة. أضف إلى ذلك أن التلفاز يختص من بين وسائل الإعلام الأخرى بأنه يقدم للطفل مادته بأسلوب مُشَوِّق وجذّاب بعيدًا عن الأساليب والقيود التي تتم بها العملية التعليمية.

اهتمام محدود

تأكيدًا لهذه الصلة الوثقى بين الإعلام والتعليم برز الاهتمام في الآونة الأخيرة بين التربويين المهتمين بشؤون التعليم في العالم الإسلامي بدراسة هذه العلاقة ومعالجة التأثيرات الإيجابية والسلبية لوسائل الإعلام في مجال التربية والتعليم. ولكن هذا الاهتمام لايزال محدودًا وضعيفًا، اذ لايتجاوز في أحسن الأحوال إبداء الشكوى المريرة من التأثير السلبي لوسائل الإعلام في العملية التربوية من جهة، والبيان النظري لما يمكن أن تسهم به وسائل الإعلام إيجابيًا في مساندة برامج التربية والتعليم من جهة أخرى. وهناك استثناءات قليلة حاولت تقديم نماذج تطبيقية، ولكنها تظل محدودة وفي نطاق ضيق. لذلك يمكنني الزعم بأن الخبراء التربويين ومخططي السياسات التربوية ومصممي البرامج التعليمية في المجتمعات المسلمة، لم يكتشفوا بعد بصورة علمية واعية الإمكانات الكبيرة والآفاق الرحبة لاستخدامات وسائل الإعلام الجماهيرية في العملية التربوية والتعليمية، فضلاً عن أن يسهموا في ترجمة ذلك الاكتشاف العلمي إلى سياسات محكمة وتطبيقات عملية مقننة.

وهذا أمر يؤسف له، فقد سبقتنا أمم إلى الإدراك العلمي والعملي لاستخدام وسائل الإعلام في مجال التربية والتعليم، وقطعت في ذلك أشواطًا بعيدة. ففي بريطانيا -مثلاً- أُنتج في عام واحد -وهو العام ١٩٧٧م- ١٤٠ مسلسلاً تلفزيونيًا مدرسيًا لتوزيعها على المدارس واستخدامها في برامج التعليم. وتقدم محطة تلفازية بريطانية نشرة إخبارية للصغار تتوجه إلى الطلاب في المدارس في أوقات معينة على مدى أربعة أيام في الأسبوع. كما أن شركة إذاعة (بي بي سي) المشهورة تبث

أسبوعيًا ٣٦ ساعة من البرامج المدرسية. وفي اليابان تدل الإحصاءات على أن ٩٥٪ من معلمي المرحلة الابتدائية و ٥٩٪ من مدرسي التعليم الثانوي يستعينون في حصصهم بالبرامج المدرسية التلفازية. وقد سبقت اليابان كثيرًا من الدول في اهتمامها المبكر بالإعلام التعليمي إذ قامت عام ١٩٥٣م بإنشاء مؤسسة عامة تعرف باسم (إن إتش كي) للعناية بإنتاج البرامج الثقافية والتربوية جميعها. وتوجد في اليابان الآن برامج تلفازية توجه خصيصًا إلى الأطفال في منازلهم، وإلى دور الحضانة ورياض الأطفال، وإلى بعض مدارس التعليم الابتدائي.

وإذا كان كثير من الدول الصناعية المتقدمة قد استفاد من وسائل الإعلام في مجال التعليم، وذلك بتخصيص القنوات التلفزيونية لخدمة أغراض التعليم والتثقيف العام، كالولايات المتحدة واليابان وألمانيا وبريطانيا وكندا وغيرها من الدول، فإن عددًا من الدول النامية أيضًا حاولت خوض غمار هذه التجربة المثمرة، واستطاع بعض هذه الدول -رغم إمكاناته الضعيفة- من تحقيق نجاح باهر.

ولعل تجربة الهند في استخدام التلفزيون لأغراض التعليم والتنمية الريفية عام ١٩٧٥م تعد من أهم التجارب الناجحة التي حظيت بالعديد من الدراسات والبحوث الدولية. وتتميز هذه التجربة بأنها كانت أول تجربة تستخدم فيها الأقمار الصناعية لتعميم فوائد البرامج التعليمية على أوسع نطاق.

وقد تمكنت التجربة، التي نفذت بالتعاون بين الحكومة الهندية والحكومة الأمريكية -وسميت SITE،- من الوصول إلى ٢٣٣٢ قرية في ست ولايات هندية. وقدر عدد الأشخاص الذين وصلت إليهم البرامج بحوالي ٣ ملايين شخص. وكان البث التلفزيوني يصل إلى المشاهد المحلي في تلك القرى مباشرة من القمر الصناعي.

مهمات ثلاث

وفي ضوء ماأوضحناه من ارتباط بين التربية والإعلام، نحاول الإجابة عن السؤال المطروح وهو: كيف يمكن أن نستفيد من وسائل الإعلام الجماهيرية في مجال التعليم الإسلامي؟ وقبل الإجابة لابد من التنبيه إلى أن مجتمعاتنا المسلمة هي من الاتساع والتنوع والتباين في الإمكانات ومراحل التطوير بحيث لانستطيع معه أن نعمم أحكامًا عليها أو أن نضع سياسات وبرامج موحدة لاستخدام وسائل الإعلام الجماهيرية في مجال التربية والتعليم فيها، فلكل مجتمع خصائصه وظروفه وإمكاناته، ولابد أن تنبع السياسة التعليمية من تلك الخصائص وتراعي تلك الظروف، ولابد أن تلبي برامج التعليم عبر وسائل الإعلام الحاجات الحقيقية لكل مجتمع وأن تتناسب مع الإمكانات الفعلية فيه. ولذلك ينبغي أن تقوم الجهات المعنية في كل مجتمع -سواء في مجتمعات الأغلبية أو الأقلية- برسم السياسة المناسبة واختيار الوسائل الملائمة، ثم إعداد وتصميم البرامج الكفيلة بسد الحاجات في ضوء الإمكانات المتاحة.

ويمكننا هنا تحديد ثلاث مهمات واسعة لوسائل الإعلام الجماهيرية في مجال التعليم الإسلامي هي:

- تهيئة الرأي العام في المجتمع لقبول فكرة التعليم الإسلامي والتحمس لها.
- مساندة برامج ومناهج التعليم الإسلامي ببرامج إعلامية ثقافية وتعليمية عامة.
- المشاركة بإنتاج برامج ومواد متخصصة في المجالات المختلفة للتعليم الإسلامي.



أولاً: مهمة التهيئة: تحتاج المجتمعات المسلمة -وبخاصة تلك التي تعود إليها فكرة التعليم الإسلامي بعد غياب وانقطاع، سواء في مجتمعات الأغلبية أو الأقلية -إلى مرحلة مهمة من التهيئة والتحضير لقبول الفكرة والحماس لها. ووسائل الإعلام الجماهيرية هي المؤهلة للقيام بهذه المهمة. ولذلك يمكن لوسائل الإعلام -من صحافة وإذاعة وتلفاز- تنظيم حملات إعلامية منظمة ومدروسة لتحقيق هذه المهمة عن طريق مايلي:

١ - إبراز أهمية التعليم الإسلامي وضرورته لأفراد المجتمع والتدليل على ذلك شرعًا وعقلاً وواقعًا مع بيان الثمرات المرجوة منه في الحاضر والمستقبل.

ب - التعريف العام بأسس التعليم

مسؤولية وسائل الإعلام في التعليم الإسلامي

الإسلامي ومجالاته ومتطلباته.

جـ - تشويق أفراد المجتمع وحفز هممهم للتعليم الإسلامي ودفعهم إلى المطالبة بتعميمه واستفادة أبنائهم منه، وتحريضهم على دعم فكرة التعليم الإسلامي.

ثانيًا: مهمة المساندة: أما المهمة الثانية لوسائل الإعلام الجماهيرية في مجال التعليم الإسلامي، فهي مساندة مناهج وبرامج التعليم الإسلامي بشكل عام. وتتم هذه المهمة -بالطبع- بعد البدء في تنفيذ برامج التعليم الإسلامي على المستوى المدرسي والاجتماعي. وهنا تكون وسائل الإعلام الجماهيرية سندًا للتعليم الإسلامي. ومما يمكن أن يسهم في تحقيق هذه المهمة مايلي:

١ - تسليط الأضواء على الخطط والبرامج التعليمية الإسلامية والتعريف بالفرص المتاحة لأفراد المجتمع ودلالتهم عليها؛ حتى يلتحقوا بهذه البرامج، ويستفيدوا منها الاستفادة المبتغاة.

ب - تكملة الدور التربوي والتعليمي للمؤسسات المعنية بالتعليم الإسلامي من خلال ماتقدمه وسائل الإعلام الجماهيرية من برامج تعليمية وتثقيفية عامة، تتوافق في أهدافها مع برامج التعليم الإسلامي التي تقدمها المؤسسات التربوية، وبذلك يسهم الإعلام في توسيع آفاق هذه البرامج، وتعزيز تأثيرها الإيجابي في المجتمع.

جـ - توفير القنوات الضرورية للحوار المتخصص والعام حول برامج التعليم الإسلامي وسياساته ومتابعة النشاطات التي ترافقها، والإخبار عنها، وإتاحة الفرصة عبر الوسائل المختلفة كالصحف والمجلات والراديو والتلفاز لمناقشة قضايا التعليم الإسلامي من قبل المختصين والمسؤولين والمستفيدين، والإسهام في تقويم تلك الخطط والبرامج وتحسين أدائها.

ثالثًا: مهمة المشاركة: وتكمل المهمة الثالثة منظومة الاستخدام الأمثل لوسائل الإعلام الجماهيرية في مجال التعليم الإسلامي. وتتمثل هذه المهمة في المشاركة الفعلية لوسائل الإعلام في التعليم الإسلامي بإنتاج البرامج والمواد التربوية والتعليمية المتخصصة والموجهة إلى الفئات التي تستفيد منها سواء الأطفال والشباب في منازلهم، أو في محاضنهم التربوية، أو في مدارسهم التعليمية. ويمكن الإشارة إلى أهم ماينبغي عمله في هذا الميدان بما يلي:

١ - السعي نحو إنشاء أقسام متخصصة في وسائل الإعلام الجماهيرية للتخطيط لبرامج التعليم الإسلامي وإنتاجها، وذلك بالتعاون مع الخبراء والمتخصصين والمسؤولين التربويين، ويمكن أن تبدأ هذه الأقسام بوحدات صغيرة وبإمكانات متواضعة لتكون خطوة في الطريق.

ب - إعداد وتصميم مواد وبرامج متخصصة في التعليم الإسلامي مبنية على خطط واضحة ومدروسة لنشرها في الصحف والمجلات وبثها عبر الراديو والتلفاز، بما يتناسب مع الخصائص الفنية لكل وسيلة من هذه الوسائل. ويكون ذلك بالتعاون الوثيق مع المتخصصين في التعليم الإسلامي. ومن أمثلة هذه المواد والبرامج: مواد وبرامج إعلامية متخصصة في العلوم الشرعية كتعليم مبادىء العقيدة، وتبسيط أحكام الفقه وتنمية الثقافة الإسلامية، وتزكية السلوك الإسلامي. كذلك البرامج والمواد التي تهتم بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويمكن الاستعانة هنا بما قد يتوافر من برامج تعليمية جاهزة في بعض وسائل الإعلام في العالم الإسلامي بعد تكييفها بما يتلاءم مع ظروف كل مجتمع.

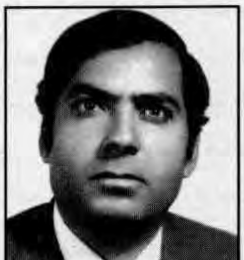
جـ - المساعدة في إعداد وتقديم برامج ومواد متخصصة في تدريب المعلمين في مجال التعليم الإسلامي وتنمية قدراتهم العلمية مع التركيز بطبيعة الحال على إرشادهم وتدريبهم على كيفية استخدام وسائل الإعلام الجماهيرية في هذا الميدان.

الوجه الآخر

إن هذه المهمات الثلاث لوسائل الإعلام الجماهيرية في مجال التعليم الإسلامي، تمثل الجانب الإيجابي من الصورة. ولكن لوسائل الإعلام الجماهيرية جانبًا آخر سلبيًا - ويالأسف -، فهذه الوسائل يمكنها أن تسهم في تعويق مسيرة التعليم الإسلامي، بل وقد تقوم -بطريقة مذهلة- بإبطال مفعول هذا التعليم بما تبثه أو تنشره من مواد أو برامج تتناقض مع رسالة التعليم الإسلامي، أو تخالف مبادئه. وبذلك يكون الإعلام عامل هدم لما يبنيه التعليم. ومن هنا ينبغي أن يلحظ مخططو التعليم الإسلامي ومنفذو سياساته ومصممو برامجه هذه الحقيقة، ويعملوا على تلافي هذا الجانب السلبي أو التقليل من آثاره على الأقل، وذلك بالتعاون والتفاهم مع المسؤولين والعاملين في وسائل الإعلام. ولعلّ من الوسائل المعينة على تحقيق التعاون البناء بين رجال التعليم ورجال الإعلام في ميدان التعليم الإسلامي العمل على تكوين هيئة أو لجنة مشتركة بين الطرفين للتخطيط والتنفيذ لبرامج التعليم الإسلامي من جهة، ولمراقبة ماتنشره وسائل الإعلام وتنقيته مما قد يفسد العملية التربوية، أو يؤثر فيها سلبًا من جهة أخرى.

نموذج من الأدب الإسلامي:

قراءة في ديوان نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني



د. محمد صالح الشنطي

للشاعر محمود مفلح العديد من الدواوين ذات الرؤية الإسلامية، كما أن له مجموعة قصصية، وله عدد من الدراسات النقدية، فهو غزير الإنتاج متدفق، طويل النفس.

إن الديوان الذي بين أيدينا صادر عن دار الوفاء بالمنصورة عام ١٤١٢هـ، ويمثل إلى حد كبير نهج الشاعر الفني وموقفه الفكري، ومعظم قصائده في هذا الديوان (تناظرية الشكل) عمودية التشكيل. وقد سبق للشاعر أن كتب في شعر التفعيلة وخصوصاً ديوانه «الشال الفلسطيني»، فبدا فيه مجددا قريب المتناول في بنائه للصورة الشعرية وصياغته التعبيرية، فيه ومضات أسلوبية تذكرنا بالصياغة النزارية في لغته المصفاة لافي رؤيته التي ينكرها الشاعر أشد الإنكار، ويسجل ذلك في واحدة من قصائد (النقوش) وهي تحت عنوان «نزار».

وقد اختار محمود مفلح عنوان إحدى قصائده فوسم بها هذا الديوان الذي جمع بين دفتيه ألوانًا من الموضوعات، بعضها ذاتي وجداني يتعلق بالشاعر وأسرته، وبعضها يتناول القضية العربية الإسلامية المركزية التي نذر لها الشاعر قصائده، وبعضها يندرج تحت شعر المناسبات، فليس ثمة جامع موضوعي بين قصائد الديوان، وإن كان هناك وحدة في الرؤية والمنطلق.

وسأحاول أن أقف على المنحى الفني للشاعر في إسلامياته، ونبدأ بقصيدته (ياقدس)، وهي نونية مطلقة القافية مُصَرَّعة المطلع على البحر البسيط جاءت منسابة هادئة ليس فيها نتوءات إيقاعية، لها نهج بنائي واضح المعالم، قسّمها إلى مقاطع.

وقد استهل الشاعر كل مقطع بأسلوب إنشائي: استفهام أو نداء ـ وهو الغالب ـ أو حرف جواب، وتتولد من هذه الأساليب جملة تقريرات مُثبَتَة في شقها الأول منفية في شقها الثاني، في نظام يستغرق الأبيات الأولى من المقطع الأول، غير أن الشاعر يراوح بين الطلب والإخبار منسجماً بذلك مع انفعالاته الداخلية، إذ يضيق بوطأة الواقع فيلجأ إلى التماس استجابة (الآخر) فيناديه ويسائله ويبثه أحزانه مستقصياً راصداً مختلف الجزئيات وكأنه يريد أن يقنعه، ونحن نستطيع أن نرصد هذه الظواهر الأسلوبية التي وظفها الشاعر على النحو التالي:

أولاً : يبدأ القصيدة بالتساؤل الذي يوحي بالعجز والحيرة والإحباط، ثم يبرر ذلك من خلال التقرير الذي يتوسل بالصورة التمثيلية يرفدها بالاستثناء والنفي وهما ظاهرتان أسلوبيتان من شأنهما زلزلة الاستقرار، حيث تنعكس الحالة النفسية المضطربة فتتجسد عبر الصياغة، ويضيف إلى ذلك استخدام جملتي الشرط اللتين تمثلان هذا الاضطراب فلو أداة امتناع لامتناع.

ثانياً : يكثر الشاعر من أساليب النداء، وهو نداء ذو أغراض بلاغية يفيد التحسر والاستغاثة والندبة: ياأيها الوطن، ياقدس، ياوردة الجرح، ياأم العيال. ويأتي بعد النداء أسلوب الاستفهام الذي يزعزع حالة الاستقرار والتسليم ويبث إيقاع الشك والاضطراب.

ثالثاً : تبدو ظاهرة التكرار شديدة الوضوح، وهي تفيد التوكيد والتنفيس والإلحاح والاستقصاء، وكأنها منطلقات لموجات نفسية متتالية، ففي المقطع الثالث يكرر (نعم) خمس مرات في ثلاثة أبيات وفي كل مرة يضيف تفاصيل جديدة للمأساة أو يعبر عنها بصورة مختلفة، وهو يتوسل بالصورة، وهي قد تكون صورة قديمة، ولكنها تأتي في السياق في شكل مفاجئ يهُز سكينة المتلقي كالكناية في قوله

«نعم ركبنا إليك المركب الخشنا» وقد تكون صورة جديدة تقوم على التشخيص كقوله: «نعم تساقطت الأحلام مجهضة»، وقد تأتي التفاصيل الجديدة مباشرة عارية من الصورة، ولكنها حادة ومتتابعة وصادمة.

رابعاً: جاءت نهاية القصيدة محكمة في جمل اسمية ثابتة يقينية في أعقاب سلسلة من الجمل المنفية المعطوف بعضها على بعض في تلاحق لاهث: ماخفضنا، ولانكسنا، ولانسينا (مكررة)، ولاتعبنا، وكأنها القرار الذي يأتي في أعقاب الأمواج الهادرة.

خامساً: راوح الشاعر بين استخدام ضمير المتكلم المفرد، وضمير الجمع، فأوحى بذوبان الذات في المجموع، إذ بدأ بالضمير المفرد في الأبيات الأربع الأولى ثم عمد إلى ضمير الجمع ثم عاد إلى المفرد، وهكذا.

سادساً: لجأ الشاعر إلى استخدام مفردات رومانسية الطابع حقولها الدلالية كونية ذات سمة طبيعية ووجدانية: فهناك الألفاظ البحرية والحزينة، والإيقاع الناجم عن توالي حروف بعينها كالنون وحرف المد واللين كل ذلك أسهم في تغذية الإيقاع الموحي بالحزن على الرغم من الرؤية المتفائلة التي ختم بها الشاعر قصيدته.

سابعاً: اعتمد الشاعر على الصور الجزئية، وهي صور مألوفة، ولكن الشاعر يطعمها بما يهز هذه الألفة ففي قوله (لاعُشاً ولا كفنا) اخترق مألوفية الصورة في قوله (كل الطيور إلى أعشاشها هُرِعَتْ إلا طيوري)، كذلك فإن الجمع في الصورة بين ثنائية الحسّي والمعنوي، مايلقي ظلالاً من الإدهاش والإطراق كما في قوله (إنا نخوض إليك الليل والمحنا)، كذلك فإن الصورة حين تأتي تذييلاً وفي إطار استفهام تقريري يجمع الشاعر فيه بين ثلاثة ألوان بلاغية أحدها ينتمي إلى علم المعاني وآخر إلى علم البيان، كما أن التقابل المعنوي يستحضر لوناً ثالثاً، وهكذا تحتشد الظلال والإيحاءات لتفجّر مكامن التأثير، ويأتي التشبيه أحياناً مسبوقاً بالنداء، والنداء في عرف البلاغيين موطّئ وممهد للأمر، وهو هنا ممهد ومرهص بالصورة.

ثامناً: ثمة ظاهرة أسلوبية تذكرنا بالشاعر محمود حسن إسماعيل وهي ازدواجية الكلمات في آخر البيت. وهذه الثنائيات اللفظية في أواخر الأبيات: الليل والمحنا، الثدي واللبنا، الويل والحزنا، حرة وقنا، الليل والفتنا.. الخ تثري الجانب الإيقاعي وتصور الاحتشاد النفسي.

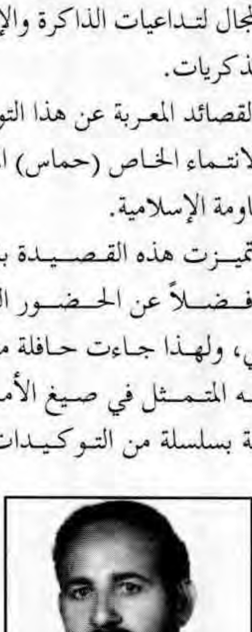
ولايتسع المجال لمزيد من الاستقصاء، ولكن حسبنا أننا أشرنا إلى مقطعات فنية أغنت جماليات القصيدة.

وليس من الممكن الحديث عن الجاهزية والنمطية والخاتمة المفضلة، فلكل لون من ألوان الشعر منحاه، ولكل رؤية مساربها.

وقد اتكأ الشاعر على البحر البسيط في نسيجه الإيقاعي، وتفعيلات هذا البحر تتهادى على أمواج الحزن المتدافعة في هدوء وسكينة مفسحة المجال لتداعيات الذاكرة والإلحاح على تفاصيل الذكريات.

ومن القصائد المعربة عن هذا التوجّه ولكن في إطار الانتماء الخاص (حماس) المهداة إلى حركة المقاومة الإسلامية.

وقد تميزت هذه القصيدة بالحضور الفكري فضلاً عن الحضور الوجداني الانفعالي، ولهذا جاءت حافلة منذ البداية بالتوجيه المتمثل في صيغ الأمر والنهي مشفوعة بسلسلة من التوكيدات الخاصة بالجمل الاسمية التي تومئ إلى ثبات الفكرة واستقرارها والإيمان بها. كما جاءت أساليب الاستفهام المقترنة بالجمل الحالية مجسّدةً الحالة الذهنية والنفسية المستنفرة الرافضة للمنطق السائد قبل اندلاع الانتفاضة، وللاستفهام الانكاري والتعجبي وجود محوري في القصيدة، وكذلك التكرار. ونستطيع أن نتبيَّن بوضوح رؤية الشاعر من خلال منهجه البنائي والتشكيلي في القصيدة، فالأمر والنهي والاستفهام كل ذلك يعكس الموجة الانفعالية الطاغية في النص، وتبرز النبرة التحريضية التي هي وليدة وقدة الانفعال، وتأتي الجمل التقريرية المؤكدة والعبارات المكررة رافداً يبرر سوْرة الانفعال هذه، كذلك الجمل التذييلية، واللجوء إلى رسم المشهد الجزئي الذي لايكتمل بسبب سرعة اقتحام الشاعر له بالنفي أو الاستفهام تعبير حقيقي عن اندفاع الشاعر وحماسته، وقد أفرزت هذه السوْرة المنتشية الغضوب مايلي:



محمود حسن مفلح

أولاً: في غمرة التداعيات التي أسفر عنها الموقف الانفعالي وقع الشاعر في مزلق التجاوز عن بعض الحقائق التاريخية المهمة، منها التأكيد على أن الانتفاضة جاءت بعد أربعين سنة من الصمت وهذا غير صحيح، فلم تشهد ساحة الجهاد صمتاً ولا استكانة في فلسطين منذ أن استولت عليها يد البغي، ولنتذكر معاً الحركة الفدائية التي قادها الضابط المصري الباسل علي حافظ في قطاع غزة في الخمسينيات وأقضَّت مضجع العدو وكانت من الدوافع التي حدت بالصهاينة لشن عدوانهم الغاشم عام ١٩٥٦م، وماكان قبلها من أعمال جهادية أدت إلى الاعتداءات والمجازر المتكررة في خبية والظاهرية والخليل وغزة حيث ضُرب سوقها بالمورتر واختلط فيه اللحم الآدمي بلحوم المواشي. ولنتذكر الانطلاقة الجهادية عام ١٩٦٥م ومعارك الكرامة والحزام الأخضر، ومعسكرات الشيوخ في أغوار الأردن، والانتفاضات المتتالية

نموذج من الأدب الإسلامي: قراءة في ديوان نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني

بالحجارة وغيرها مما يضيق المجال عن ذكره، فكيف يقول الشاعر:

من أربعين ولم يغرّد طيرنا
وكهوفنا بين القبور قبورُ

ثانياً : بروز النزعة الهجائية التي هي محصلة طبيعية لفورة الحماسة، تلك الفورة التي من شأنها أن تحجب بعض الحقائق وتسطح المواقف فهو يقول عن الأقصى الشريف:

هم أحرقوه، ونحن في حاناتنا
مترنحون وخمرنا موفور

أليس في هذا تعميم واتهام للذات؟! أليس فيه إغفال لأبعاد المعركة وتهميش لدور الذين تصدوا لإحباط مخططات العدو؟!

ثالثاً : تكراره لمألوفية الاتهامات وترديده لها، ومأأظن الشاعر بغافل عن طبيعة الأوضاع والعوامل الظاهرة والمستترة التي لها دورها في الهزيمة التاريخية للأمة، ولكن الموقف الانفعالي هو الذي جعله يغلو في بعض الأحيان.

رابعاً : التقابل بين صورتين إحداهما في أقصى حالات السلبية والثانية إيجابية إلى أقصى حد أيضاً، وفي هذا التقابل مايدل على رؤية أحادية في القصيدة (أبيض وأسود فقط) وهذا ناجم عن موقف انفعالي يبسط الأمور تبسيطاً مخلاً في بعض الأحيان.

وفي القصيدة المحورية التي تسمى باسمها الديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني» يكرر الشاعر ماسبق أن أشار إليه في قصيدته السابقة «حماس» حيث يقول:

من أربعين وكفُّ القدس مشرعةٌ
والخاضبون لكف القدس ماحضروا

والبناء المقطعي في القصيدة هو عماد التشكيل فيها، ولذلك دلالة تتجاوز الشكل إلى الرؤية، حيث ينتقل الشاعر من فكرة إلى أخرى فتتوالد المعاني وتتنامى الخواطر وتنهال التداعيات، ومعظم الظواهر الفنية التي أشرنا إليها تتوافر في هذه القصيدة، فالتكرار الذي هو سمة من سمات الشعر المنبري الذي يتفق فيه مع الخطبة ماثل على نحو شديد الحضور، وازدواج المفردات في آخر البيت «الإسراء والظفر» و «السمع والبصر» و «اللحن والوتر» و «عطر ولاحور» «ضعف ولاكبر» و «القوس والوتر» و «الآي والسور»، هذه الظاهرة تثري الجانب الإيقاعي، والصور المعتمدة على الومض الخاطف حيث تعقد المماثلة كحقائق مقررة دون أداة في التشبيه البليغ، وفي الاستعارة التي تحيل إلى التوحّد الكامل، كل ذلك من شأنه أن يعضد النزوع الانفعالي الحماسي، فضلاً عن التكرار الذي يستخدم كمركز وجداني وشعوري يستدعي بالضرورة الانثيالات التي تنهمر بغزارة وتتداعى بشكل عفوي، فالشاعر يبدأ بحملة «شدوا الخناق» التي تتكرر في البيتين الأولين ويتبعها بجملة تقريرية تعضدها، وتأتي كالبرهان على المقدمة المنطقية فترتبط بما قبلها برباط السببية، ويأتي بعد ذلك الشطر الثاني معطوفاً عليها مؤكداً لها، وهذا النسيج اللغوي المتماثل المبني على التوقع يستنفر المتلقي وجدانياً، ويسرّع الإيقاع ويستحث التداعي، ويجعل مايلي من صيغ محملة بالصور الجزئية المتراكمة نوعاً من الحداء.

ويأتي المقطع الثاني وهو لايزيد في عدد أبياته على ثلاثة حاملاً نزوعاً قصصياً مع تلك النبرة الخطابية وكأنه محطة لالتقاط الأنفاس اللاهثة حيث تهدأ قليلاً وتيرة الانفعال عبر صيغ الماضي، وبعد ذلك تشتد النبرة الانفعالية فيسلم الشاعر نفسه لموجة عاتية يطغى فيها الاستفهام الإنكاري عبر ثلاثة أبيات متتالية متكئاً على جملٍ مؤكدة حيناً منفية حينا آخر حتى إذا فرغ من هذه الشحنة عاد إلى قرارة الموجة مقرراً ومكرراً ومنتشيًا بجملة من التشبيهات والاستعارات. وفي المقطع الرابع يتمركز حول القدس وتبدو الصورة المحورية؛ صورة الغادة الحسناء بصفاتها النموذجية، العطر والحَوَر والخضاب، والتي يعجز الخاطبون عن دفع صداقها سوى أولئك الصبية الصغار فرسان الحجارة، وينحدر من قمة التصوير المجازي الذي بدا أقرب إلى الصورة الشعرية المشخّصة إلى سفح المباشرة وإلى جزئية التشكيل ومألوفية التشبيه والحديث عن نهر الدم، والتضمين للسائر المأثور «وأول الغيث قطر ثم ينهمر» وهذا يذكرنا بديوان الشاعر أحمد بهكلي الذي أسماه «أول الغيث» ثم ينتقل إلى الحديث عن اليهود، ويراوح الشاعر في نهاية القصيدة بين الطلب الذي يغلب على الصياغة بشكل عام والتقرير المؤكد، وهو مايعزز ماذهبنا إليه من غلبة الجموح العاطفي الوجداني .

ومعجم الشاعر في مجمله يتراوح بين ثلاثة حقول: حقل كوني طبيعي، وآخر وجداني طبيعي، وثالث قرآني إيماني، وتلك إشارات رومانتيكية الرؤية ومثالية المنظور وأعني الحقلين الأولين، أما الحقل الثالث فهو مما يؤكد الموقف الإسلامي للشاعر الذي ينهل من معين القرآن الكريم، والواقعية الإسلامية هي الرؤية التي يتسم بها الشاعر الإسلامي عادة في نظرته إلى الكون والحياة والإنسان، ولكن النزوع العاطفي الوجداني الطاغي جعل من توظيف الحقل الثالث متمماً للاتجاه الوجداني الابتداعي، وقد أثر هذا الاتجاه في بناء القصيدة فلم تنمُ في مسار عضوي، بل كانت تستجيب لكل خاطرة آنية أو تداعٍ طارئ. ولعل لنا رجعة إلى هذا الديوان الخصب لنستجلي آفاقه وظواهره الفنية ولنتوقف عند نماذج أخرى منه إن شاء الله تعالى .

الغلط بين معاني المادة والصيغة



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

يرى ابن القطاع أن أُجَرَهُ وآجَرَه كلاهما بمعنى واحد، وهو: أعطاه أجره(١).

قال أبو عبدالرحمن: أجره بمعنى أعطاه أجره بلاريب.

أما آجره فتكون بمعنى المفاعلة إذا كان المراد المعاقدة.

وتكون بمعنى المتابعة والموالاة بدفع الأجر لكل عمل يُنجز.

والتسوية بين فَاعَلَ وفَعَلَ تسوية بين صيغتين مختلفتي المعنى بمجرد الدعوى.

وسوّى ابن القطاع بين أنق وآنق، وجعلهما بمعنى: أَعْجَبَ(٢).

قال أبو عبدالرحمن: بل أنق بمعنى صار عجبًا في ذاته.

وآنق صار معجبًا لغيره.

وآكل جعل لها ابن القطاع معنيين:

أحدهما: آكلته بمعنى أطعمته.

وثانيهما: آكلته بمعنى أكلت معه(٣).

قال أبو عبدالرحمن: لانلغي من دلالة فاعل شيئًا، فالأولى بمعنى واليت عليه الطعام ليأكل، والثانية بمعنى واليت الأكل معه.

قال أبو عبدالرحمن: هذا النوع من التفريق أردته مقدمة بين يدي تقعيد الصرفيين وأمثلتهم.

قال ابن الحاجب: «وفاعَلَ لنسبة أصله إلى أحد الطرفين متعلقًا بالآخر للمشاركة صريحًا، فيجيء العكس ضمنًا نحو ضاربته وشاركته.

ومن ثم جاء غير المتعدي متعديًا نحو كارمته وشاعرته، والمتعدي إلى واحد مغاير للمفاعل متعديًا إلى اثنين نحو جاذبته الثوبَ بخلاف شاتمته».

قال أبو عبدالرحمن: وقد فسر الاستراباذي كلام ابن الحاجب بأن صيغة فاعَل: تأتي لنسبة الفعل المشتق منه صيغة فاعَل - وهو الضرب - إلى زيد في قولك: ضارب زيد عمرًا.

وعلقته بعمرو لمشاركته فيه.

ولكنه نُصبَ لأنه مُشارَك، والمشارَكُ مفعول.

وأن صيغَة فاعَل تجعل غير المتعدي متعديًا، وتجعل المتعدي إلى واحد غير مشارك في الفعل متعديًا إلى اثنين أحدهما مشارك.

والقاعدة أن من شاركته فقد شاركك، فيكون الثاني فاعلاً، والأول مفعولاً من حيث الضمن.

واختار الاستراباذي مذهب السهيلي مستدركًا به على ابن الحاجب، فقال: فاعَل لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظًا، والاشتراك فيهما معنى(٤).

قال أبو عبدالرحمن: ها هنا وقفات:

أولاها: أنه جرى عرف العلماء واستقر اصطلاحهم على أن مثل ضرب مشتق من ضارب.

وهذا عندهم اشتقاق لفظي.

وهذا العرف تأصيل فكري، وليس نقلاً عن العرب لاتجوز مخالفته.

وللمعاصر أن يَرُدَّ عرفًا قائمًا ويعمل بغيره إذا كان تأصيله واجتهاده لايماشي عرفًا قائمًا.

ولهذا أُسمّي ماعَبَّروا عنه هاهنا بالاشتقاق تحويلاً لا اشتقاقًا.

والسبب في ذلك أمران:

أولهما: أن بناء العربية لفظًا تام محكم، وليس لنا أن نحدث صيغة (أي وزن كلمة) لم ترد على لسان العرب.

ومعاني اللغة متطورة نامية، فالعربي ذو السليقة يأخذ معنى من معنى تجاوزًا لمدلول الوضع بالمطابقة .. يتجوز بتضمن أو لزوم أو مشابهة ، ويجعل الوصف لغَلَبَة الاستعمال أو للمبالغة ، ويجعل الاسم وصفًا مراعاة لشهرة خُلُق المسمّى ووصفه.

ويأتي غير السليقي فينمي اللغة بأخذ معنى من معنى وفق أصول بلاغية بشرط أن يُبقي على بيان اللغة، وما يليق بعبقريتها في الإيضاح وتحاشي الإلباس.

فهذا الأخذ الجائز إلى أن تقوم الساعة هو الأولى باسم الاشتقاق.

وثانيهما: أن لكل صيغة (وزن) معنى في لغة العرب عُرِف باستقراء الألفاظ الوارِدة على الوزن

وتبويب معانيها الآتية من معنى الصيغة زيادة على معنى المادة.

فلكل من فاضل وعالم معنى بدلالة المادة المكونة من فاء وألف وضاد ولام، ومن عين وألف ولام وميم.

ولهما معًا معنى واحد من صيغة «فاعِل».

ومن استعمل معنى صيغة ثلاثية مثل الفعل «نظر» بصيغة رباعية مثل ناظر لا يقال إنه اشتق شيئًا غير موجود من شيء موجود.

وإنما حول معنى الصيغة الذي لايريده إلى معنى صيغة يريدها.

وذلك وفق مقاييس صرفية عُلِمت بالاستقراء من لغة العرب.

إذن التصريف والتحويل غير الاشتقاق.

وحروف الفعل نظر أقل من حروف الفعل ناظر، وهذا لايعني أن الفعل الثلاثي أقدم وضعًا ثم اشتق منه الفعل الرباعي.

وإنما يعني أن الفعل الأقل حروفًا يدل على المعنى الأبسط، ثم يزاد المبنى لزيادة المعنى.

والعرب لم يبقوا مدة لايستعملون غير الفعل نظر، ثم طرأت الحاجة إلى معنى فاعَل فاشتقوا ناظر.

بل الصيغ في ذاكرتهم يعبرون بكل صيغة عن المعنى الذي يريدونه.

وإنما كان بناء اللغة عبقريًا جعل لكل معنىً صيغةً تزيد حروفها بزيادة المعنى.

وكشف الاستقراء عن صيغ ذات حروف أصلية، وصيغ زادت على حروف المادة الأصل فتكونت منها أوزان ذات زيادة في المبنى والمعنى.

وعرفت حروف الزيادة تلك باستقراء اطرادها.

وتعدد الصيغ وفق حروف الزيادة أمر محصور نكشفه ولانؤسسه.

وثانية الوقفات: أن كلام ابن الحاجب الغامض الذي فَسَّره الاستراباذي جعل كلاً من زيد وعمرو فاعلاً في قولك: ضارب زيد عمرًا.

قال أبو عبدالرحمن: هذا صحيح بدلالة اللغة لا النحو.

وبيان ذلك أن فاعل لغة إذا كانت للدلالة على فعل مشترك بين طرفين فأكثر تدل على أن كل واحد قام بالفعل.

أما في النحو فليس هناك غير مفعول وفاعل، والمفعول لايتحلى باقتسام الفاعلية نحوًا، وإن حصل منه مشاركة في الفاعلية حتى تخبر عن مشاركته، فتجعله مفعولاً في الأولى فاعلاً في الثانية، فتقول: ضارب زيد عمرًا، فضاربه عمرو.

والسر في ذلك أنك في قولك: «ضارب زيد عمرًا» لاتخبر عن فعل كل واحد منهما، وإنما تخبر عن المشاركة التي أداها زيد فحسب، ولهذا كان عمرو مفعولاً به.

إنك تخبر عن فاعلٍ هو زيد بصيغة تدل على المفاعلة، لأن فعله يقتضي الجزاء بالمثل من الطرف الآخر.

ولهذا فليس من البلاغة في شيء أن تقول: ضارب زيد الرجل المقيَّد وأنت تريد المفاعلة، لأن المقيد غير قادر على المفاعلة.

وثالثة الوقفات: قال ابن الحاجب: «وفاعَلَ لنسبة أصله»: أي أصل الفعل، وهو المضاربة.

وقال: «إلى أحد الطرفين»: يعني مثل زيد في: ضارب زيد عمرًا.

وقال: «صريحًا» يعني زيدًا لكونه فاعلاً نحوًا. وقال: «فيجيء العكس ضمنًا»: يريد مشاركة عمرو في فعل الضرب حيث تتضمنها صيغة ضارب. أو - وهو الأصح - : يجيء زيد الفاعل مفعولاً به ضمنًا.

وعبارة ابن الحاجب غامضة ناقصة لاتفي بكلية التفسير.

ورابعة الوقفات: قال ابن الحاجب: «ومن ثم جاء غير المتعدي متعديًا».

قال أبو عبدالرحمن: تكفي عبارة: «وفاعَل تجعل غير المتعدي متعديًا» لأنه لاعلاقة بين كون فاعلٍ فاعَلَ مفعولاً به ضمنًا وكونه متعديًا.

وكذلك الحال في تعديتها ذا المفعول الواحد إلى مفعولين.

وخامسة الوقفات: أن بين شاتم وجاذب فرقًا يأتي بيانه إن شاء الله.

وسادسة الوقفات: أن الاستراباذي فرَّق بتعليل غير فارق في الحقيقة، وذلك في تعليل نصب عمرو في قولك: ضارب زيد عمراً.. مع أن عمرو مشارك في الفاعلية.

قال: «ولكنه نصب لأنه مشارَك، والمشارَك مفعول».

قال أبو عبدالرحمن: وكذلك زيد فإنه مشارِك ومع هذا كان فاعلاً.

والتعليل الصحيح أن الخبر عن نصيب زيد من الفعل الواقع على عمرو.

وليس الخبر عن فعل عمرو.

وسابعة الوقفات: الكلام المنسوب إلى السهيلي لاتحصيل وراءه، وهو: «أن فاعل لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظًا، والاشتراك فيهما معنى».

فالاقتسام هو المشاركة.

فإن أراد أنها تجعل أحد الطرفين فاعلاً لفظًا والآخر مفعولاً به: فالتعبير بالاقتسام ضلال؛ لأن معنى الاقتسام أن يكون كل واحد فاعلاً ومفعولاً به لفظًا، وهذا غير ممكن، وإنما يقال: فاعل لاختصاص أحد الطرفين بالفاعلية لفظًا، واختصاص الآخر بالمفعولية لفظًا، واقتسامهما لهما، واشتراكهما فيهما معنى.

والصواب أن فَاعَل وإن اقتضت التشارك في الفاعلية معنى فإنها لاترفع غير فاعل واحد، لأنها خبر عن فاعل واحد، فإذا أريد الخبر عن فاعلية الطرف الآخر أعيدت صيغة فاعَلَ مسندةً إليه.

وثامنة الوقفات: سمعت في مجالس أهل العلم الخواجي: أن الإنجليز يعيبون أمثلة العرب في النحو - فكل أمثلتهم: ضرب زيد عمرًا، وضرب عمراً زيد.

وعندهم: أهدى تشارلز إلى ماري وردة!.

قال أبو عبدالرحمن: نحن بحاجة إلى التخلص من رتابة الأمثلة لدى النحاة.

الغلط بين معاني المادة والصيغة

وقال ابن جني: «وأما فاعَلْتُ فأكثر مايجيء من اثنين، نحو ضاربت زيدًا، وشاتمت عمراً.

وقد يكون من الواحد نحو طارقت النعل، وعاقب الأمير اللص»(٥)

قال أبو عبدالرحمن: كلمة «وقد يكون» ملاحظة لبعض الظاهرة اللغوية، وليست تحديداً لضابط الدلالة.

ولنصل إلى ضوابط دقيقة لدلالة «فاعل»، فلننظر إلى واقع كل مثال يمر بنا وليس فيه مفاعلة من طرفين فأكثر.

فنجد أن المطارقة ليست فعلاً من طرفين، وإنما هي فعل من طرف واحد واقع على شيئين، لأن طارق النعل بمعنى خصف إحداهما على الأخرى، أو أطبق نعلاً على نعل فخرزتا (٦).

ومثل ذلك «قايس» بمعنى قدَّر شيئًا على شيء

ومثل ذلك «قارن» أي لاحظ الاتفاق والافتراق بين شيئين.

وأما عاقب الأمير اللص فالعقاب جزاء على عمل، فالتعبير منزَّلٌ على المفاعلة.

وقال الشيخ أحمد الحملاوي عن فاعَل:

«يكثر استعماله في معنيين:

أحدهما: التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله.

وحينئذ فينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية.

فإذا كان أصل الفعل لازمًا صار بهذه الصيغة متعديًا نحو ماشيته.

والأصل: مشيت ومشى.

وفي هذه الصيغة معنى المغالبة» (٧).

قال أبو عبدالرحمن: في هذا الكلام وهمان:

أولهما: زعمه أن الأصل في هذه الصيغة: مشيت ومشى.

والصواب العكس، وهو مشى ومشيت؛ وذلك أن إخبار المتكلم عن نفسه إخبار بفعله هو، وفعله لم يقع على المخبر عنه، وإنما وقع على مفعوله، والمآل: تابعت مشيه بمشيي.

وثانيهما: أن المغالبة ليست من مدلول فاعل، فإن وُجدتْ فهي تُفْهَمُ بأدلة من خارج معنى الصيغة.

والمفهوم هنا المشاركة وطلب المساواة فحسب.

فماشيته لايُفهم منها أنني أردت غلبه بالمشي، بل المراد اللحاق به ومساواته.

والطرفان فَعَلا فعلين متجاورين متلازمين.

وذكر الحملاوي المعنى الثاني لصيغة فاعل، فقال:

«وثانيهما: الموالاة، فيكون أفعل المتعدي كتابعت الصوم بمعنى أتبعت بعضه بعضًا»(٨).

قال أبو عبدالرحمن: هذا كلام جيد، ولكن المؤاخذة من جهتين:

أولاهما: أنه ذكر معنى الموالاة من مادة تابع ، ولو ذكر غير هذه المادة لكان أولى؛ لأن المادة تدل على الموالاة بغض النظر عن دلالة الصيغة، والمراد دلالة الصيغة.

وأخراهما: أن أتبع ليست بمعنى تابع؛ لأن الأولى تدل على تعدي الفعل إلى مفعولين، هما: «بعضه» و «بعضًا».

وتابع تعدت إلى مفعول واحد، ولكن ذلك المفعول مجزأ يلي بعضه بعضًا، فهو عدة أعمال يلي بعضها بعضًا، وهي كلها مفعول به واحد نحوًا؛ لأن مفعول الفعل في الجملة هو الصوم فحسب.

وقال الحملاوي: «وربما كان فَاعلَ بمعنى فعَّل المضعَّف للتكثير كضاعفت الشيء وضعفته»(٩).

قال أبو عبدالرحمن: التسوية بين صيغتي فاعَلَ وفعَّل دعوى على لغة العرب، وليس نقلاً عنهم بأن ذلك هو مرادهم، فالمسألة اجتهادية، والملاحظة أن مدلول صيغة ضاعف المتابعة فحسب، وإنما جاء مدلول التكثير من المادة، وهي الضاد، والعين، والفاء.

قال الفيروز أبادي: «وضِعف الشيء بالكسر مثله، وضعفاه مثلاه.

أو الضعف المثل إلى مازاد.

ويقال لك: ضعفه.. يريدون مثليه وثلاثة أمثاله، لأنه زيادة غير محصورة.

وقول الله تعالى: ﴿يُضاعَف لها العذاب ضعفين﴾ (الأحزاب: ٣٠): أي ثلاثة أعذبة.

ومجاز يضاعف: أي يجعل إلى الشيء شيئان حتى يصير ثلاثة»(١٠).

قال أبو عبدالرحمن: الضعف المثل فحسب.

ويحصل بالضعف اثنان، وهما الشيء ومثله.

ولاتدل المادة على أكثر من ذلك.

وأما ضاعف فتدل صيغةً على متابعة الضعف، ولايعلم عدد الأضعاف إلا بتحديد خارج صيغة فاعَل.

وذكر الحملاوي من معاني فاعَل فَعَل، فسوّى بين دافع ودفع، وسافر وسفر(١١).

قال أبو عبدالرحمن: ستأتي إن شاء الله مناسبة عن التفريق بين معاني الصيغ التي ادُّعِيَ مساواتها لفاعَل دلالة، وذلك باستقراء لمعاني المواد اللغوية، والله المستعان.

الهوامش :

(١) الأفعال ٢١/١
(٢) الأفعال ٢٤/١
(٣) الأفعال ٢٦/١
(٤) شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ٩٦/١ و ١٠٠ - ١٠١، ومجموعة الشافية ٤٧/١ - ٤٨.
(٥) المنصف ٩٢/١، وانظر الممتع لابن عصفور١٨٨/١.
(٦) أنظر تاج العروس ٤٢٢/٦.
(٧) شذا العرف ص ٤٢
(٨) شذا العرف ص٤٣
(٩) شذا العرف ص٤٣
(١٠) القاموس المحيط ٢٤٠/٣.

حوار مع

الدكتور فاروق الباز

البكاء على العقول المهاجرة لا يفيد

قسم التحرير ـ أجراه: حسين حسن حسين



تمثل هجرة الكفاءات العلمية من عالمنا الإسلامي إلى الغرب قضية من القضايا الملحة التي تقتضي منا البحث والدراسة، لما لها من آثار سلبية في مجريات البحث العلمي في بلداننا الإسلامية، تقعد بنا عن اللحاق بركب التقدم والرقي. وإذا كانت الدول الأوربية ـ على تقدمها العلمي والتقني ـ تبدي تخوفها من هجرة علمائها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الأولى أن نكون أكثر تخوفًا وقلقًا على الإهدار الذي يلحق بكوادرنا البشرية ومواردنا المالية التي تصرف على إعداد هذه الكوادر. وفي هذا اللقاء يلقي الدكتور فاروق الباز ـ أحد العلماء البارزين في مجال علم الأرض (الجيولوجيا) والفضاء ـ أضواء كثيفة على كثير من الظروف المحيطة بالمهاجرين المسلمين، وهمومهم، وسبل ربطهم بعالمهم الإسلامي، إضافة إلى بعض القضايا العلمية في مجال تخصصه، إذ إن الحديث عن العلم والفكر والواقع الثقافي لا ينفصم أبدًا.

ويبدأ اللقاء مع الدكتور الباز بحديث عن أسباب الهجرة من عالمنا الإسلامي إلى الدول الغربية، فيقول:

العلم والفكر ـ في الحقيقة ـ لايعرفان الحدود، والعلماء ـ دوما ـ ينزحون إلى المكان الذي تتهيأ لهم فيه سبل البحث العلمي، والذي تتوافر فيه إمكانات التقدم والإبداع.

والعلماء المسلمون الذين هاجروا إلى الغرب، وجدوا أن الدول الغربية أكثر احترامًا للعلم والعلماء، إذ تهتم بدعم المؤسسات العلمية والمراكز البحثية، وتوفير الظروف والإمكانات التي تتطلبها البحوث والدراسات العلمية، بينما يقل هذا الاهتمام كثيرًا في الدول العربية والإسلامية، وبخاصة في العقود الثلاثة الماضية، لأن الوضع قد تحسن كثيرًا الآن، فأصبحت هناك دول إسلامية تولي اهتمامها للمؤسسات العلمية والعلماء. وحيث إن الأرقام من أكثر طرق القياس مصداقية، فإنه يكفي أن نذكر أن نسبة مخصصات البحث العلمي في الميزانية العامة للولايات المتحدة الأمريكية تصل إلى ٣٪، وتصل النسبة في اليابان وألمانيا إلى ٢.٥٪، بينما تخصص كل من بريطانيا وفرنسا ٢.٣٪ من دخلها القومي لإجراء البحوث والدراسات العلمية، أما النسبة في العالم الإسلامي فلاتتجاوز ١٪، وقد تقل كثيرًا عن هذه النسبة الضئيلة في بلاد إسلامية متعددة.

وفي رأيي أن البكاء على من هاجر لايفيد، لأن قرار الهجرة كثيرًا ما يخضع لظروف شخصية، والمهم الآن أن نفكر في طرائق الإبقاء على الخبرات الموجودة، كذلك إيلاء الاهتمام لخبرات المستقبل، ولن يكون ذلك إلا بدعم المؤسسات العلمية، وتشجيع العلماء وتوفير الإمكانات المعملية للبحث والتنقيب، ومنح الحوافز المعنوية والأدبية للمبدعين من العلماء، وتيسير سبل العيش الكريم لهم، تمامًا كما هو الحال في البلاد الجاذبة للعلماء الآن.

– ألا ترون أن هجرة العلماء تمثل إهدارًا للأموال التي صُرفت على إعدادهم؟

أجاب الدكتور الباز جازمًا: ليس في هذا شك، فالعالم المهاجر الذي لايفيد وطنه الأصلي يضر به كثيرًا، وفي اعتقادي أن هناك مسؤوليات جسيمة

على العالم المسلم أن يضطلع بها، ويمكن تلخيص ذلك في أربع نقاط:

أولاً: الإبداع في العمل وإتقانه، حتى يعطي فكرة طيبة عن قيم الإسلام، مما يسهم في تغيير الصورة النمطية المترسخة في أذهان الغرب عن الإسلام والمسلمين، التي تكونت من خلال كتابات المستشرقين الذين لم يفهموا الإسلام فهمًا واعيًا، أو كانت لهم مرامي يسعون لتحقيقها.

ثانيًا: إبراز الوجه الحقيقي للإسلام، ومحاولة تغيير المفاهيم المغلوطة لدى الغربيين.

ثالثا: تمثيل حلقة وصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ونقل الخبرات التي استقاها في الغرب إلى العالم الإسلامي.

رابعًا: المشاركة الفعلية في عمليات التنمية في بلاده. وبذلك يتسنى للعالم المسلم، أن يأخذ أفضل ما في الحضارة الغربية، كي يفيد به وطنه والعالم الإسلامي، ومن ثم لاتكون الأموال التي صُرفت على إعداده إهدارًا للإمكانات والموارد.

- إذا طبقنا هذ المفهوم على التجربة الشخصية للدكتور فاروق الباز، ترى كيف تكون الصورة؟

أعود إلى النقاط الأربع التي تحدثت عنها واحدة واحدة، فأقول:

أولاً: التفاني في العمل: عندما هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وشاركت في مشروع أبوللو للقمر، أدركت أنني لابد أن أعمل أكثر من أحسن علمائهم حتى يكون لي صوت بينهم، لأنني أجنبي ومن بلد غريبة وبعيدة عنهم، وبخاصة أنني قد هاجرت في العام ١٩٦٦م، حيث كانت العدائية تعد طابعًا للعلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدي مصر، ومن ثم كان إيجاد موضع قدم بين هؤلاء العلماء القائمين بهذا المشروع الرائد أمرًا في غاية الصعوبة، ولكن التفاني في العمل وإتقانه منحني مكانة بينهم، لدرجة أن وقع عليّ الاختيار لأكون رئيسًا للمجموعة التي تدرب رواد الفضاء، وكذلك كنت سكرتيرًا عامًا للجنة التي اختارت مواقع الهبوط على سطح القمر، ولم يكن ليتم ذلك لولا إدراكهم أنهم سوف يستفيدون من علمي حين يضعوني في المواقع الرئيسة.

ثانيًا: إبراز الوجه الحقيقي للإسلام: كنت - ولازلت - كثيرًا ما أحدث رواد الفضاء عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وأطلعتهم على الآيات التي جاءت في القرآن، والتي تتناول الكون والكواكب السيارة والنجوم ومساراتها ومواقعها، ورأيت فيهم صدورًا رحبة واسعة، وكان لي الشرف أن اللغة العربية تعد اللغة الوحيدة - إلى جانب الإنجليزية - التي نُطقت على سطح القمر، لأنني لقنت رواد الفضاء التحية باللغة العربية، فقال أحدهم من على سطح القمر بلغة عربية سليمة: مرحبًا أهل الأرض، من أندفر (اسم السفينة)، إليكم سلام. كما أنني - بحكم عضويتي في لجنة تسميات سطح القمر التابعة للهيئة العالمية لعلوم القمر - كنت وراء إطلاق أسماء عدد كبير من علمائنا الأفذاذ على بعض المواقع في سطح القمر، مثل جابر بن حيان، والخوارزمي، والبيروني، والبياتي، وأبو الفدا، وابن سينا وغيرهم، إذ بلغ عددهم ثمانية عشر عالمًا.

ثالثا: تمثيل حلقة الوصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية: بالنسبة لهذه النقطة، فإنني أنقل علمي وخبراتي التي اكتسبتها في الغرب إلى زملائي العلماء العاملين في فرع تخصصي في العالم العربي كله، حتى إن لي رحلة كل شهر إلى إحدى الدول الإسلامية، لإلقاء المحاضرات في الجامعات والمؤسسات والمراكز البحثية.

أما بالنسبة للنقطة الأخيرة والمتعلقة بالمشاركة الفعلية في عمليات التنمية، فإنني دربت كثيرًا من المتخصصين من أقطار الوطن العربي، إذ تدرب في معامل جامعة بوسطن علماء من مصر والسعودية وقطر والكويت والأردن والسودان وغيرها، إضافة إلى أن كثيرًا من الوزراء والعلماء في عالمنا الإسلامي يتوسمون فيَّ الخير، فيسألوني عن مسائل تتعلق بتخصصي، حين يريدون اتخاذ قرار بشأنها، وهم سلفًا يدركون أنني لن أبخل عليهم بما منحني الله من علم ، لأنه يسرني كثيرًا أن أضع علمي وخبراتي في خدمة عالمنا الإسلامي وبلدانه، كما أنني أجوب الصحراء المصرية منذ أكثر من عشرين عامًا.

- ضمان انتماء الأجيال المسلمة الناشئة في الغرب يمثل تحديا يواجه المهاجرين، ما هي حدود هذه التحديات؟

قبل أن أكمل سؤالي، أجاب الدكتور فاروق الباز: نعم.. نعم، فهذا أسوأ ما في الهجرة، إذ من الصعوبة أن ينشأ الإنسان في مكان تختلف قيمه وتقاليده عن قيم دينه وتقاليد أمته، ولكن ما يخفف من وطأة هذا الواقع المرير أن مساحة الحرية المتاحة في بعض المجتمعات الغربية تتيح للإنسان أن يتخذ أسلوب التربية الذي يرتضيه لأسرته. ففي الولايات المتحدة الأمريكية - مثلا - يستطيع الإنسان أن يربي أبناءه - كما ربيت بناتي الأربع - وفق الأخلاق والقيم الإسلامية. فبناتي أسماؤهن: منيرة وثريا وكريمة وفيروز، وهي كما ترى أسماء عربية وشرقية، ولم تؤثر غرابة الأسماء ولااختلاف القيم في أسلوب تعاملهن مع صديقاتهن.

- ولكن ألا ترون أن ضيق إطار الأسرة يجعل تأثيرها أضعف من تأثير المجتمع بزخم إعلامه وسلوكياته وقيمه المختلفة - بالتأكيد - عن قيم الأسرة المسلمة؟

يقول الدكتور الباز مؤكدًا على حقيقة هذا الواقع:

هذا صحيح دون شك، ولذا كان توكيدي أن تنشئة الأبناء تمثل أصعب مايواجهه الفرد المهاجر.

- كيف يمكن تحقيق انتماء الأبناء إلى أمتهم وحضارتهم في ظل العدائية والازدراء الذي تواجه به هذه الحضارة في الغرب؟

إنني في هذا الأمر أعول كثيرًا على إجادة العمل وإتقانه، لأنه يكسب احترام الآخرين، ويزيد الثقة في النفس، وحين يرى الأبناء أباهم محل احترام الآخرين وتقديرهم، لاشك أنهم سيقتدون به، وسيفتخرون بما يحمله من علم وقيم مستمدة من دينهم وحضارتهم، ومن ثم يمضون في طريق الإبداع دون أن تعوقهم غرابة أسمائهم أو اختلاف قيمهم عن القيم السائدة في المجتمعات التي يعيشون فيها.

- يقال إن جهود المسلمين المهاجرين تتسم - في الغالب - بالفردية أو الجماعية غير المنظمة، إلى أي حد يصدق هذا القول؟

كان هذا هو الواقع حين كنت طالبًا في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ كانت هناك مجموعات صغيرة مشتتة الحركة، ضعيفة الإيقاع والتأثير إلى حد بعيد، ولكن مع تزايد أعداد المهاجرين تغير الوضع كثيرًا،

البكاء على العقول المهاجرة لا يفيد

وأدرك المسلمون أن بإمكانهم التأثير في المجتمع الأمريكي، وأصبحت هناك مؤسسات تنشأ حول دور العبادة، فأصبح الجامع محاطًا بالمدارس والمكتبات ومراكز النشاط الاجتماعي وغيرها، وصار المسلمون يؤثرون في مجريات السياسة الأمريكية، ويدافعون عن مصالحهم بصورة أكثر فعالية عما قبل.

– ولكن هناك انعكاسات لخلافات الدول الإسلامية على المهاجرين من أبنائهم، مما يضر بتعاونهم ووحدتهم في بلاد الغربة؟

هذا واقع نعيشه - للأسف - ، ولايمكن أن يتغير مالم يكن هناك فكر ثاقب يوحد العالم الإسلامي، وهدف واحد تجتمع عليه الأمة.

– بدأت الأصوات ترتفع في أمريكا مطالبة بأن يكون هناك سياج من القيم يحمي التقدم التقني. ما أسباب هذه الدعوة في رأيكم؟

مما لاشك فيه أن العلم لايرتقي في فراغ، ولاتنهض الحضارات ما لم يكن هناك ما يوجهها إلى أهدافها. فالحضارة الإسلامية لم تقم إلا على أساس العقيدة الإسلامية، والتخوف في الغرب حاليا ناجم من أن تحديد المسار وفق العلم والتقنية (التكنولوجيا) وحده سوف يوجد ببغاوات، في إمكانها أن تشغل الكومبيوتر دون أن تفهم المغزى الاجتماعي لما تفعله، ودون أن تتساءل: هل هذا الذي تقوم به ضار أم نافع؟ فالعلم لايمكن أن يترعرع في واقع ثقافي مريض لايلتزم القيم الفاضلة.

– تختلف الآراء كثيرًا حول تأثيرات القنوات الفضائية ، وأسلوب التعامل معها؟ كيف ترون هذا الأمر بحسبانكم تعيشون في بلد تعد مصدرًا رئيسًا لهذه القنوات؟

في هذه النقطة، يهمني كثيرًا التحدث عن التلفاز، لأنه يؤرقني شخصيًا. فأنا أسافر كثيرًا إلى بلدان العالم الإسلامي، وأشاهد التلفاز سواء في الفنادق أو في منازل أصدقائي، فأرى الجميع - وبخاصة الشباب - يقبعون أمام شاشات التلفاز يشاهدون القنوات الغربية والأمريكية، وقد لاحظت أن كثيرًا مما يقدم في هذه القنوات يتنافى مع قيمنا، لأن معظم البرامج التي تُعرض تعد تافهة حتى بالمعايير الغربية.

وأعتقد أن مواجهة هذا الإنتاج الرديء لايكون إلا بإنتاج فني راق، تقوم به محطاتنا التلفازية وقنواتنا الفضائية، وهذه مسؤولية وزارات الإعلام في بلداننا، التي عليها أن تهيئ إمكانات إنتاج برامج رفيعة المستوى ومشوقة في الوقت نفسه.

وحسب ماكان الاتفاق مع الدكتور فاروق الباز، فقد تحول مجرى الحديث من تناول الواقع الثقافي وهموم المهاجر المسلم إلى التداول والنقاش حول الواقع العلمي التطبيقي في عالمنا الإسلامي، وإن ظل بين الواقعين خطوط تنم عن وثاقة العلاقة بينهما.

– عند دراستكم للتأثيرات البيئية لحرب الخليج الثانية، واجهتكم والفريق الذي معكم مشكلة قلة المعلومات المتداولة عن المنطقة، ما هي أسباب هذا الوضع الذي لا يتناسب مع أهمية المنطقة وتاريخها؟

معلوماتنا عن الصحراء - عمومًا - ضئيلة جدًا، وتقل كثيرًا عن معلوماتنا عن باقي تضاريس الأرض، وهذا ما يزعجني شخصيًا لأنني من بلد تمثل الصحراء فيها ٩٦٪ من الأرض. وقد حاولت كثيرًا معرفة السبب، فتبين لي أن علم دراسة الأرض (الجيولوجيا) بدأ في انجلترا وألمانيا وفرنسا، وأن قارة أوربا هي القارة الوحيدة التي لاتوجد بها صحاري، ولذلك فإن العلماء الأوربيين الذين درسوا الأرض (الجيولوجيين) لم يكتبوا فصلاً واحدًا عن الصحراء، ومن ناحية أخرى فإن الصحراء شاسعة جدًا ويصعب التجول والترحال فيها. والجيولوجي - بطبيعة الحال - يبحث في عمله الميداني عن الصخور، ليأخذ عينات منها، ثم يقوم بتحليلها في معمله، وحيث إن الصخور في الصحراء ليست ثابتة في أماكنها، ولأن الصحراء عبارة عن خليط من قطع الصخور والتربة والرمال، فإن الجيولوجي التقليدي لا مكان له في الصحراء، ولا عمل يستطيع أن يقوم به، لذلك فقد قلَّت معلوماتنا كثيرًا عن الصحراء.

وفي الوقت نفسه، وجدت أن الصور الفضائية تساعد كثيرًا في دراسة الصحراء لعدة أسباب، أهمها أن الصورة الفضائية تغطي مساحات شاسعة، لأن المناطق الصحراوية لاتغطيها غيوم، وليس بها غطاء نباتي، كما هو الحال في وسط إفريقيا وأوربا، لذلك فإن الصورة الفضائية تعد خريطة كيميائية للصخور والتربة والرمال، مما يتيح لنا معلومات أكثر عن الصحراء.

– ما حقيقة أن الصحراء العربية زاخرة بالثروات التي لم تستغل؟

رد الدكتور فاروق الباز بحماسة: نعم، هذه حقيقة أكيدة، فالحضارات العظيمة نبتت في هذه الصحراء، فالحضارات الإغريقية والرومانية والمصرية القديمة والحضارة الإسلامية كلها كانت في هذه الصحراء وأطرافها، ذلك لأن بناة هذه الحضارات تعرفوا مصادر الثروات واستغلوها جيدًا، ولابد لنا أن نرفع شعار «اعرف بلدك»، فنحن - للأسف - ندرس جغرافية العالم كله، واعتقد أنني لو سألتك عن أسماء لمدن ومناطق في السعودية، أو مصر أو السودان لن تعرفها، وهذا هو حالنا جميعا. فأنا أتجول في الصحراء المصرية منذ أكثر من عشرين عامًا، ولم أذهب إلى أي مكان فيها إلا وجدت أثر ملموسًا يدل على أن المصريين القدماء كانوا هناك، فهم تعرفوا جميع أراضيهم، واستغلوا ثرواتها أحسن استغلال مما مكنهم من إقامة حضارة عظيمة لاتزال آثارها باقية.

– كان لكم حديث عن اكتشاف مجرى نهر بين المملكة العربية السعودية والكويت، أثار ضجة واسعة، ما حقيقة الأمر حول هذا الموضوع؟

حقيقة الأمر أن الصور الفضائية أوضحت أن هناك مسار وادي بين وادي الرمة في الشرق ووادي الباطن في الغرب، وهذا المسار كان نهرًا قديما تجري مياهه منذ خمسة آلاف سنة تقريبا، وكانت الكويت دلتا لهذا النهر الذي جفت مياهه. وقد حددنا مسار الوادي بدقة، وما يثبت صحة ما توصلنا إليه أن المياه الجوفية تكثر في هذه المنطقة بصورة واضحة جدًا.

وقد حدث تحريف لما قلته، إذ نسب إليّ أنني قلت إن السعودية والكويت تسبحان فوق بحيرة من الماء، وأن هناك نهرًا جديدًا قد اكتُشف، في حين أن النهر الذي تحدثنا عنه قديم جدًا كما أسلفت، وقد جفت مياهه، وكان مغزى كلامي أن احتمالات وجود مياه في هذا المنطقة كبيرة جدًا.

دليل الصائم

إعداد قسم التحرير

تعريف الصوم شرعًا:

الإمساك عن المفطرات من طعام وشراب وجماع مع النية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس

فضل الصوم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة» متفق عليه.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الرّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لايدخل منه أحد غيرهم» متفق عليه.

أنواع الصيام :

واجب : صوم رمضان. صوم الكفارات.

مسنون: صيام يوم عاشوراء، يوم عرفه لغير الحاج، ستة أيام من شوال، ثلاثة أيام من كل شهر، يوم الاثنين، يوم الخميس.

مكروه: صوم الدهر، إفراد يوم الجمعة بالصوم، صوم يوم عرفه للحاج، صوم يوم الشك.

مُحـرَّم: يوم الفطر، الأضحى، أيام التشريق، صوم الحائض، النفساء، من يخاف على نفسه الهلاك بصومه.

فضائل رمضان :

فيه أنزل القرآن الكريم: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيان من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: ١٨٥)

تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين» متفق عليه.

غفران الذنوب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه» متفق عليه.

رؤية الهلال:

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال رشد وخير» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

صوم يوم الشك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاتصوموا قبل رمضان، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حالت دونه غيابة فأكملوا ثلاثين يومًا» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي اليقظان، عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: «من صام اليوم الذي يُشك فيه، فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

سنن الصوم :

السحور

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة» متفق عليه.

تأخير السحور

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: «تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قمنا إلى الصلاة، قيل: كم كان بينهما؟ قال: خمسون آية» متفق عليه.

تعجيل الفطر

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لايزال الناس بخير ماعجلوا الفطر» متفق عليه.

أهم الأحداث التاريخية في رمضان:

* **غزوة بدر الكبرى**

في السنة الثانية للهجرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان».

* **فتح مكة المكرمة**

وهو الفتح الأكبر في العاشر من

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرا» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ولذا فإن من المستحب للصائم تعجيل الفطر بعد التحقق من غروب الشمس بالرواية أو الإخبار، ومن الواضح أن في الالتزام بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعجيل الفطر وتأخير السحور قطع الطريق على المتنطعين الذين ربما زادوا في وقت الصوم حتى يصل إلى الحرج والمشقة.

حفظ اللسان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلايرفث، ولايصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم» متفق عليه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

صلاة التراويح:

صلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه» متفق عليه.

عدد ركعاتها:

أرجح أقوال العلماء أنها إحدى عشرة أو ثلاث عشرة، لما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت كيف كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «ماكان يزيد في رمضان ولاغيره على إحدى عشرة ركعة».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة» يعني من الليل. رواه البخاري.

علام يفطر الصائم ؟

عن سلمان بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على ماء، فإنه طهور» رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

دعاء الإفطار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: «اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله» رواه الدارقطني في سننه.

آداب الصوم:

الإكثار من الصدقة والبر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس. وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل. وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة». متفق عليه

نية الصوم:

وجوب تبييت النية من الليل في الفرض دون النفل، لما روته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يبيت الصيام من الليل فلاصيام له». رواه النسائي والترمذي وقال النووي حديث حسن، وبالنسبة لرمضان فيكفي نية الصوم من أول الشهر عن الشهر كاملاً فيكتفى به عن تبييت النية كل ليلة.

مبيحات الإفطار:

السفر

﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ (البقرة: ١٨٥) وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس من البر الصوم في السفر». متفق عليه.

المرض

المرض المبيح للإفطار هو الذي يؤدي إلى ضرر في النفس أو زيادة في العلة أويخشى معه تأخر الشفاء، والدليل قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥) فالآية دالة على أن الغرض من الترخيص دفع المشقة والضرر.

رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

*** قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم من تبوك**

في رمضان من السنة التاسعة ووصول وفد ثقيف لإعلان إسلامهم.

*** فتح الأندلس ٢٨ رمضان ٩٢ هـ بقيادة طارق بن زياد ثم موسى بن نصير.**

*** وقعة الزلاقة في شمال الأندلس.**

في الخامس والعشرين من رمضان لعام ٤٧٩هـ بقيادة يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين.

*** موقعة عين جالوت بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس تحت راية (وإسلاماه)، صبيحة يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان ٦٥٨هـ**

الحمل والرضاع

الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو على ولديهما أفطرتا، لأن حكمهما حكم المريض؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم» رواه الخمسة وحسنه الترمذي.

ويلزمهما القضاء فقط إن كان الإفطار خوفًا على نفسيهما فقط أو على نفسيهما وولديهما، كما يلزمهما القضاء مع الفدية إن كان الخوف على ولديهما فقط.

الكبيرُ والهَرِمُ

يجوز للكبير والهرم أن يفطر كل منهما، ويطعم الكبير عن كل يوم مسكينا، ويفطر، لما رواه البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لايستطيعان أن يصوما فيطعمان عن كل يوم مسكينا».

مفسدات الصوم، مبطلات الصوم:

الأكل والشرب عامداً

اتفق الفقهاء على أن الصائم إذا أكل أو شرب متذكرًا لصومه عامداً مختاراً عالمًا بالتحريم، فإنه يبطل صومه، ويلزمه إتمام إمساكه وقضاء يومه، ولاكفارة وقد ورد فيه الترهيب «من أفطر يومًا من رمضان بغير عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه»

الجماع

أجمع الفقهاء على بطلان صوم من جامع في نهار رمضان، ويلزمه القضاء والكفارة.

الحيض والنفاس

أجمع العلماء على أن الحائض والنفساء عليهما الفطر، ولايصح منهما الصوم، بل يحرم. عن عائشة رضي الله عنها قالت «كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولانؤمر بقضاء الصلاة» متفق عليه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أليس إحداكن إذا حاضت لم تصل ولم تصم فذلك من نقصان دينها» رواه البخاري.

الاستقاءة

وهي تعمد القيء، وقد أجمع العلماء على أنه يبطل صوم من استقاء عامداً وعليه القضاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمداً فليقضِ» رواه الخمسة إلا النسائي.

الحجامة

يفطر الحاجم والمحجوم لما رواه رافع بن خديج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفطر الحاجم والمحجوم» رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم ويقاس عليه خروج الدم من أجل التحليل الطبي أو التبرع.

مالايفسد الصوم:

المضمضة والاستنشاق

اتفق الفقهاء على أن المضمضة لاتفطر الصائم سواء كانت في الطهارة أو غيرها.

السواك

يسن السواك للصائم قبل الزوال، وكذا بعده في أصح القولين لما رواه عامر بن ربيعة: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مالاأحصي يتسوك وهو صائم» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

غلبة القيء

اتفق الفقهاء أن من غلبه القيء قهرًا، وهو صائم، فإنه لايفطر، لحديث أبي هريرة: «من ذرعه القيء فلاقضاء عليه»

الأكل والشرب ناسيًا

يتم صومه وليس عليه شيء لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نسي فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه». متفق عليه.

الاحتلام

اتفق الفقهاء على أن الاحتلام لايفسد الصوم، لأن ذلك ليس سببًا من جهته فإنه

زكاة الفطر:

شرعت زكاة الفطر في السنة الثانية من الهجرة، عام فرض صوم رمضان.

* أدلة وجوبها

عن ابن عمر: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات». رواه أبو داود وابن ماجه وتكون من غالب قوت البلد.

صلاة العيد:

سُمِّي العيد بهذا الاسم لأن لله تعالى فيه عوائد الإحسان: أي أنواع الإحسان العائدة على عباده في كل عام.

وقد شرعت صلاة العيد في السنة الأولى من الهجرة بدليل ماروى أنس: قدم رسول

دليل الصائم

لايؤاخذ عليه ولاقضاء على المحتلم.

الجنابة

الطهارة من الجنابة ليست شرطًا لصحة الصوم لما روته السيدة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما : «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصبح جُنُبًا من جماع ثم يغتسل ويصوم» متفق عليه.

مكروهات الصوم :

الوصال

وهو ألايفطر بين اليومين بأكل وشرب لحديث ابن عمر رضى الله عنهما: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال. متفق عليه.

القُبْلة

مقدمة الجماع ذِكْرًا أو نظرًا أو لمسًا أو مداعبة.

ذوق الطعام بلاحاجة خوفاً من وصول شيء إلى جوفه.

المبالغة في المضمضة والاستنشاق

الإكثار من النوم بالنهار

ليلة القدر :

سميت بذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقدر فيها مايكون في تلك السنة، وهي ليلة شريفة عظمها الله لنزول القرآن الكريم فيها، ويطلق عليها هذا الاسم لعظم قدرها. وقيل: لأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وماأدراك ماليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ (القدر: ١-٣).

عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه» متفق عليه.

دعاء ليلة القدر

يستحب أن يدعو الإنسان هذه الليلة المباركة بجوامع الكلم، وطلب حاجته في الدنيا والآخرة. لما روته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: يارسول الله إنْ وافقتها فما أدعو؟ قال قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» رواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي بمعناه وصححه.

وللنسائي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فما أوتي أحد بعد يقين خيرًا من معافاة، فإن الشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة.

وقت ليلة القدر

تكون في العشر الأواخر من رمضان لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله : «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» متفق عليه

عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر في الوتر، فالتمسوها في الوتر منها» متفق عليه.

وقال الأئمة الأربعة: إن ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر من رمضان، وقد اختلف في تحديدها وأحراها ليلة سبع وعشرين وهذا من حيث الغالب، والله أعلم بتحديدها.

الحكمة في إخفائها

ليجتهد المسلمون في طلبها ويجدوا في العبادة طمعًا في إدراكها.

الاعتكاف :

تعريفه شرعًا

لزوم المسجد لطاعة الله تعالى على صفة مخصوصة.

حكمه

مستحب وهو في العشر الأواخر من رمضان أفضل.

دليله

عن عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل». متفق عليه

الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ولهم يومان، يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومان»؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أبدلكما خيرًا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر».

* حكمها

صلاة العيد فرض كفاية، كما ذهب إلى هذا الحنابلة في ظاهر مذهبهم، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد داوم عليها، وكذا الخلفاء الأربعة وذهب غيرهم إلى أنها سنة مؤكدة.

* خروج النساء إلى صلاة العيد

من السنة خروج النساء إلى مصلى العيد، لما روته أم عطية قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج العواتق والحيَّض، وذوات الخدور في العيد، فأما الحُيَّض فكن يعتزِلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين». رواه الجماعة.



التغذية الصحية في رمضان

إعداد : قسم التحرير

لقد كرم الله شهر رمضان بأن جعله الشهر الذي يتضاعف فيه الثواب، فيتسابق المسلمون إلى قطف الثمار، والاستزادة من الخيرات عن طريق الاستيعاب الكامل للحكم السامية التي من أجلها شرع الصيام، وباستحضار الفوائد الروحية والصحية والنفسية التي تتجلى في أيام رمضان: ولما كان لشهر رمضان خصوصيته التي تحدث تحولات وتغييرات في نظم الحياة اليومية التي اعتادها المسلم خلال بقية شهور السنة، يصبح من الأهمية بمكان أن يحرص المسلم على ألا تطغى الاهتمامات المادية، وبخاصة شؤون الغذاء، على روحانية هذا الشهر الكريم ، فالطعام بالرغم من أنه ضرورة حياتية، هو بالنسبة للمسلم وسيلة تعبدية في الأساس. ونظام الغذاء في رمضان بصفة خاصة يستوجب التوافر على قدر من الثقافة الغذائية، التي تُمكّن المسلم من تحقيق التوازن المطلوب، حتى تتواصل أيام رمضان دون مشكلات صحية تقعد به عن الهدف السامي الأكبر

فسيولوجية الغذاء

«المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء» أثر يوضح العلاقة الوثيقة بين صحة الجهاز الهضمي والصوم.

ومدة الصيام تعد راحة تامة للجهاز الهضمي، وتكون المعدة خلالها منقبضة، فالطعام غير موجود.

وفي كتاب د. آل كوت الحائز على درجة الدكتوراه في التغذية بعنوان (الصيام الغذاء الأمثل)، يقول: «الصيام يجعلك أكفأ ذهنيا وجسديا، ويريح أجهزتك من عناء الطعام، ويخفف التوتر، ويدعو إلى الصبر والطمأنينة، ويساعد الجسد على مداواة نفسه بنفسه، ويجعلك تنام أهدأ، ويشحذ حواسك ويقوي إرادتك ، ويداوي بعض الأمراض مثل: ارتفاع ضغط الدم والسمنة والنقرس.. الخ ويجعلك تشعر بأنك أصغر سنا وأكثر شبابا»

والخلاصة أنّ الصيام فرصة ذهبية لتحقيق الصحة النفسية والجسدية، وأنّ إسراف الصائمين في تناول الأطعمة الدسمة على الموائد الرمضانية يجعلهم أهدافا سهلة للعديد من الأمراض.

ولبيان ذلك يجب أن نوضح أن الطعام يمر بثلاث مراحل رئيسة داخل جسد الإنسان: المرحلة الأولى: تبدأ بأخذ الطعام وهضمه وتحويله إلى طاقة ينتفع بها الجسد، وفي المرحلة الثانية: يتم تحويل جزء من هذه الطاقة إلى أحماض دهنية وجلوكوز تنتقل إلى مستودعات على هيئة جليكوجين ودهون تترسب في الجسم، خاصة بين الأعطاف والأعجاز والأرداف والبطن، والمرحلة الثالثة: عند عدم وجود طعام يقوم الجسم باستدعاء جزء من الطاقة المختزنة في المستودعات الدهنية ومخازن الجليكوجين لتحويلها إلى طاقة على هيئة جلوكوز وأحماض دهنية.

وفي العصور القديمة كان الإنسان يواجه صعوبة في الحصول على الطعام فاستفاد من هذه الميزة التي خصه الله بها ـ اختزان الطعام ـ

وعندما أصبح الغذاء أكثر، وأصبح الإنسان يتناول ثلاث وجبات بانتظام ـ وأحيانا أكثر ـ تراكمت الدهون ومخازن الجليكوجين ولم يكلف الإنسان نفسه عناء إعطاء الفرصة لجسده لإذابتها، ويعد صوم رمضان طريقة مثالية لإذابة هذه الدهون بشرط عدم الإسراف في تناول الطعام عند الإفطار.

ولقد أوضحت الكثير من الأبحاث والدراسات العلمية أن ٩٨٪ من حالات البدانة سببها الإفراط في تناول الأطعمة عالية المحتوى السُعري، كما أن البدانة ترتبط بأمراض أخرى مثل السكري وضغط الدم وتصلب الشرايين، ولبيان خطورة السمنة يكفي أن نعلم أن الإنسان العادي الذي يتناول الطعام على قدر طاقته تتسع معدته حتى ٢٥٠سم مكعب، ولاتزيد عن حجم قبضة اليد وتتمركز في مكانها تحت عظمة القفص أسفل الصدر وأعلى البطن، أما تجويف معدة الانسان النهم والشَّره للطعام فيتسع إلى ٢٥٠٠سم مكعب، أيّ عشرة أضعاف الشخص العادي، إلى درجة أن معدة النهم تسقط من مكانها بعد أن تتمدد وترتكز على عظام الحوض!

رمضان دواء

ولعل هذه الحقائق السابقة تجعلنا نتوقف أمام نوعية الأمراض التي يساعد الصيام على



إسراف الصائم في تناول الأطعمة الدسمة يجعله فريسة سهلة للمرض

الشفاء منها أو التخفيف من آلامها، والتي يمكن ترتيبها على النحو التالي:

ارتفاع ضغط الدم:

يصيب هذا المرض ما بين ١٠ - ٢٠٪ من سكان العالم، ولقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الصيام يساعد على تخفيف الوزن بمقدار ٢ - ٤ كيلو جرام، مع ملاحظة أن كل انخفاض في الوزن يصاحبه اعتدال في الضغط الانبساطي والانقباضي للقلب لدى الشخص المصاب بارتفاع ضغطه، وصحة المريض الصائم تتحسن كثيرا في رمضان مع الامتناع عن ملح الطعام والمياه الغازية المحتوية على نسبة عالية من الصوديوم، والابتعاد عن الأطعمة الدسمة.

السمنة:

يعد رمضان فرصة ذهبية لمرضى السمنة، لأن زيادة الوزن أكثر من ٢٠٪ من الوزن المثالي للشخص يجعله أكثر عرضة لضغط الدم وتصلب الشرايين وتضخم القلب وحدوث الدوالي وجلطات الأوردة، كما أن المريض بالسمنة أكثر عرضة لأمراض الانسداد التنفسي وحجار المرارة وتيبس المفاصل وداء النقرس.

وينبغي على هذه النوعية من المرضى الابتعاد عن النشويات والدهون والأطعمة الدسمة بمختلف أنواعها، كما أن المداومة على صلاة التراويح والتهجد يساعدان على تخليص أجسادهم من السعرات الحرارية المختزنة في صورة دهون.

القولون العصبي:

يشكو المريض في هذه الحالة من انتفاخ، وغازات، وشعور بالألم خاصة في المربع الأيسر السفلي من البطن، وقد يمتد إلى أماكن أخرى من البطن على مسار القولون، وأحيانا يصاحبه إمساك وألم متنقل في الأمعاء بسبب اختلال حركة الأمعاء، ووجود عوامل ضغط نفسية مع عدم تنظيم الغذاء.

شهر رمضان يوفر للمريض في هذه الحالة فرصة إزالة كل هذه الأعراض، إذا حرص المريض على تناول الألياف في طعامه - الخضروات والفاكهة -، والابتعاد عن الضغوط النفسية والعصبية، كما أن راحة الجهاز الهضمي طوال مدة الصيام تساعد على راحة القولون بشرط مراعاة عدم تناول المحمرات والمسبكات عند الإفطار.

خشونة الركبتين وغضاريف الظهر والرقبة:

الأشخاص الذين يعانون من هذه الحالة عليهم الابتعاد عن المخللات والمواد السكرية، كما ينبغي عليهم الإقلال من الطعام على قدر الإمكان؛ لأن تخفيف وزن الجسم يساعد بصورة كبيرة على تحسن الحالة.

داء النقرس:

يصيب نوعية معينة من الناس، خاصة الذين يعيشون في حياة مترفة، وتتسم أعراض هذا المرض بحدوث نوبات متكررة من الآلام مع تورم مفاجئ في أحد المفاصل، وأحيانا في أكثر من مفصل، ومريض النقرس الصائم تتحسن حالته كثيرا إذا ابتعد عن البروتينات والأطعمة التي تحتوي على مادة البيورين مثل الجوز واللوز والفستق والكبد والكلاوي والكافيار والديوك الرومية والحمام واللحوم الحمراء، لأنها تتحول إلى حامض البوليك، وعلى مريض النقرس أيضا أن يتجنب المواد الدهنية، لأنها تجعل الجسم غير قادر على التخلص من حامض البوليك، وعليه أيضًا مع الإقلال من الطعام الحرص على صلاة التراويح لأن الصلاة فضلاً عن فوائدها الأخرى، توفر الفرصة لتدليك المفاصل، وباتباع هذه النصائح سوف تتحسن صحته كثيراً إن شاء الله خلال شهر رمضان.

خفض هرمون الإدرينالين:

كثير من الناس حينما يتعرضون للمخاوف - لاسيما المصابون بالاضطرابات النفسية والعصبية - ترتفع لديهم نسبة إفراز هرمون الإدرينالين الذي تفرزه الغدتان الكظريتان فوق الكليتين، مما يؤدي إلى زيادة معدل ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم واتساع حدقة العين وارتفاع معدل السكر في الدم، وقد يصاب الشخص بارتعاش اليدين والشفتين، وتلعثم في الكلام.

وقد أثبتت التجارب أن الصيام ينظم إفراز هرمونات الجسم، وعلى رأسها الإدرينالين. فالصيام يلطف حدة تأثير هذا الهرمون، ويمنح الأعصاب قوة على تحمل الصدمات ويهدئ المشاعر النفسية.

الإقلاع عن التدخين:

والتدخين من المحرمات التي يمكن أن نتعامل معها باعتبارها مرضًا، وشهر رمضان فرصة طيبة للإقلاع عن التدخين، نظرا لأن الصائم يمتنع عنه طوال مدة الصيام، وينبغي الحذر من الإقبال على التدخين في فترة الإفطار؛ لأن المدخن يصل بالتدريج إلى المعدل اليومي لتدخين عدد السجائر التي يدخنها في فترة قصيرة جدا، وفي هذا خطر على القلب والشرايين والرئتين كما أنه من الواجب انتهاز فرصة رمضان للإقلاع عن التدخين، فهو حرام، وضرره في رمضان أكبر من ضرره في غيره.

وإذا كانت البلدان الغربية وضعت يوما للامتناع عن التدخين فإن الله قد أكرمنا بشهر رمضان، وهو أنسب موعد للإقلاع عن هذا المرض في بلداننا الإسلامية، ويمكن للمدخن أن يستعين بالله، ويعقد النية على التوقف نهائيا عن

التدخين من أول أيام رمضان، وسوف يساعده على تحقيق هذا العزم الحرص على الاعتكاف والتهجد والصلاة وقراءة القرآن الكريم لشغل الوقت ونسيان هذه الآفة.

وبالإضافة إلى كل الأمراض السابقة، يعطي الصوم الفرصة للإنسان لكي يتخلص من الفضلات الغذائية في الأمعاء، التي تكون غالبا - طوال أيام السنة - مرتعا خصبا للميكروبات، ويؤدي تكاثرها إلى تكون بؤر عفنة تسبب العديد من الأمراض، كما أن الصوم يساعد على تخفيف حدة الاضطرابات النفسية وأمراض تصلب الشرايين والتهاب الكلى المزمن، والربو الشعبي، وإن كان الزهد والتقشف ودوام صلة العبد بربه من أهم أهداف هذا الشهر الكريم، فإن الشفاء من هذه الأمراض، أو تخفيف حدة آلامها يتم من خلال الالتزام بهذه الحكمة الإلهية من تشريع الصيام، وجعله الركن الرابع من أركان الإسلام.

الحكمة النبوية

إذا كان الصيام يساعد على الشفاء من كثير من الأمراض ذات الصلة بالطعام، فينبغي أن نتعرف الطريقة المثلى لتناول الغذاء، وأن نقف على خطورة الأخطاء الشائعة في إعداد الموائد الرمضانية.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن فعلى تمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من الماء»

التمر قيمة غذائية متكاملة :

ولقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن التمرة على ضآلة حجمها تحتوي على كل العناصر الرئيسة لتغذية الإنسان.

وفي دراسة عن التركيب الكيميائي للتمر أوضح تحليل ١٠٠جم من لحم التمر أنه يحتوي على العناصر التالية: ٦١ - ٩٠٪ مواد سكرية، ٤٧,١-٢,٢٪ فيتامينات، ٤,١ - ٣٪ بروتينات، ٢ - ٥,٣٪ سليولوز، هذا بالإضافة إلى الأملاح المعدنية بواقع ٦,٤ - ٦,٢٨ ملليجرام بوتاسيوم، ٤,٢٠ - ١,٢٢ كالسيوم، ٢,١- ٨ فسفور، ٥,٢ - ٦٦,٤ ماغنسيوم لكل ١٠٠جم من التمر، هذا غير بعض العناصر النادرة كالمنجنيز والنحاس والكبريت.

ولعل الحكمة النبوية تشير بوضوح إلى ضرورة تهيئة المعدة والأمعاء قبل تناول الطعام بمدة كافية (حوالي ١٥ - ١٠ دقائق) وإلى ضرورة تناول الطعام على مرحلتين عند الإفطار، وعدم الإقبال بشراهة على طعام الإفطار، هذه الحكمة النبوية العميقة المعاني، المشتملة على مجمل الجوانب الطبية والتعبدية، تدعونا إلى مراجعة الممارسات الخاطئة التي يرتكبها كثير من المسلمين في موائد شهر رمضان المبارك.

أخطاء على موائد الإفطار

تجرع الماء المثلج:

تقبل أعداد كبيرة من الناس على شرب الماء المثلج بكميات كبيرة، عقب سماع الآذان وذلك لإطفاء غلمة الظمأ، وهذا خطأ فادح، لأنه يؤدي إلى انقباض الشعيرات الدموية بجدار المعدة، والإقلال من إفرازاتها، وإبطاء حركتها، وبعد ذلك يندفع الطعام إلى داخل المعدة وهي في غاية الكسل وأبعد ماتكون عن التهيؤ لاستقبال الطعام، مما يؤدي إلى عسر الهضم وحدوث التهابات.

لفافة الدخان أولاً :

المؤسف أن أعداداً كبيرة من المدخنين تشعل لفافة الدخان بعد تجرع قليل من الماء بمجرد حلول موعد الإفطار، والبعض الآخر يتمادى ويبدأ الإفطار بالتدخين، ويكون الدخان هو أول ما يدخل إلى المعدة الخاوية، وهذا السلوك يؤدي في الغالب إلى الإصابة بقرحة المعدة فضلا عن أنه يقلل شهية الصائم للطعام، ويضر ببقية أعضاء الجسم.

الإسراف في شرب الماء :

ونقصد بذلك المغالاة في تناول أكبر كمية من الماء أثناء الأفطار وبعده وهذا خطر على صحة الإنسان، ففي ساعات الصيام يقل حجم الدم ويزيد تركيزه نظرًا لنقص كمية المياه، وبالتالي يزيد الضغط «الأزموزي»، مما يؤثر على إفراز السائل المائي للعين فيقل، وبالتالي ينخفض ضغط العين أثناء الصيام، فإذا حل موعد الإفطار، وشرب الصائم ماء كثيرا، يندفع الماء بصورة مفاجئة إلى الدم، ويرتفع ضغط الدم في العين بطريقة مفاجئة أيضا، فإذا كانت العين سليمة يمكنها تصريف الفائض من الماء، وأما إذا كانت العين معتلة بالمياه الزرقاء - الجلوكوما -، فيزداد ضغطها ويصبح البصر مهددا، ولذلك ينبغي على الجميع أصحّاءَ ومرضى عدم المبالغة في شرب الماء عند الإفطار.

المشهيات:

أطباق المخللات بأنواعها المختلفة خطر على صحة الصائم، وإذا كان البعض يُقبل عليها بحجة فتح الشهية، فهي دعوى مغلوطة؛ لأن الصائم يكون في غاية الجوع بدون أية مشهيات!

ويحذِّر خبراء التغذية من الفلفل، والشطة



تناول الحلويات عقب الإفطار مباشرة يسبب الشعور بالانتفاخ والكسل

التغذية الصحّية في رمضان



تناول الخضروات والفواكه الطازجه أكثر ما يوصي به الأطباء

والبهارات الحادّة، على موائد رمضان لأنها تهيج غشاء المعدة، كما أن الإقلال من ملح الطعام ضرورة صحية لاحتوائه على عنصري الصوديوم والكلور المتوافرين في الأطعمة الطبيعية، ويؤدي الإقبال على الملح والمشهيات والبهارات إلى زيادة الإحساس بالعطش، وإرباك الهضم، ورفع نسبة الأملاح في الجسم، مما يؤدي إلى احتفاظ الجسم بأكبر كمية من الماء لتحقيق التوازن المطلوب لسلامته، وتلك حالة غير مرغوب فيها، خاصة للذين يعانون من مرض ضغط الدم المرتفع وأمراض القلب والنقرس.

منبهات بعد الإفطار:

الإقبال على احتساء الشاي والقهوة عقب الإفطار مباشرة بدعوى مقاومة الخمول الناتج عن تحول الدم إلى الجهاز الهضمي لايفيد، بل يؤدي إلى تأخر الهضم ويسبب مضايقات عديدة للجهاز العصبي للإنسان.

صحبة المكسرات:

ويحلو للبعض مصاحبة هذه النوعية من الغذاء طوال ليل رمضان من الإفطار إلى السحور، مع أن المكسرات مواد صعبة الهضم أساسًا لاحتوائها على كميات كبيرة من الدهون، ويكفي أن نعلم أن ٥٥٪ من اللوز مواد زيتية، وفي الجوز ٦٣٪ دهون بالإضافة إلى ١٨.٢ بروتين و ١٢.٦ نشا، وفي جوز الهند ٥٢٪ زيوت، ويحتوي الفول السوداني على ٤٧٪ زيوت، بينما يحتوي الصنوبر ٦٢٪ منها، وتصل نسبة الزيوت في البندق إلى ٤٥.٢٪، ومن كل هذا يتضح أن هذه المواد التي يطلق عليها تسالي رمضان غير صحيّة في رمضان وتُعرِّض الإنسان لأمراض عديدة، لعلّ أهمها: زيادة الوزن وارتباك الجهاز الهضمي.

سباق الأكل:

وفي هذا الجانب يحذر الأطباء بشدة من ابتلاع الطعام بسرعة فائقة، فمن المهم جدا مضغ الطعام جيدًا لتيسير عملية الهضم، كما أن الابتلاع يؤدي إلى تراكم الفضلات في القولون الغليظ، وكما تقدم يحب أن يكون الإفطار ببطء، وعلى مرحلتين لتهيئة المعدة لاستقبال الطعام.

الأكل بين السحور والإفطار:

الأفضل عدم إرهاق المعدة، والمطلوب عمومًا التخفيف على الجهاز الهضمي، ويستثنى من ذلك المراهقون والمرضعات والحوامل، فهؤلاء يمكنهم توزيع طعامهم على ثلاث وجبات.

عدم تناول السحور:

يتعمد بعض الناس عدم تناول السحور بحجة الشبع والاكتفاء بطعام الإفطار، وهذا التصرف يسبب الإجهاد والإعياء خلال النهار، فالسحور يعين الصائم على تحمل مشقة الصوم، من جوع وعطش، فضلا عن أنه سنة نبوية شريفة، وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة».

تخزين الماء:

من الأخطاء التي يرتكبها كثير من الصائمين شرب أكبر كمية من الماء قبل الإمساك اعتقادًا منهم بأن ذلك قد يدفع الظمأ طوال ساعات النهار، وهذا الاعتقاد وهم كبير لأن الجسم لايختزن أي فائض من الماء بل يتخلص منه في أسرع وقت، وفي الوقت نفسه يؤدي ارتفاع كمية الماء في المعدة إلى إعاقة الهضم، وإذا أراد الصائم دفع العطش عنه طوال النهار فعليه أن يبتعد عن المخللات والتوابل والمملحات والمسبكات، كما أنه ينصح بطبق سلاطة خضراء لما تحتويه من ألياف تحتفظ بالماء، كالاسفنج، مما يقلل من شعور الصائم بالعطش.

حلويات رمضان:

ومن الأخطاء الشائعة أيضا تناول الحلويات عقب الإفطار مباشرة، والمعروف أن السكريات تبقى في المعدة مدة قصيرة ويتم هضمها سريعا بعكس المواد البروتينية التي تظل ساعات طويلة في المعدة قد تصل إلى خمس ساعات، والنتيجة أن المواد السكرية تختلط بالدهون واللحوم داخل المعدة، كما أن المواد السكرية تتخمر سريعًا، وينتج عنها غازات تجعل الإنسان يشعر بالانتفاخ وعدم القدرة على الحركة.

تناول البروتينات:

وغالبا ما تكون موائد رمضان عامرة بهذه الأصناف وبخاصة اللحوم التي تؤدى إلى عسر الهضم وأمراض عديدة، من أهمها: البدانة والنقرس، وعلى الصائم أن يحرص على تناول اللحوم المشوية والمسلوقة، وبأقل كمية ممكنة، وعليه الابتعاد عن المحمرات والمقليات قدر الإمكان مع الاعتماد على الخضروات والفاكهة الغنية بالسيلولوز والفيتامينات والمعادن.

وبعد بقي أن نجدد التأكيد على التقشف فإنه من حكم شهر رمضان السامية، كما نجدد التأكيد على أن المحافظة على صحة كل إنسان تتحقق بعدم الإسراف الذي يأمرنا به ديننا الحنيف، فهل ننتبه إلى ضرورة عدم تحويل شهر رمضان إلى موسم للأكل.

دراسات في أدب الجزيرة العربية (٨)

ابن صوفان، والمصوعي اليمنيان يرثيان

الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تعالى



د. عبد الله بن محمد أبو داهش

يتبين للباحث في أدب جنوبي الجزيرة العربية عبر النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري مدى أثر التكوين السياسي للدولة السعودية في توجيه الفكر بهذه الأنحاء، ومدى ما أوجده ساستها من أسباب اليقظة الفكرية الجادة، وماالتصفوا به من مواقف حكيمة تجاه القضايا الإسلامية والعربية، فلقد سلك أولئك الولاة منهجًا سياسيًا حكيمًا كان من آثاره: قيام شعار الدين، ودفع البدع والمعتقدات الباطلة، إلى جانب يقظة الفكر، وسلامة توجهه، واحترام الجوار ورعايته بما جعل لهؤلاء الولاة السعوديين أثرًا في قلوب إخوانهم اليمنيين. ولئن كان عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (١٢٩٧ - ١٣٧٣هـ)، قد حفل بأسباب التمكين لتلك الأسباب، فإن بنيه من بعده، قد وَسَّعُوا تلك الآمال، وَسَعَوْا في تحقيقها، إذ يمكن في هذا المقام التعرض لشيء من مواقف أولئك الشعراء اليمنيين تجاه فقد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (١٣٢٤- ١٣٩٥هـ) رحمه الله تعالى، وذلك بشيء من التركيز والإيجاز.

وتأتي صلة الملك فيصل بتلك الأنحاء وطيدة مكينة، إذ عرفته في وقت مبكر من تاريخ توحيد هذا الكيان السياسي الكبير، حيث عرفته قائدًا سياسيًا فذًا، يسعى إلى توثيق عرى الإخاء، وبسط الأمن، كما عرفته نائبًا عن أبيه في الحجاز، ثم وليا للعهد، ثم ملكًا رحيمًا عادلاً، وكان في تلك الأطوار كلها وطيد الصلة بأبنائها، فلقد تحقق هذا الحال في إطار المهام السياسية التي حملها من قِبَلِ أبيه في سبيل توحيد هذه البلاد. ولعل خير من يؤكد هذا الواقع بعض شعراء اليمن الذين تعرضوا في شعرهم عند وفاة هذا المليك إلى كثير من سمات الفيصل، ومكانته السياسية، ومدى ما يبذله في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، واحترام حقوق الجوار، فلقد أفاضوا في هذا الجانب، وأشادوا بدوره السياسي والفكري في حل كثير من القضايا الإسلامية والعربية.

والحق أن ذكر الفيصل في الشعر اليمني لم يكن بقليل، وإنما هو وافر تمثله مشاركة الشعراء الوافدين منهم إلى هذه البلاد، وبخاصة في مواسم الحج، أو حينما كانوا يفدون عليه رحمه الله تعالى في الحجاز، وهو نائب لأبيه فيه، إلى جانب زياراتهم المعتادة لهذه البلاد والفيصل ملك لها، فمن الواضح أن الشعراء المحافظين منهم قد أسهموا بشيء من نتاجهم في هذا الميدان، وربما كان شعرهم الذي قيل في رثاء الملك فيصل يفوق شعرهم المعهود في حياته، وهو ما يمكن إيراد طرف منه في هذا المقام اكتفاء به دون سواه، إذ هم بهذا العمل الأدبي في ميدان الرثاء يشبهون إخوانهم الشعراء في بقية بلدان المملكة العربية السعودية، بل في أقطار العالم الإسلامي الذين فجعهم موت الفيصل، وأضرّ بهم فقده، وأخذوا في التعبير عن أحاسيسهم بروح صادقة حزينة، إذ غلب على ذلك النتاج الشعري صدق التجربة، ووضوح المعاناة.

ومن أشهر شعراء اليمن مشاركة في رثاء الفيصل رحمه الله تعالى: عبد الله بن علي بن صوفان(١) (١٣٣٥ - ١٤١٠هـ)، والعزي مصوعي(٢) (١٣٤٥هـ - ...). أما ابن صوفان فقد أنشأ قصيدة حزينة، لم تخل من صدق التجربة ووضوحها، ومنها قوله:

زار دمع العين أكناف المحاجرْ
وتحرَّى الحزن منا كل صابرْ
ورمانا بهموم هيّجت
صاغرًا أشجانها منا وكابر
سُلِبَ النوم فصرنا سُهَّدًا
وتفرقنا فما تَلْقَى مُناظِر
وأتى الكرب سريعًا نحونا
وتذكرنا لهول لايغادر
ولكم أنهت حبيبًا حاذقًا
ولبيبًا كان من أهل البصائر
وفخيما في الورى من معشر
عاش في أوساطهم ناه وآمر

كيف يا إخوان حال إذ أتى
هادم اللذات سعيا كالمغامر
يأخذ الأرواح من أجسادنا
يأخذ الكبار منا والأصاغر
كل يوم تلتقي أسماعنا
ناعيا يدعو خطابا من محاضر
ونذيرًا ناعيا في ثلة
عبرت ركبانها فلك الخاطر
تركوا الدنيا وماتوا فجأة
هل يراهم بعد حتف الموت ناظر
إن فقدنا صلة من فيصل
وصفاء ووفاء ومفاخر
أو بكيناه بدمع ودم
فلم؟ والكل فيما صار صاير
نسأل الله يرينا رحمة
في ثرى فيصلنا ذاك المثابر(٣)

أقول: «إن النغم الحزين الذي أظهره هذا الشاعر في مقدمة قصيدته هذه، ليوحي بصدق التعبير وقوة العاطفة التي يصدر عنها، إلى جانب حسن القافية المقيدة التي تعمدها»(٤)، أما العزي مصوعي فيقول في إحدى قصائده:

عمّ الأسى شرقًا وغربا
وازداد قلب الكون كربا
وهفت من الحرمين أفئدة
تكاد تذوب رعبا
ما صك مسمعها وأفقدها
الشعور وشق قلبا
صوت نعى ملك البلاد
وفيصلاً للحق عضبا
صوت كحشرجة الجريح
أحال خصب الأرض جدبا
صوت الرياض وقد تهاوى
ركنها بالأمس غصبا
يا للمصاب أهكذا غدرًا
نواري اليوم قطبا!

***

ما كان أحرى الفعلة
الشنعاء لو لثمته حبا
لرأت أبًا أقصى مناه
بأن يرى الأبناء شهبا
لكن غادره تنكب
غير درب العقل دربا
وأصاب أمته بما لم
تستطع دفعًا وذبًّا
وأحال صبحَ هنائها ليلاً
وبشرَ الدار كربا
وهدوءَها قلقًا وناعمَ
بالها فزعا ورعبا
أتطيب عيشا بعد فيصلها
وقد كُشِف الخبّا
ومحا الشقاء ولم يعش
إلا لها روحًا وقلبا
وبنى مدائنها وحوّل
جدبها المقوت خصبا
وأراد أن تبدو عروسًا
في الحرير تميس عجبا

***

القاصدون إلى مراعي
خصبها ركبا فركبا
بلغت بفيصلها السما
وتطورت مبنى وكسبا
وإذا تقطعت النياط
على فقيد الدين إربا
وتجلل الحَرَمَان من لون
الليالي السود ثوبا
فشهيد آل سعود أبكى
رزؤه عجما وعربا
إن يبكه الإسلام
يبك غضنفر العزمات ندبا
أو يبكه الإيمان
يبك فضيلة وحجى وسيبا
أو يبكه البيت الحرام
ومن دعا فيه ولبّى
يبك التواضع والخشوع
ومن لنصر الله هبّا

***

تبك حبيب المسلمين
وأكثر الزعماء حدبا
تبك المناضل بالحجى
والباذل الأموال سكبا
تبكيك دنيا العرب
يا أعلى أباة الضيم كعبا
وإذا احتواك القبر سوف
ترى من الرحمن رحبا
فإلى رحاب الله مغفورًا
له بالعفو ذنبا
وانعم قرير العين قد
خلّفت تاريخًا وشعبا
وأخًا سيمضي وفق ما
خططته دربًا فدربا
والصبر آل سعود وامضوا
للعلا والمجد وثبا(٥)

ويتحقق في هذا الشعر اليمني الذي قيل في رثاء «الفيصل» صدق التجربة، ووضوح المعاناة، إذ عبَّر ذلك الشعر عن إحساس هذين الشاعرين تجاه فقد هذا الإمام الذي سعى في التأليف بين قلوب المسلمين، ودعا إلى التضامن بينهم، وكان حريصا على لمّ شملهم، ودفع الفرقة الظاهرة في صفوفهم. وإذا كان هذا الشعر اليمني الذي اختير في هذا المقام قد صدر من لدن شاعرين متفاوتين، فإنما أريد به تمثيل البيئتين الفكريتين المختلفتين في اليمن، وبخاصة في جبالها وفي تهامتها كما هو ماثل في شعر: ابن صوفان، والمصوعي.

الهوامش :

(١) من علماء اليمن الوافدين على البلاد السعودية، استقر في نجران، له حلقة تعليمية في مسجد الأخدود بنجران، له نتاج شعري وافر. مقابلة شخصية معه في نجران في ٨ شعبان ١٣٩٩هـ.

(٢) من مواليد الحديدة في الجمهورية العربية اليمنية، عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، عمل في إطار التدريس والصحافة، وعمل مديرًا للإعلام في لواء الحديدة. «غلاف ديوانه ألحان الشاطئ».

(٣) قصيدة ابن صوفان في رثاء الملك فيصل، توجد بمكتبة صاحبها في نجران، وقد قال في خاتمتها: «أنشأها وكتبها المفتقر إلى عفو الله علي بن عبدالله صوفان اليماني ١٣٩٥/٣/١٥هـ».

(٤) عبدالله بن محمد أبو داهش، «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» ٥١٠، ط١، مط الشريف، الرياض، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

(٥) «ديوانه ألحان الشاطئ»، ط١، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، دون ذكر للمطبعة.

الأعظمي: درس الإسلام ليطعن فيه، فآمن به!

كان مولده في مجتمع هندوسي متعصب، كاره للإسلام والمسلمين، وفي صغره حشا والداه ذهنه بأكاذيب كثيرة عن فظائع، يزعمون أن سلاطين المسلمين ارتكبوها في حق أجداده من الهندوس، فشب كارهًا للإسلام حاقدًا على أهله، إلى أن مَنَّ الله عليه بالهداية، فترك عبادة الوثن، واشترى آخرته.

بداية رحلة

يروي المهتدي محمد ضياء الدين الأعظمي كيف بدأت رحلته مع دين الحق، فيعود بذاكرته إلى أواخر الخمسينيات الميلادية، وكان - آنذاك - طالبًا في كلية شبلي بمدينة أعظم كره، وحدث ذات يوم أن وقعت عيناه على مجموعة من الكتب الإسلامية، فمال إلى الاطلاع عليها مدفوعًا بتلك العداوة، التي يُكنُّها للمسلمين، بُغية أن يتمكن من الطعن فيها، وبذلك يكيد للأعداء الذين يُنكرون عقيدته، وعقيدة آبائه.

كان الحقد على الإسلام دافعه الظاهر لهذه المطالعة، لكنه ما لبث أن أدرك - بعد إسلامه - أن نداء الفطرة كان الدافع الخفي الحقيقي وراء قيامه بهذا العمل، إذ أبت رحمة الله إلا أن تهدي روحه الحيرى لما فيه خيرها.

وانكب الأعظمي على قراءة الكتب الإسلامية التي حصل عليها، وكان أول كتاب قرأه «الدين الحق» للداعية العلامة الشيخ أبي الأعلى المودودي، الذي اجتذبه بصدق منطقه، وما قدمه من دلائل قرآنية تتفق مع المنطق والفطرة على أن الإسلام دين الحق، وما سواه باطل، وترك قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ (آل عمران:١٩) تأثيرًا كبيرًا في نفسه، زلزل ماكان يعتقده من قبل من أن دين آبائه هو الحق.

أحاسيس متضاربة

كان طبيعيًا - وقد قرأ العقيدة الإسلامية في صورتها الصحيحة - أن تتضارب في صدره أحاسيس شتى بين ماتوافر له من أسباب زائفة للعداوة مع الإسلام والمسلمين لقنه إياها أهله وكهنة الهندوس. وبين ما قرأه واطَّلعَ عليه بنفسه من قيم إسلامية نبيلة، فيها صلاح الإنسان وخيره في دنياه وأُخراه.

وعانى تمزقًا آخر حين نظر إلى حال المسلمين، فلم يجد منه ما يجعله يرغب في مخالطتهم أو الانتماء إليهم، فهم متخلفون اقتصاديًا وتعليميًا، ولدى بعضهم أخلاقيات مرذولة، فكيف حدث لهم ذلك، ولديهم مثل هذا القرآن الذي يدعو إلى الرقي ومكارم الأخلاق.

وكان لابد - وقد وجد نفسه يحيا ضياعًا بين عقيدة وثنية ورثها عن آبائه لايجد نفسه فيها، وعقيدة سماوية، يحس أنها تلتقي مع فكره - أن يعود ليراجع عقيدته، وليعرف مواطن الصحة والخلل فيها.

كتب الهندوس وتناقضها

انكب الأعظمي على كتب الهندوس الأربعة الرئيسة «ويدك وهرم»، «وسام ويد»، «أجر ويد»، و«أثرّ ويد» ليطمئن قلبه على صحة ما آمن به سنينا طويلة، لكنه لم يجد سوى خرافات لاتُقنع العقل ولايطمئن لها القلب، وازَنَ بين ماجاء في القرآن الكريم وكتب المسلمين عن قصة خلق الكون، وبين ماوجده في «قوانين مانو» من حكايات خرافية عن نشأة الكون، وخلق الآلهة!! تعالى الله عما يقولون.

قرأ في الباب الأول من قوانين مانو: «إن هذه الدنيا كانت مبهمة لا معرفة لها ولا وسيلة، وليس باستطاعة أحد أن يتوسل إليها بالحجج أو البراهين، ثم ظهر (بير ميشور) إله الآلهة بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقًا من ذاته، فخلق الماء وألقى فيه نطفة، وخرج منها (براهما) أي الخالق، وكسر البيضة نصفين، جعل من أحدهما الجنة، ومن الثاني الأرض والسماوات وما بينهما، والجهات الثمان والبحور الهادئة، ثم أخرج من فمه (براهمن) ومن عضده (كهتري)، ومن فخذه (ويش)، ومن رجله (شودرا)، فما دام براهما مستيقظًا فالدنيا باقية، وإذا نام، قامت القيامة».

ولم يفت الأعظمي أن يلحظ سذاجة تبرير قوانين مانو لقصة الخلق، كما لم يفته أن يلحظ تناقضها مع «فكرة بران» التي يؤمن بها أيضا الهندوس، والتي تقوم على أن امرأة اسمها (شري) هي التي خلقت العالم، وخلقت الآلهة الثلاثة: «براهما» وتعني خالق الحياة، و«شنو» وتعني الرازق، و«مهيسن» وتعني قابض الأرواح.

موازنة بين ديانتين

شجعه ما وجده من تناقض عقيدة الهندوس، وما تحويه من خرافات، وتعدُّد آلهة إلى عقد موازنة بينها وبين الإسلام، فوجد أن الشريعة الإسلامية تقدم صورة مثلى للخالق، وترفض تعدد الآلهة المخالف لسنن الكون والفطرة، كما أن الإسلام ليس دينًا موروثًا عن الآباء، وإنما هو دين يتسع لكل مَنْ يمنُّ عليه الله بالهداية، ولايقيم وزنًا لأية فوارق جنسية، ويقدم مبدأ الأُخُوَّة في الله على جميع علاقات النسب والوطن، والأهم من ذلك أن مَنْ يعتنق الإسلام يصبح فردًا من عشيرة المسلمين، لافرق بينه وبين مَنْ توارث الإسلام عن أجداده، بعكس الهندوسية التي ترسخ نظام الطبقات، بل وتذهب إلى تكريس الظلم بجعل طبقة «المنبوذين» خدمًا لطبقة البراهمة، برغم اشتراك الطبقتين في العقيدة ذاتها، بل إنهم يساوون بين كَفَّارة قتل الضفدع، وكفارة قتل المنبوذ!! ضاربين عرض الحائط بكل القيم الإنسانية.

اعتناقه الإسلام

بعد هذه الموازنة والدراسة للعقيدة الإسلامية وعقائد الهندوس، قر قرار الأعظمي على اعتناق الإسلام، وبالفعل أسلم، فبدأت معاناته، إذ ما كاد والده يعلم بنبأ إسلامه حتى عمد إلى حرمانه من التعليم العالي، وأخرجه من مدينة أعظم كره، وبعث به إلى كلكتا، حيث وجد نفسه غريبًا في مدينة غريبة عليه، وهداه الله إلى البحث عن مقر مركز الجماعة الإسلامية، حتى وجده، وهناك تزود بالكتب الإسلامية المترجمة إلى الهندية، ليزيد من معارفه عن عقيدته.

مطاردة

وحين علم به بعض النُّساك الهندوس، عمدوا إلى مناظرته، فأفحمهم بحسن اطِّلاعه على عقيدتهم الفاسدة، مما جلب سخطهم عليه بإزاء عجزهم عن رده، أو التغلب عليه، فحبسوا عنه الماء والطعام، وضربوه بالعصي والنعال لمدة شهرين، وحين لم يتمكنوا من إثنائه عن الإسلام، سعوا إلى قتله، إلا أن عناية الله أنقذته من كيدهم، واضطر للهرب من كلكتا، إلى مدينة «بدايون»، وفي هذه المدينة بدأ يتعلم الأوردية، ويدرس القرآن الكريم ، إلا أن الهندوس لم يتركوه وشأنه، فبعد عام ونصف من وصوله إلى تلك المدينة، علموا بوجوده، وتعقبوه بمؤامراتهم، حتى اضطروه للفرار إلى منطقة مدراس، وفيها التحق بجامعة دار السلام الإسلامية.

في أرض هجرة الرسول

تعلم محمد ضياء الدين الأعظمي في جامعة دار السلام اللغة العربية، ونهل من علومها وآدابها، وتخرج منها بعد ست سنوات، وهداه تفكيره إلى تقديم طلب لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، نائب رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة - آنذاك - راجيًا الالتحاق بالجامعة الإسلامية، للنهل من علوم الشريعة، في أرض النبوة، واستجاب سماحته للطلب، وألحقه بالجامعة، التي تخرج منها ليكون واحدًا من الدعاة إلى الله، بعد أن ظل - لسنوات - يعبد الكفر والطاغوت.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

كتب ومؤلفون

هل ثبتت هذه الكتب لمن نُسبت إليه:
١ – أخبار النساء لابن قيم الجوزية.
٢ – الإمامة والسياسة لابن قتيبة.
٣ – مروج الذهب للمسعودي.
٤ – الأغاني للأصفهاني.

مجدي بن محمد
الأردن.

لم يثبت أن كتاب «أخبار النساء» لابن قيم الجوزية، فالعرض والإيراد والغاية كلها أمور ثلاثة تدل دلالة واضحة على أن نسبته إليه ليست بشيء، فالكتاب ليس له حسب علمي، والله تعالى أعلم.

وكذا الحال بالنسبة لكتاب «الإمامة والسياسة»، فليس هو لابن قتيبة، إنما هو منحول، وذلك بيّن جداً مماورد فيه من الأخبار والأحداث التي تخالف منهج الرجل، وقد دل التناول فيه على مخالفته لطريقة ابن قتيبة، فلست أظنه له، والله تعالى أعلم.

أما «مروج الذهب» فهو للمسعودي، ولم يقع إشكال حول هذا، ولم يرد خلاف، لكن الذي حصل هو أن المسعودي في تاريخه هذا (أربعة أجزاء) حمل بقسوة على بعض الصحابة رضي الله عنهم، وخرج عن طور الأمانة في النقل السندي، فاستنكر بعضهم هذا من مؤرخ كالمسعودي.

وأما كتاب «الأغاني» فهو كتاب نقله صاحبه من عدة مصادر منها: الشعوبيون، والقصاص، والمجوس، ولذلك تجد «الأغاني» قد ملئ بالروايات المكذوبة عن الحسن والحسين وسكينة وهارون الرشيد، بل وجملة من الصحابة الأطهار. وقد وجد فيه زيادة على هذا كثير من الأخبار التي إذا أخضعت للنقد العلمي النزيه اتضح أن الهدف من ورائها الشعوبية، وأهل الأدب الفاضح. ولهذا تجد هذا الكتاب ذا شهرة بالغة بسبب الاستشراق، والنظراء من العرب. وهو للأصفهاني دون ريب، لكننا هنا نبين عور الكتاب وبطلانه، أما مؤلفه فهو الآن بين يدي عدل لايظلم مثقال ذرة، وإن تكن حسنة يضاعفها، فأين المعتبر؟

بين التذكر والتفكر

هل هناك فرق بين التذكر والتفكر؟

ج. ج. ج
الرياض.

التركيب اللفظي لهاتين الكلمتين يُعطي المراد من كل منهما من حيث المعنى، فالتذكر استجلاب الغائب المنسي، أو تذكر مامن شأنه الجواب ونحوه. والتذكر عملية ذهنية قريبة عامة تدور بين العاطفة والمحسوس، والتذكر تنبيه لعملية نسيان بمعنى التهديد. قال تعالى: ﴿مايتذكر فيه من تذكر﴾ (فاطر: ٣٧). أما التفكُّر -هكذا- فهو عملية، ذهنية عقلية، تدور حسب حال صاحبها بين الجد والهزل، فكلما كان الإنسانُ صافي الذهن واسع التصور حسن التصرف ارتقى بفكره عن مستوى الشهوة والشبهة، والعنصر ليجدد ويبدع، وينهض بأمته، ولهذا ترد دائمًا لفظة «التفكر» في نظر الكون، والحياة، وطبيعة حياة الفرد كيف يجب أن تكون. والتفكر عملية عظيمة إذا جلبت لصاحبها معنى الحياة من الحياة نفسها من خلال النظر في الخلق ووحدته، وأن خالقه عظيم عدل حي لايموت.

القرآن الكريم والدلائل الكونية

هل ورد في القرآن مايدل على طبقات الجو العليا من الضغط الجوي والظلمة الفضائية؟

لبيب سليم رزق عوض
إنديانا- الولايات المتحدة الأمريكية.

أشارت بعض الآيات الكريمة إلى مثل هذا، فالإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لتركبُنَّ طبقًا عن طبق﴾ (الانشقاق: ١٩) قال: سماء بعد سماء، وقد صرّحت آية أخرى بذلك، يقول خالق الكون علاّم الغيوب: ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سُكرّت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (الحجر: ١٤) ويقول سبحانه: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعَّدُ في السماء﴾ (الأنعام: ١٢٥).

ولك -أيها القارئ الكريم- أن تتدبر من خلال هذه الآيات المعنى العلمي البحت للكون والضغط والظلمة، بجو هادئ وروح شفافة نزيهة تعرف نفسها أولاً وآخرًا.

ومع أن القرآن ليس كتابَ فضاء ولاجغرافيا ولا جيولوجيا، إلا أنه يشير إلى بعض الأمور الكونية المخلوقة ليتدبر العبد الآيات في الكون والنفس والحياة، ثم يربط هذا بفطرته وحسّه الصحيح السليم.

فتاوى متفرقة

ماحكم من ذرعه القيء في نهار رمضان؟

علي المحمود
الرياض.

لاشيء عليه وصيامه صحيح، فقد ورد في السنن «عفي عن أمتي الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه».

رجل أخذ مالاً بحيلة بحكم عمله في شركة، وذلك للحاجة والضرورة، وهو غني نوعًا ما، فهل حَجُّهُ صحيح؟

س. م. م. م
مصر.

حجه ظاهره صحيح مادام جاء بأركانه وواجباته ..الخ. لكنه في حقيقة الأمر غير مقبول لأنه من مال كسبه كسبًا غير مشروع، والله طيّب لايقبل إلا ماكان طيبًا من القول والعمل، ومثله يُعيد الحج إن كانت حجة الإسلام، لكن بمال حلال.

لمحات من الحركة التعليمية في مقاطعة الأحساء



د. محمد بن عبداللطيف
آل ملحم

الحلقة الأخيرة

المدخل الثالث

ولأن مجال هذا الحديث لايتسع لاستعراض سيرة الرواد في مجال التربية والتعليم ممن شارك في الحركة التعليمية في «مقاطعة الأحساء» في عهد الملك عبدالعزيز من أبناء الأحساء ونجد والحجاز، فلقد رأيت - على الأقل - أن أنوه في عجالة عن نشاط واحد منهم كانت له مواقف طيبة في الحركة التعليمية؛ ألا وهو الشيخ «عبدالله عبدالرحيم قاضي»، إذ لهذا الرجل فضل في دفع عجلة التعليم في «مقاطعة الأحساء» لايمكن أن ينكر.

ولقد حدثني رجال ثقاة في «الأحساء» عن مواقف هذا الرجل منذ أن قدم إلى مقاطعة «الأحساء» في بداية الخمسينيات ليعمل في «مالية الأحساء» التي كانت - آنذاك - أشبه ماتكون بالوزارة، وكان آخر منصب شغله الأستاذ «عبدالله قاضي» في «الأحساء» «معتمد تعليم منطقة الأحساء» المرشح.

لهذه الأسباب سأتناول - وباختصار - السيرة الذاتية لهذا الرجل الفاضل.

ولد الشيخ «عبدالله قاضي»في مدينة «الطائف» في عام ١٣١٥هـ، وتوفي بها في شهر رجب من عام ١٣٧٧هـ، وكانت أول «حفيظة نفوس» حصل عليها من «مكة المكرمة» برقم ١٤٦، وتاريخ ١٣٥٩/٢/٧هـ، وقد أسندت إليه أعمال مالية «الطائف» من شعبان عام ١٣٤٧هـ، وحتى عام ١٣٤٩هـ، ثم نقل إلى مالية «الأحساء» في عام ١٣٥١هـ، ثم نقل إلى مالية «جيزان» في عام ١٣٥٢هـ، وشهد حرب «الأدارسة»، وموّن حملة سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - آنذاك - من مالية «جيزان»، ثم أعيد إلى مالية «الأحساء» في عام ١٣٥٣هـ، وفي عام ١٣٥٥هـ صدرت الموافقة السامية - كما سبق القول - بتعيينه رئيسًا «لأموال الأحساء وتوابعها» حتى عام ١٣٥٦هـ، وفي غرة عام ١٣٥٩هـ عين «وكيلا تجاريًا» في «الكويت» حتى عام ١٣٦٣هـ، وفي عام ١٣٦٧هـ أمر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء - آنذاك - بإسناد أعمال إدارة العيون والآبار في «الطائف» إليه. واستمر بذلك العمل حتى توفاه الله في عام ١٣٧٧هـ.(١)

وحدثني الشيخ «خليفة بن عبدالله آل ملحم» عميد أسرة «آل ملحم» في «الأحساء» الذي كان من رجالات مالية «الأحساء» حيث زاول فيها وظيفة «مستودع الرياض في مالية الأحساء»،(٢) عن الشيخ «عبدالله قاضي» كثيرا.

أقول: ذكر الشيخ «خليفة» لي - على سبيل المثال - أن الشيخ «عبدالله قاضي» بذل جهوداً جمةً في سبيل دفع عجلة التعليم في «الأحساء»، وأنه شارك في عملية التدريس في «مدرسة الأحساء الابتدائية»، كما شارك معه في التدريس موظفون في «مالية الأحساء» منهم السيد «يوسف العوضي».

وكان الشيخ «قاضي» متواضعًا، ومحبوبًا من قبل موظفي المالية، وكان يقيم لهم حفلات سمر في بساتين «الأحساء»، كذلك كان يحب المداعبة، والمؤانسة، والاستماع إلى جيد الشعر. وفي هذا الخصوص روى الشيخ «خليفة بن عبدالله آل ملحم» لي أنه كان - ذات مرة - عضو هيئة مالية تفتيشية في «الجبيل»، والقطيف برئاسة الشيخ «عبدالله قاضي»، وكان من أعضاء الهيئة: الشيخ «محمد صالح قزاز» منتدبًا من وزارة المالية، والأستاذ «يوسف العوضي» مدير المحاسبة في مالية «الأحساء»، والأستاذ «عبدالقادر بن حريب» الذي كان يعمل - آنذاك - في قسم المشتريات في مالية «الأحساء»، والشيخ «حبيب صلاح» وكان إمامهم في الصلاة، وأضاف الشيخ خليفة قائلاً: إنهم بينما كانوا في رحلتهم، ولديهم بعض الوقت للراحة والتسلية، اقترح الشيخ «عبدالله قاضي»

عليهم أن يقوم كل واحد منهم بتعليم الآخر ما يعلمه، ووفقا لهذا الاقتراح تعهد الشيخ «عبدالله قاضي» بتعليم «اللغة العربية»، وتعهد الأستاذ «يوسف العوضي» بتعليم اللغة الإنجليزية، وهكذا. وأضاف الشيخ «خليفة آل ملحم»: إنهم بينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث حول اللغة العربية واللغة الإنجليزية تذكر الأستاذ «عبدالقادر بن حريب» «الطائف»، ومصائفها، فحبَّر على إثر ذلك أبياتًا من الشعر، ومن ثم وجهها إلى السيد «يوسف العوضي»، وذكر الشيخ «خليفة» لي أنه كان يحفظ تلك الأبيات، إلا أنه فيما بعد نسيها ماعدا الأبيات الثلاثة التالية:ـ

يَا أبَا يَعْقُوبَ دَعْني إنّني
لَسْتُ منْ أهْلِ «برنْجٍ»، وَ«هِيرْ»
ذَكَرَ القَلْبُ عُيُونًا نُعَّسًا
خَالَطَ التَّفْتِير فِيهِنَّ الحَوَرْ
بَيْنَ «شُبْرَا» و «حَوَايَا» جَنَّةٌ
بَهْجَةٌ للْقَلْب، سَلْوَى للنَّظَرْ

وسلم الأستاذ «ابن حريب» هذه القصيدة للشيخ «عبدالله قاضي»، وعلى الفور بعد قراءتها قال الشيخ «عبدالله قاضي»: آه! ياليت فينا شاعر يرد عليه.

روى الشيخ «خليفة آل ملحم» لي قائلاً: ضحكتُ من تأوهات الشيخ «عبدالله قاضي»، وقلت لنفسي: أنا لست بشاعر، ولكنني أقول بعض الأبيات.

انتحى الشيخ «خليفة آل ملحم» جانبًا، وحبر في الحال أبياتًا منها:ـ

زِدْتَ يَاابْنَ حُرَيْبٍ في الفكَرِ
وَتَركْتَ القَلْبَ في مثْلِ سَقَرْ
حينَمَا نَوَّهْتَ في شعْرِكَ عَنْ
وَجْدِكَ الزَّائِد عَنْ هَذِي النَّحَرْ
أنَا منْ قَبْلكَ مَفْتُونٌ بمَنْ
وَجْهُهَا كَالبَدْرِ أوْقَاتَ السَّحَرْ
بَيْنَمَا كُنْتُ بـ «هَجَرٍ» مُنْعَمًا
نَائِيًا عَنْ كُلِّ هَمٍ أوْ كَدَرْ
سِرْتُ في حِلٍّ وَتِرْحَال فيـ
ـمَا بـ «دَارِينَ»، وَطَوْرًا بـ «الخُبَرْ»
إنَّمَا خَفَّفَ مَا بي منْ أسىً
انْضمَامِي بكُمْ أهْلَ النَّظَرْ
شَيْخُنَا «القاضي» عَليمٌ وَهْوَ منْ
حَازَ علْمًا، وَهْوَ بالحلْمِ اشْتَهَرْ
وكَذَا «القَزَّازُ» أعْني «صَالحًا»
وَالحَبيبُ الحَبْرُ ذُو الوَجْه الأغَرْ
لَيْسَ حَقًّا لَكَ أنْ تَعْتَرِض الشَّـ
ـيْخَ ذَا الفَضْلِ، فَحُذْرَاكَ حَذَرْ
بَانَ لي أنَّكَ لاَتَطْلُبُ علْـ
ـمًا ولاَتَرْجُو نَجَاحًا في سَفَرْ
إنَّمَا الأسْفَارُ، فَاعْلَمْ مَغْنَمٌ
وكَذَا الإنْسَانُ فيهَا يُخْتَبَرْ

وذكر الشيخ «خليفة بن عبدالله آل ملحم» لي قائلاً: كان الكل مسرورين بعد سماعهم لهذه القصيدة، حيث كانوا من محبي الشعر والأدب، وكان هذا شأنهم في رحلتهم التفتيشية.

المدخل الرابع

لقد تحدثت عن «مدرسة الأحساءالابتدائية» بقدر ما يسمح به المقام، هذا مع العلم أن لدي الكثير والكثير عن الدور الذي أدته هذه المدرسة في الحياة العامة في «مقاطعة الأحساء» في عهد الملك «عبدالعزيز»، ولعله من باب التذكير أن أسوق بعض الملاحظات العابرة.

لقد كانت «مدرسة الأحساء الابتدائية» بمثابة المدرسة «الأم» لمدارس أخرى بمبناها نفسه، حيث شعرت «معتمدية معارف الأحساء» أن الحاجة كانت ماسة إليها، وعلى سبيل المثال فتحت بمبنى المدرسة نفسه مدارس ليلية تابعة لها، منها: «مدرسة مكافحة الأمية» التي تأسست في عام ١٣٦٧هـ تحت مسمى «مدرسة تعليم العوام» إلا أن التسمية تعدلت في عام ١٣٧٠هـ لتصبح «مدرسة مكافحة الأمية»، وتأسست مدرسة ثانية في المبنى نفسه اسمها «مدرسة تعليم اللغة الإنجليزية»، وتأسست مدرسة ثالثة كان اسمها «مدرسة المعلمين»، الغرض منها إعداد المدرسين وتدريبهم على طرق التربية والتدريس، وتأسست في عام ١٣٦٧هـ مدرسة «متوسطة» و«ثانوية» بالمبنى نفسه، وأصبح لهذه المدرسة شأن كبير مع مرور السنين.

ولقد شارك خريجو «مدرسة الأحساء الابتدائية» منذ عام ١٣٦٢هـ فصاعداً إما بصفتهم «مديرين» أو «مدرسين» في المدارس التي أخذت «معتمدية معارف الأحساء» على عاتقها افتتاحها في عهد الملك «عبدالعزيز» في أحياء مدينة «الهفوف» ومدن وقرى وهجر «مقاطعة الأحساء». فمن الأحياء مثل: ـ «الصالحية»، و«الكوت»، و«الرقيقة»، ومن القرى مثل:ـ «الطرف»، و«الشقيق» و«الجفر»، و«المراح»، و«الجشة»، و«العيون»، ومن المدن مثل:ـ «المبرز»، و«الدمام»، و«الجبيل»، و«الخبر»، و«دارين»، و«القطيف»، و«أم الساهك»، و«تاروت».

وتخرج في «مدرسة مقاطعة الأحساء الابتدائية» ذات الشأن العظيم في عهد الملك «عبدالعزيز» طلاب كان لهم فضل الإسهام في الحياة العامة في شتى أنحاء المملكة العربية السعودية.

واعتادت «معتمدية تعليم مقاطعة الأحساء» إقامة احتفالات بمناسبة تخرج طلاب من «مدرسة الأحساء الابتدائية» كل عام، كان يحضرها سراة القوم في الأحساء، وعلماؤها، وآباء الطلاب، ومن يكون «بالأحساء» من زوار، وضيوف، ورجال صحافة.

وعلى سبيل المثال في مناسبة تخريج طلاب في عام ١٣٦٣هـ أقامت المدرسة احتفالاً تحدثت عنه جريدة «أم القرى» في عددها رقم ١٠١٨ وتاريخ ٧ رمضان١٣٦٣هـ، ومما قالته الجريدة:ـ «أقامت معارف الأحساء (مهرجانًا) فخمًا، وزعت فيه الشهادات الابتدائية على الناجحين برئاسة سمو الأمير سعد بن جلوي، وقد حضر الحفل زهاء ألف مدعو، وغصت قاعة المدرسة بالمدعوين من علماء البلاد، وأعيانها، وموظفيها،

لمحات من الحركة التعليمية في مقاطعة الأحساء

الحلقة الأخيرة

كما هزج الطلاب الذين كانوا في استقبال سمو الأمير بنشيدهم الرائع، وكانت مدرسة الأحساء تلبس حلة قشيبة من الزينة، والبشر يغمر أساتذتها، وطلابها ابتهاجًا بهذه المناسبة النادرة، كما كانت الأعلام العربية الخفاقة ترفرف على جوانب المدرسة».

وكما سبق أن ذكرت، دَرَسَ في «مدرسة الأحساء الابتدائية»، أو دَرَّسَ بها وتخرج فيها في عهد الملك «عبدالعزيز» رجال أسهموا في الحياة العامة ببلادنا، وكان من هؤلاء الرجال: أمراء، ووزراء، ووكلاءوزارات، وأعضاء في مجلس الشورى الحالي، ورجال تربية وتعليم، وأساتذة جامعات، ورجال أعمال، ورجال صحافة، وشعراء، وأدباء، ومنهم على سبيل المثال السادة:ـ عبدالله بن أحمد الشباط، ويوسف عبداللطيف أبو سعد، ومحمد بن عبدالله بن حمد آل ملحم.

وفي ختام هذا الحديث كم يطيب لي أن أتلو جزءاً من مقطوعة شعرية لخريج «مدرسة الأحساء الابتدائية»الطالب الشاعر:ـ محمد بن عبدالله بن حمد آل ملحم ـ يرحمه الله ـ وعنوان المقطوعة الشعرية «هَجَرْ وَرُبْعِ القُوتْ»، وتكمن أهمية هذه المقطوعة الشعرية في أنها تصور مشاعر حيوية معبرة عن الأجواء السائدة في «الأحساء» من عيون ونخيل وبساتين وقت نمو وتطور «الحركة التعليمية» في «مقاطعة الأحساء» في عهد الملك «عبدالعزيز»:

«هَجَرٌ» أنْتِ مَرَامِي
أنْتِ أنْغَامُ حَيَاتِي
أنْتِ شَدْوِي، ونَشِيدِي
أنْتِ أحلَى أُغْنِيَاتِي
أنْتِ أَحْلاَمِي، وَحُبِّي
أنْتِ أغْلَى أُمْنِيَاتِي
أنْتِ فِي أعْمَاقِ قَلْبِي
تَسْكُنِينَ الخَلَجَاتِ
إنْ دَنَا خَطْبٌ، وَدَوَّتْ
عَاصِفَاتُ الأزَمَاتِ
أفْتَدِيكِ بِفُؤَادِي
وَدِمَائِي الغَالِيَاتِ
إنَّ لِلأوْطَانِ حَقًّا
مِنْ أجَلِّ الوَاجِبَاتِ
لَكِ حُبِّي حَيْثُ أحْيَا
مَوْطِنَ الصِّيدِ الأُبَاةِ
فِيكِ كُلُّ لَبِيبٍ
مُشْرِقٍ فِي الصَّفَحَاتِ
مِثْلَ «عبدالقيس»، فَاقُوْ
بِالفِعَالِ الطَّيِّبَاتِ
ذَاكَ وَفدٌ شَرَّفُونَا
فِي الوُفُودِ الوَافِدَاتِ
أقْبَلُوْا، والشَّوْقُ بَادٍ
فِي الوُجُوهِ النَّيِّرَاتِ
وَسَنَاءُ البِشْرِ يَزْهُو
فَوقَ تِلْكَ القَسَمَاتِ
وَأتَوْا يَسْعَوْنَ سَعْيَاً
فِي وَقَارٍ، وَثَبَاتِ
وَحَيَاءٍ، وَهُدُوءٍ
طِبْنَ تِلْكُمْ مِنْ سِمَاتِ
مَرْحَبَاً يَا وَفْدَ «هَجَرٍ»
فِي رُبَا ذِي البَسَمَاتِ
مَرْحَبَاً بالوفدِ أنتم
يَا لَهَا مِنْ كَلِمَاتِ
لاَ خزَايَا، لاَ نَدَامَى
كَمُلَتْ مِنْ بُشْرَيَاتِ
فَكَفَاكُمْ ذَاكَ فَضْلاً
مِنْ وَلِيِّ الحَسَنَاتِ
إنَّمَا الأحْسَا بِلاَدٌ
جَمَعَتْ كُلَّ الصِّفَاتِ
مَجْدُهَا كَانَ عَرِيقًا
مِنْ قَدِيمِ السَّنَوَاتِ
ازْدَهَتْ عِلْمًا، وَفَنًّا
دَانِيَاً بِالثَّمَرَاتِ
وَمَضَتْ فِي العِلْمِ شَوْطًا
قُدُمًا مُنْذُ المِئَاتِ
فَهْيَ رَوْضٌ لِلْمَعَانِي
حَافِلٌ بالمَكْرُمَاتِ
إنَّمَا الأحْسَا بِلاَدٌ
فَاقَ فِي كُلِّ الصِّفَاتِ
بَعْدَ ثَالُوثِ المَعَالِي
فَاقَ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ
مَكَّةٌ، طَيْبَةٌ، والقُدْسُ
تَسَامُوْا بِسِمَاتِ
لَيْسَ فِيهِنَّ تُدَانَى
فِي قَدِيمٍ، أوْ بِآتِ
فَاقَ هَجْرٌ بِثَلاثٍ
أوْرَثَتْهُ المَكْرُمَاتِ
فِيهِ صُلِّيَ ثَانِي
جُمْعَةٍ فِي الجُمُعَاتِ
وَبِهِ أسْلَمَ قَوْمٌ
دُونَ سَيْفٍ، أوْ قَنَاةِ
وَعَلَى الإسْلاَمِ ظَلُّوا
كَالجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ
وَقَدِيْماً قِيلَ فِيهَا
مَثَلٌ فِي الخَالِدَاتِ
«هَجَرٌ وَالقُوتُ رُبْعٌ»
فَتَفَهَّمْ كَلِمَاتِي
كَانَتِ الأحْسَا، وَمَازَالَتْ
جِنَانَاً وَافِرَاتِ
مِنْ مِيَاهٍ، وَظِلاَلٍ
وَنَخِيلٍ بَاسِقَاتِ
وَعُيُونٍ تَتَرَاءَى
دَافِقَاتٍ سَاحِرَاتِ
وَحُقُولِ الزَّيْتِ تِلْكُمْ
بِثَرَاهَا غَامِرَاتِ
أغْدَقَ اللهُ عَلَيْهَا
مِنْ جَمِيعِ المَكْرُمَاتِ
فَهْيَ كَنْزٌ مُسْتَفِيضٌ
حَافِلٌ بِالبَرَكَاتِ

العقاد والعطار



الحلقة الثانية

بقلم :د. حسن بن فهد الهويمل

قلت: إن العطار محب للعقاد مغرم به، يتلذذ بتكرار ذكرياته معه، ويلهج بالثناء عليه، ويباهي به الأدباء، ويسخر من خصومه، ويتهمهم بأقذع الأوصاف، وأحط الصفات. تحدث عن معرفته للعقاد، وعن أول مقابلة له، وعن تدينه ودهائه، وعن عبقرياته التي كانت حدثا مهمًا في عالم الدراسات التاريخية، وعن موقف العقاد من الشيوعية، وكان بعض تلك المقالات مقدمات كتبها العطار لبعض كتب صاحبه، ثم فصل الحديث عن العقاد وخصومه، أمثال الرافعي وشوقي، والشعراء الجدد ممن طرحوا مصطلح الشعر الحر، وأحمد أمين، وجماعة أبوللو، وإن كانت بعض الخصومات من طرف واحد، كما هي مع شوقي، وهي في الواقع لم تكن من طرف واحد إذا نظرنا إلى منازلات أنصار شوقي. والعطار في كل ذلك عنيف كل العنف، جائر كل الجور، لايرضى بأنصاف الحلول، ولايقبل من خصوم العقاد صرفا ولاعدلا، ولم يكن لطيفا هادئا إلا مع الذين تلطفوا مع العقاد أمثال أحمد أمين، ومناوشات أمين مع العقاد لاتوصف بأنها معارك، إنها لون من المراجعات الخفيفة.

ولقد كانت قسوته أشد ماتكون على مصطفى صادق الرافعي، وإذا كنت أفضل العقاد على الرافعي على خلاف مايذهب إليه السواد الأعظم من الإسلاميين، فإن هذا لايحملني على تبني رأي العطار، أو استساغة كلماته العنيفة الخارجة عن حد الاحتشام وأدب الحوار، بل أبسط آدابه.

والعطار حين بدأ الحديث عن خصومة العقاد مع الرافعي استهله بما يتوقع معه أن يسرف في التصدي وفي التحيز الجائر، فالعقاد عنده يختلف عن الرافعي في كل شيء، حتى فيما يتصل بالدين والخلق والضمير.

وفي سبيل المفاضلة الدينية أخذ على الرافعي سكوته عن جنايات تلميذه أبي رية، وخص منها تحامل أبي رية على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، وفات العطار ماهو أشد من ذلك. وهو مايجهله أو يتجاهله أنصار الرافعي، ولكن هذا لايعني أن العقاد ليست له سكتات مماثلة، فالعقاد لم يتصد لجنايات طه حسين، بل مال إلى طه حسين في سبيل حرية الرأي، وهو ميل ينال من سمعة العقاد، فجنحة طه حسين موجعة، وفي صميم العقيدة، وتعلق العقاد بحرية الرأي في غير محلها. فقد أدى ذلك إلى اتهامه بالنزوع الوجودي.

العقاد لم يدافع عن رأي طه حسين، وإنما دافع عن حرية الرأي، وأحسب أن العقاد قد وهم، وفهم الحرية على غير ماكان يدعو إليه. الحرية عند العقاد تعني الانضباط، وطه حسين لم يكن منضبطًا في آرائه، ومع ذلك ظل العقاد حريصًا على ألا يمس طه حسين، والرافعي بسكوته أو مواطأته لأبي ريه يقع في المحذور الذي وقع فيه العقاد، وأبو رية يذهب إلى أكثر من هذا، وتبلغ جرأته على الكتاب والسنة حداً لايطاق، ومع ذلك يسكت الرافعي، ويفسح لأبي رية بسطة من قبوله ورضاه.

ولعلنا نعرف الضجة التي أحدثها فيما بعد كتابه «أضواء على السنة المحمدية» ففي رسائل الرافعي لأبي رية رسالة يذكر فيها لأستاذه ما يذهب إليه من أن القرآن من صياغة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الوحي كان لمعناه ولم يزد الرافعي على أن نهى تلميذه عن إثارة مثل هذه الموضوعات.

ذكر ذلك أبو رية في رسائله، وأرجو أن يكون أبو رية كاذبًا مفتريًا على أستاذه، فهو مضنة الكذب والافتراء، والعريان يذكر عن علاقات الرافعي بمي زيادة الكاتبة والصحفية والأديبة اللبنانية الأصل، المصرية الإقامة، المسيحية الديانة، بما لايليق بمفكر له وزنه مثل الرافعي، على أن سلمى الحفار الكزبري كذبت ذلك، وذكرت أن الرافعي تهالك على حب مي، ولكنها صرفته بأدب، ثم بشيء من الإهمال، الأمر الذي أثار الرافعي، وجعله يكتب رسائل عنيفة.

والشائع أن حب الرافعي لمي زيادة من طرف واحد فجر موهبته، فألف ثلاثة كتب في زمن يسير هي: «السحاب الأحمر»، «رسائل الأحزان»، «حديث القمر».

والرافعي مع كل ذلك له نزوع صوفي انعكس على سلوكه، وعلى أسلوبه، وعلى معانيه بقدر لايحتمل. ولاأعرف أن أحدًا من دارسيه أشار إلى شيء من ذلك إلا العريان الذي أشار إلى علاقته بالبدوي وتعلقه به، أما عن كتاباته فهي بادية، وبخاصة فيما أذكر في مقال له عن العام الهجري في «وحي القلم».

أقول هذا لأثبت أن من نوقش الحساب عذب، وأن من الخير لنا ولمفكرينا أن نقف حيث خلفوا لنا، فنأخذ منه مايفيد، ونلتمس العذر ماوسعنا القول فيما سوى ذلك، والعطار -رحمه الله- كان قاسيًا وعنيفًا مع خصومه، ومع خصوم العقاد، ولو أبحنا لأنفسنا من القول عنه أو عن العقاد بقدر ما أباح لنفسه، لكنا جائرين ومخالفين لما نذهب إليه.

لقد ساق العطار أطرافًا من ثناء الرافعي على نفسه، وعلى إنجازاته، والرافعي من ذوي العاهات الذين يحسون بظلم المجتمع لهم، وغمطه حقهم، وهو من غير المؤهلين، ومن غير كبار الموظفين، ومع مايتمتع به من ثقافة واسعة، وأسلوب متميز ينظر إليه الآخرون بازدراء، مما حمله على القسوة والمباهاة، وأخذ موقعه بقوة الكلمة، وعنف التصدي، وقد فعل زكي مبارك مثل ذلك. والمجتمع حين يقسو على العمالقة، تثور ثائرتهم، ويقدمون على انتزاع حقهم بأيديهم.

والرافعي اتفقنا معه أم لم نتفق علم من أعلام الأدب العربي الحديث، ومنافح قوي الحجة عن لغة القرآن، ومحافظ على تراث الأمة وشخصيتها العربية والإسلامية في زمن طغت فيه موجات التغريب.

وإذا كانت الساحة الفكرية والأدبية قد اتسعت لجنايات طه حسين، وسلامة موسى، وكتبهم «في الأدب الجاهلي» و «مستقبل الثقافة في مصر» و «اليوم والغد» و «تربية سلامة موسى»، فإنها قادرة على الاتساع لما هو دون ذلك من جنح ليست في خطورة هذه الكتب، التي أسهمت في تشكيل الحركة الفكرية في العالم العربي.

والرافعي الذي يصفه العطار بالغرور والكذب والادعاء والمرض والأوهام هو صاحب «وحي القلم» و «تاريخ الأدب العربي» و «إعجاز القرآن» و «تحت راية القرآن»، وهو الشاعر الذي أصدر ثلاثة دواوين شعرية طواها النسيان، ولم يعد يعرفها إلا القلة من القراء.

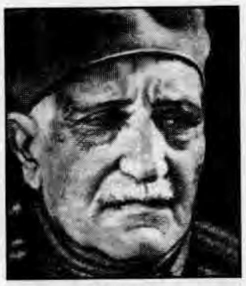
ولاأحسب أنها طبعت إلا مرة واحدة قبل ثمانين عامًا، وعندي منها نسخة، أتمنى لو أتيحت لي الفرصة لعرضها، فكل الذين كتبوا عن الرافعي لايذكرون شاعريته بشيء، ولايذكرون سائر إبداعه، وإنما يعرفونه من معاركه مع طه حسين والعقاد.

كنت أتمنى لو أن العطار عف عن الرافعي، ولم يتناوله من أطرافه، فلم يبق له شيئًا من خلق أو دين أوضمير، لقد مات الثلاثة وبقيت تجاوزاتهم وانفعالاتهم تسيء إلى محبيهم. لقد كان العقاد والرافعي علمين من أعلام الأدب، ورائدين من رواد الكلمة الناصعة والرأي السديد. وهما بشر مهما أوتيا من عقل وعلم وبعد نظر، فإن النقص يعتريهما من كل جانب (وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه).

وماذهب إليه العطار من أن العقاد أعظم من الرافعي اطلاعًا على لغة العرب وآدابهم وعلومهم، وأحذق منه فهما، لنا فيه قولان. العقاد أوسع ثقافة، وأعمق فكرًا، وأقدر على مواجهة خصوم الإسلام من غير العرب، أما في علوم العربية فالرافعي أحق من ذلك شئنا أم أبينا. وأسلوب الرافعي أميز من أسلوب العقاد، وأقوى التصاقا بأساليب العرب، والرافعي كاتب في الدرجة الأولى، والعقاد مفكر في الدرجة الأولى، ولكل واحد مجاله، ولكل واحد وجوه تألقه، ولايضيرهما أن يتفاضلا.

إن تحامل العطار على الرافعي لايطاق، ولايقبل بأي مقياس، فهو عنده جبان كذوب لئيم مرتزق، لقد تصدى العطار لمحمد سعيد العريان، الذي اعتبر خصام العقاد للرافعي نشأ مع طبع القصر لكتابه في الإعجاز، ومما لايحتمل إضفاء الصبغة الدينية على خصومة العقاد للرافعي. إنه عداء الأنداد للأنداد، وخصام التنافس على التألق ودوائر الأضواء.

وعلماء الجرح والتعديل أدركوا مثل هذه الخصومات، ومن ثم عدلوا عن قبول قدح الأنداد، فالنفس البشرية ضعيفة، والمنافسة قد



عباس العقاد



أحمد العطار

تتطور فتكون عداوة وبغضًا ودافعًا إلى الكذب والافتراء. ومن ثم فإنني لاأستطيع أن أضع هذه الخصومة في كفة الدين، ولاأستطيع أن أعالجها في ظل هذه المقاييس، فالعقاد خدم الإسلام، ونافح عنه، وأخرج للناس كتبًا في الدين والعقيدة، والعبقريات، والدفاع عن الإسلام، ورسول الإسلام، لايمكن تجاهلها، وهي بحجمها وأثرها تفوق ماأخرجه الرافعي.

والرافعي قضى شطرًا من حياته متصديًا لأعداء الإسلام، وخصومه، منافحًا عن لغة القرآن، واقفا في نحور المستغربين. ولم يبق للعقاد والرافعي إلا حسن النية وسلامة القصد.

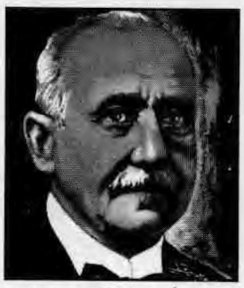
العقاد والعطار

لقد نافح العقاد عن الفكر الإسلامي، وتصدى لخصوم الإسلام، ونافح الرافعي عن القرآن، ولغته، ومجد الإسلام وحوزته، ولاقى في سبيل ذلك عناء وشدة، ولايمكن تجاهل دوره في خدمة الدين واللغة والحضارة الإسلامية.

وإذا كان العطار ينكر ذلك على الرافعي، فإن من أنصار الرافعي من ينكرون على العقاد، ماينكره أنصار العقاد على الرافعي. ولن نخلص من هذه الدوامة إلا بتغليب جانب الحق، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٨) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (الأعراف:٨٥). فالعدل وعدم البخس مطلبان إسلاميان حتى مع الأعداء، فكيف إذا كان أطراف القضية مسلمين كالعقاد والرافعي؟ نحن لانشك أن العقاد أخطأ على



مصطفى الرافعي



أحمد شوقي

الرافعي، وأن الرافعي أخطأ على العقاد، وأن أنصار كل منهما أخطؤوا على الطرف الآخر، ولن نصل إلى الحق، مادامت كل فئة تنتصر لنفسها بالحق وبالباطل.

ومع كل العنف والصلف يعود -رحمه الله- ليقول: «وإنه ليحزنني أن أقول في الرافعي كلمة الحق هذه، وهو أول أديب معاصر قرأت له، وأفدت من أدبه، ولكن الحق أكبر من حبي للرافعي وإعجابي به». وأين الحب، وأين الإعجاب بعد هذا الكلام المسف الذي لايحتمل من السوقة للسوقة فضلا عن احتماله من النخبة في حق النخبة؟.

لقد استغرقت حملة العطار على الرافعي زهاء ستين صفحة لم يكن موضوعيًا في شيء منها. وعند حديثه عن خصومة العقاد مع أحمد أمين بدت الموضوعية، وتجلى الهدوء، فللعقاد في خصوماته ثلاثة مستويات: العنف كما هو مع الرافعي، والهدوء كما هو مع أحمد أمين، والوسطية كما هو مع توفيق الحكيم. وخلافات العقاد مع أحمد أمين ليست جوهرية، أو قل ليست بين مذهب وآخر، إنها اختلاف في إطار مذهب واحد، فكلاهما يحترم العقل، ويعلي من شأنه، ويذعن له في كثير من الأمور، إن لم أقل كلها. أما خلاف العقاد مع الرافعي، فكان خلاف مذهب، وأدوات، وتصورات. العقاد يمثل الفكر الإسلامي، والرافعي يمثل العاطفة الدينية، والعقاد ينطلق من النص، والرافعي ينطلق ومعه النص. العقاد فهم الإسلام متفاعلاً مع الآخر، والرافعي فهمه نافيًا للآخر. ومن ثم كان الخلاف، وكانت العداوة، والبغضاء المذكاة بالتنافس والتناحر، وبأشياء أخرى ليس هذا مجال الحديث عنها. وإذ لم يكن خلاف العقاد مع أحمد أمين على هذه الشاكلة، جاء الحوار كما وصف العطار: «كان كل مابين العقاد وأحمد أمين نقداً أو حواراً رائعًا بين أخوين لاتطاحنًا بين عدوين».

وإذا كان العطار يحمد للعقاد رفقه وتلطفه مع الزهاوي، ويحمد للزهاوي هدوء نفسه وموضوعية حواره، فإننا نلوم العقاد على ذلك، فالزهاوي ينطوي على فكر منحرف، وكان الواجب أن يقف منه موقف الناقد المرشد، وليست المشكلة أن تكون للزهاوي ملكات ثلاث: شعرية وفلسفية وعلمية ادعاها الزهاوي كأقوى ماتكون، وأعطاها العقاد له متفاوتة متواضعة.

لقد كان الزهاوي، والرصافي ممن ضربا بسهم وافر في غياهب الشك والارتياب، وممن أثارا الرأي الإسلامي، وحملاه على التصدي لهما، وتعقب شطحاتهما، والعقاد حين يهادن الزهاوي، ويتلطف معه، ويقسو على الرافعي، ويعنف عليه، يعرض نفسه للمؤاخذة. ومباهاة العطار -رحمه الله- بهذا الأسلوب إغماض لايليق، ولكنه الحب. وكما قيل: «الحب يعمي ويصم».

لقد كان كتاب العطار عبارة عن استعراض مبسط لمعارك العقاد مع جماعات يمثلون مذاهب أدبية وفكرية، ومع أفراد يختلفون مع العقاد أو يرفضون صلفه وعنفه.

والعطار في كل ذلك ينتصر للعقاد، ويتصدى لخصومه، واذا كان العقاد جائراً في نظر العطار، أو كان جور العقاد مما لايمكن تسويغه، تلطف العطار، والتمس مخارج له. ففي حملة العقاد على شوقي جور لايطاق، شاء العطار أم أبى. وإذا لم يستطع العطار تسويغ جوره، يذهب إلى تخريجه، وفي ذلك يقول: «والشيء الذي يؤاخذ عليه العقاد لهجة النقد، لادوافعه، ولا حقيقته، والحق الذي لاينكره العقاد نفسه، بل يعترف به أن اللهجة كانت قاسية بالغة العنف».

وهو إذ يعترف بالعنف، يذهب لتسويغه، ويرى أنه من الطبيعي أن تكون المعارك حامية، ولابد للمعارك من ضحايا، ولكنه يعود ليقحم اختلاف الأخلاق بين شوقي والعقاد، كما هي بين الرافعي والعقاد. فشوقي والرافعي مرتزقان، والعقاد لايتسول بقلمه، وحديث العطار عن موقف العقاد من شعر شوقي تلخيص لما كتبه العقاد في «الديوان» و «خلاصة اليومية» و «ساعات بين الكتب» و «شعراء مصر وبيئاتهم».

وفعل مثل ذلك أو بعضه عند حديثه عن العقاد والشعراء والنقاد الجدد، ولكنه كعادته قسى عليهم، ووصفهم بأقذع الأوصاف وأسفها، فهم عند العطار: «بلا ضمائر لأن المذهب الذي يعتنقونه يبيح لهم، ويأمرهم باتخاذ كل سلاح في محاربة خصومهم».

ذلكم هو كتاب العطار -رحمه الله- عن أعز اصدقائه، وآثرهم عنده عباس محمود العقاد -رحمه الله-.

أحباس(١) عسكرية دفاعية واستخدام أهل غرناطة

النفط في صُنع قنابل ناريّة

بقلم: د. جاسم العبودي

لقد كانت السنوات الأخيرة من النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي عسيرة على أهل الأندلس، فلم يلقوا من إخوانهم إلا الصمت والخذلان، بعد أن علا نجم النصارى الماحق حيث بدأ يكتسح قلاعهم الواحدة تلو الأخرى، فلم يبق من الأندلس إلا ظل شريط تنهش عظامه فتن داخلية وتكالُب على السلطة، وتنخر أطرافه حروب طاحنة، مما دفع الناس أن يحصنوا ساحلهم الجنوبي، وبالذات مَرِيَّة بلش (حاليا TORRE DEL MAR) وبَلِّش - مالقة (والمعروفة اليوم VELEZ-MALAGA)، وتحصين حدودهما للدفاع عنهما، أو لرصد أي هجوم متوقع من قبل النصارى عليهما. فليس بغريب - بعد دراسة مستفيضة لجميع نوازل الجزء السابع - والمخصص جميعه للأحباس - من المعيار المعرب(٢) للونشريسي - المتوفى بفاس سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م - أن نجد أحباسا كثيرة في هذا القرن يحبسها أناس عاديون، بدلا من أن يتكفل بهذه المهمة بيت المال؛ ذات طابع عسكري دفاعي، أو أحباس أخرى تصادر لهذه المصلحة، من أمثال أحباس قراء القرآن على القبور، وأحباس المساكين، حيث نقلت «فوائد تلك الأحباس لحصن صالحة(٣) أمنها الله تعالى لكونه ضعيفا»(ص١٣٩).

وفي نازلة أخرى «رجل حبس موضعا ببلش على أن يبني أهل حصن صالحة برجا بموضع يقال له عين طحمة خارج الحصن للحراسة»(ص١٤٠)(٤).

وفي سؤال آخر لعله موجه لابن منظور(٥) (ت٨٨٨ هـ/١٤٨٣م) عن «رجل مقدم على أحباس دار الوضوء بربض بلش(٦)، وتألف بيده من فوائد الأحباس جملة دراهم، فوجه له عند وزير البلد وجماعته في هذه الأيام، وقالوا له تعطينا تلك الدراهم التي بيدك من الأحباس نعطيها لحصن صالحة، فامتنع من ذلك فتوعدوه وهددوه... فساق لهم منها ستمائة مثقال...»(ص١٨٤).

وفي بَلِّش نفسها حبس رجل معصرة لطحن الزيتون، عين منها الثلثين «للطلائع لحراسة المسلمين، ويكون ذلك حبسا مؤبدا»(ص١٤٠).

ومن الأحباس الكبيرة ماسئل عنه ابن منظور، «قرية كبيرة بحصن بَسْطَةَ(٧) (حالياً BAZA) حبِسَت على مصالح حصن قشتال(٨) (المعروف اليوم CASTRIL)، وعين ربع فائدتها لضعفاء الفرسان ببسطة... والأرض المذكورة بها قرار وجُبّ وأرض غامرة تفتقر لمن يعملها»(ص١٢٣ - ٤).

ومن الجدير بالإشارة أن مالقة وبلش قد سقطتا بأيدي النصارى في رمضان سنة ١٤٨٧م، دون أن يحرك أبو عبدالله الصغير - المعروف في المصادر الإسبانية بـ (BOADIL) - ساكنا، لأنه كان وفيا للاتفاقية السرية التي عقدها مع الملوك الكاثوليك!!. أما بسطة ووجوه أهلها يومئذ باسرة، فقد استسلمت في تشرين الثاني /نوفمبر عام ١٤٨٩م، بعد أن تجرعت خمسة أشهر هائلة مضنية من الحصار المرير(٩).

وفي نازلة على غاية من الأهمية، تكشف لنا المحاولات المستمرة لأهل غرناطة لاستخدام النفط في هدم الأسوار أو في صَنع قنابل نارية صاعقة. فقد سئل المَوّاق(١٠) (ت ٨٩٧هـ/١٤٩٢م) بما نصه «جوابكم المبارك في مسألة وهي: أن بعض أهل الدين والفضل، اقتضى نظرهم في عمل نفط برسم هدم سور الحَمَّة فتحها الله، هل يعطى في ثمنه والإجارة في عمله من الزكاة وسبل الخيرات وأنواع القربات، لعموم هذه المصلحة المباركة التي يجب أن تستنفد فيها العزائم إلى أقصى غاياتها وأبعد نهاياتها أم لا؟... وعلى أن النفط المذكور يبقى بعد ذلك حبساً مؤبداً، ووقفاً مخلداً بالمسجد الأعظم من غرناطة والسلام» (ص١٤٧-٨).

المصادر التاريخية ذكرت أن المحاولة الأولى - وإن لم تكن كذلك كما سنرى بعد قليل - لاستخدام النفط كانت في عهد أبي الوليد إسماعيل الأول (قتل في يوم الاثنين السادس والعشرين لشهر رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة) بشهادة ابن الخطيب بما نصه: «فتحرك (إسماعيل) في شهر رجب من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وأعمل القصد إلى بلاد العدو، ونازل حصن إشكر (يبعد حوالي ١١٠كم إلى الشمال الشرقي من غرناطة، وبالإسبانية Huescar)، الشجى المعترض في حلق بسطة، فأخذ بمخنقه، ونشر الحرب عليه، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق البرج من معقله، فاندفعت يتطاير شررها، واستقرت بين محصوريه، فعاثت عياث الصواعق السماوية، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأتوا بأيديهم، ونزلوا قسرا على حكمه في الرابع والعشرين من الشهر (١٣٢٤/٧/١٧م)...»(١١).

النفط
في صنع قنابل نارية صاعقة

في سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م ألقى أهل غرناطة القطران المغلي على جنود الفونسو الحادي عشر في جبل طارق، واستطاعوا إشعال النيران في المتاريس الخشبية الموجودة في قاعدة أبراجهم. وفي الحصار المشهور للربض الكبير المنسوب للبيازين (أحد أحياء غرناطة المعروفة حيث يحمل اليوم الاسم نفسه AL-BAICIN) سنة ١٤٨٦م، استخدموا الأنفاط إلى جانب المنجنيق.

إن المسألة السابقة في «عمل نفط برسم هدم سور الحَمَّة (اليوم ALHAMA)»(١٢) بمبادرة «بعض أهل الدين والفضل من أهل غرناطة، قد جرت - برأينا - بعد الهجوم القشتالي، والذي بدأ باحتلال الحَمَّة في التاسع والعشرين من آذار/مارس ١٤٨٢م.

إن هذه النازلة تعكس لنا مدى اعتماد أهل غرناطة على أنفسهم في الدفاع عما بقي لهم من أراض أو محاولات استردادها، بعد أن نفضوا أيديهم من سلاطينهم ومن إخوانهم في المشرق والمغرب. فالانشقاقات والصراعات على السلطة وصلت إلى أوجها بين أبي الحسن وابنه أبي عبدالله الصغير وعمه الزغل، مما مهد الطريق أمام فرناندو للقيام بهجومه واحتلال الحَمَّة. كما كان لسياسة فرناندو المنطوية على زرع الفرقة بين سلاطين بني نصر، الأثر الفعال في انحطاط الأوضاع، وبناء على ذلك فقد أطلق سراح أبي عبدالله الصغير من الأسر، مقابل اتفاقيات قرطبة السرية.

لذا فإن غرناطة كانت محاطة بالأعداء من كل صوب وحدب، وقد باءت بالفشل كل محاولاتها لطلب النجدة سنة ١٤٨٥م، فلم تلق من حلفائها في فاس وتلمسان، سوى التفضل بالسماح للمهاجرين والمبعدين من الأندلس في النزول في أراضيهم أو إجلاء بعض الأسارى من مالقة، ولم يعر سلطان مصر المملوكي قايتباي انتباها لصرخات ابن الأزرق لإنقاذ الإسلام في غرناطة المحتضرة(١٣).

ولعل المحاولة الأولى - برأينا - لاستخدام النفط كانت قبل منازلة إسماعيل الأول لحصن إشْكَر بخمس عشرة سنة، وذلك في سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، عندما حاصر خايمة الثاني المريّة(١٤)، كما يتضح من إجابة المواق على نازلة عمل نفط برسم هدم سور الحَمَّة، بما يلي: «هذا الذي انتدب إليه هؤلاء الفضلاء ليس بمبتدع، لما نزل البرشلون المرية، ونصب عليها برج عودين أيد ارتفاعه سور المدينة ست قامات، وقربه من سور المدينة، ودخل فيه خمسمائة من المدرعين فدهش منه المسلمون. فانتدب أهل المشورة ووعدوا ستة نفر من المسلمين، كل واحد منهم بألف ذهب من العين إن أحرقوه. فخرج النفر المذكورون وأطلقوا النار فيه فاحترق بجميع من كان فيه. فسر المسلمون بذلك ورجع النفر الستة. وقال المسلمون: الذي وعدناكم به قليل في حقكم، ونحن نوزع ما وعدناكم به على الناس. ولاشك أن هؤلاء الفضلاء الذين ينتدبون لعمل هذا النفط برسم هدم سور الحمة أعظم منفعة، وأعود مكرمة، هؤلاء لمصلحة بلد، وهؤلاء لمصلحة الأندلس، والتوزيع على المسلمين كلهم في هذا أولى وأوجب من صرف الزكاة فيه، وأحباس سبل الخيرات وأنواع القربات»(ص١٤٨).

إن سياسة (الكرّ والفرّ) التي اتبعها المسلمون في المعارك منذ الفتح الإسلامي، سرعان ماتعلمها النصارى فأطلقوا عليها اسم (Torna Futy). فقد سُئِل المَوَّاق (ت ٨٩٧هـ/١٤٩٢م) عن «أهل قرية دخل النصارى قريتهم وخربوها وخلت القرية، وبقي جامعها قائم البناء، وصومعة المسجد كذلك، وللمسجد حبس كثير تألف منه حظ له قدر والجامع غني عنه. فأراد أهل القرية بناء قامرة على الصومعة المذكورة، تكون إغاثة لأهل بَلَّش، وأهل الرحى، والنوتية الهابطين إلى البحر، وفيها خير كثير للناس. فهل يسوغ لهم هذا؟، أو يكون بناء هذه القامرة من أحباس هذا المسجد (العائد) عليه وعلى إصلاح قرية ملتماس (حاليا BENTOMIZ)(١٥) (كذا)؟» ص١٤٨ - ٩. ويستدل من هذا السؤال على مايلي:

١- يعكس مبادرة المسلمين الذاتية إلى تحويل صومعة الجامع إلى قامرة تكون بمثابة برج مراقبة، بعد تخريب أسطول النصارى لهذه القرية وعجز حكام غرناطة عن الدفاع عنها. وتشكل هذه القامرة، إلى جانب البرج والطليعة والرابطة والحصون(١٦)، جزءاً من تنظيم (استراتيجية) الخطوط الدفاعية التي أنشأها المسلمون منذ عصر الأمويين وتطورت كثيرا في العهد النصري، ولاتنحصر مهمتها في الدفاع عن المدن والسواحل وإيواء الأهالي عند مهاجمتهم، وإنما أيضاً مراقبتها والإنذار المبكر من أي هجوم متوقع ورصد تحركات أساطيل النصارى. حيث يعود لها الفضل في صمود مملكة غرناطة أكثر من قرنين ونصف القرن أمام التحديات النصرانية، وتأمين سلامة الطرق والمسافرين فيها.

٢- لم يكن هدف هجوم أسطول النصارى تخريب هذه القرية فحسب، وإنما بالدرجة الأولى لمحاصرة بلش - مالقة بغية التضييق على أهل غرناطة، عن طريق قطع أهم منافذها البحرية المتبقية والحيلولة دون أي إمدادات بحرية لها. بدليل قوله «فأراد أهل القرية بناء قامرة على الصومعة المذكورة تكون إغاثة لأهل بلش، وأهل الرحى، والنوتية الهابطين إلى البحر».

٣- إن هذه القرية - بدون شك - هي ماتعرف في المصادر الأندلسية بمرية بلش (حاليا TORRE DEL MAR)(١٧) وتقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، حيث تعتبر المنفذ البحري الوحيد المتبقي لغرناطة آنذاك، وبوابة طريق (استراتيجية) مهمة تفضي نهايتها إلى غرناطة. وتليها مباشرة بلش - مالقة بحوالي ٧ كم إلى الشمال منها، ثم الحمة وأخيرا غرناطة.

٤- إن تخريب مرية بلش وقرية ملتماس الذي تم عن طريق البحر، وقع على الأرجح قبل سقوط بلش - مالقة بأيدي النصارى في رمضان ١٤٨٧م، ولم تستوطنا بعد ذلك. ولكن سرعان ماتوارى ربيع بلش - مالقة، فقد هجم الخرابُ على مسجدها، قلبها ورمز الحياة فيها، بعد أن كانت تتمتع بحياة اقتصادية زاهرة، «فقد تهدم حائط قبلته واحتاج إلى البناء ولم يكن له في حبسه مايقوم بإصلاحه من أنقاض جامع «قرية مجاورة خالية، تعطل جامعها من إقامة الصلوات فيه وقد تداعى للسقوط»(ص١٤٣).

وتتوالى الأحداث سراعاً، فقد سقطت بسطة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٤٨٩م، وبعد سقوطها، سلّم الزغل وادي آش والمرية في ١٤٨٩م، وبعد أشهر قلائل تفضل عليه النصارى بالهجرة إلى وهران مع أتباعه. وفي نهاية ١٤٩١م أقامت الملكة إزابيلا بُلَيْدَة محصنة لمحاصرة غرناطة، حتى أضحى أهلها فريسة للجوع. وفي نهاية آب/ أغسطس ١٤٩١م أجرى أبو عبدالله الصغير مفاوضات سرية مع الملوك الكاثوليك حول الاستسلام، وفي الثاني من كانون الثاني/يناير ١٤٩٢م سلم مفاتيح غرناطة

للأبد، وخرج منها مع عائلته متخفياً من أهلها، وعلى أبوابها شارك في احتفالات النصر المقامة لملوك الكاثوليك. وقد «أمر(١٨) بانتقال سلطان غرناطة إلى قرية أندرش، فارتحل أبوعبدالله بعياله وحشمه، وأقام ينتظر بمليلة من ريف المغرب، ثم ارتحل إلى مدينة فاس، ومازال أعقابه بها إلى الآن من جملة الضعفاء السؤال، بعد المُلك العريض، فسبحان المعز المذل».

الهوامش:

(١) رجحنا استخدام «حبْس» على «وقف»، لأنها هي التي كانت شائعة الاستخدام في الأندلس والمغرب، لدرجة أنها انتقلت إلى اللغة الإسبانية بنفس الصيغة تقريباً.

(٢) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، الرباط، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، في ١٣ جزءاً.

(٣) ورد ذكره في المصادر الأندلسية وفي الوثائق الإسبانية فيما بعد بصيغ مختلفة، ويُعتقد أنه اندثر بعد سقوط غرناطة بوقت قليل. ينظر:
TERES, E. MATERIALES, PP. 209-211; AL-IDRISI, LOS CAMINOS DE AL-ANDALUS, PP. 268-9.

(٤) ابتغاءً للاختصار درجنا على كتابة أرقام صفحات النصوص المستشهد بها بعدها مباشرة في البحث، وهي تمثل صفحات المعيار المعرب للونشريسي، الجزء السابع، الرباط، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٥) كان قاضي الجماعة بغرناطة سنة ٨٦٤هـ. ينظر: البلوي.

(٦) بلش وردت كثيرا في المصادر الأندلسية، وتنطبق على أكثر من مكان. ولكن المراد بها هنا هو ماتعرف اليوم كما قلنا سابقا بلش - مالقة، والتي تبعد ٣٠كم إلى الشرق من مالقة و٤كم عن ساحل البحر الأبيض المتوسط.

(٧) تقع بسطة اليوم في محافظة غرناطة، وتبعد ٤٨كم إلى الشمال الشرقي من وادي آش. وقد كانت في العصر الإسلامي مدينة زاهرة، ذات حصون وقلاع، انظر: مسالك الأندلس للإدريسي، بتحقيقنا.

(٨) قشتال اليوم قرية صغيرة مغمورة تقع في محافظة غرناطة، وتبعد عن بسطة ٤٠كم تقريباً إلى الشمال منها.

(٩) انظر تفصيلا لذلك في:
ARIE, R., L ESPAONE MUSULMANE AU TEMPS DES NASRIDES (1232-1492) PARIS, 1979, PP. 159-171; LADERO QUESADA, M.A., MILICIA Y ECONOMIA EN LA OUERRA DE ORANADA. EL CERCO DE BAZA, VALLADOLID, 1964.

(١٠) محمد بن يوسف العبدري، المعروف بالمَوّاق. حسب الضوء اللامع، ولي قضاء غربي مالقة ثم قضاء مالقة ثم قضاء الجماعة بغرناطة، وبعد هجرته منها ولي قضاء القدس.

(١١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة ١٣٩٣-١٩٧٣: ١/٣٩٠.

(١٢) الحمة أو الحامة معناها بالعربية حمامات المياه المعدنية، حيث كانت تطلق على مواضع كثيرة، مما أدى إلى انتقالها بالصيغة نفسها إلى اللغة الإسبانية.

(١٣) انظر تحليلا لبعض هذه الحوادث في تاريخ إسبانيا الإسلامية للباحثة الفرنسية راكيل آريه: ARIE, R., ESPANA MUSULMANA, PP. 42-44.

(١٤) الباحثة الفرنسية راكيل آريه (المصدر السابق، ص ١٤٦) ذكرت حادثة حصار المرية نقلا عن ابن خلدون وابن القاضي، ولم تلتفت إلى إجابة المَوّاق هنا.

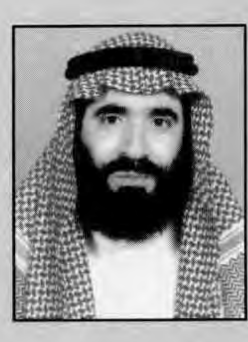
(١٥) المصادر الأندلسية ذكرت عدة حصون باسم (مُنْت ميور)، التي تعني بالإسبانية الجبل الكبير.

(١٦) انتقلت هذه المصطلحات إلى اللغة الإسبانية، حيث خلفت أسماء أماكن كثيرة ما تزال اليوم قائمة .

(١٧) AL-IDRISI, LOS CAMINOS DE AL-ANDALUS, P.268.

(١٨) المقّري، أزهار الرياض: ١/٦٧.

سابقة وسوابق



د. صالح بن سليمان الوهيبي

يتحدث اللغويون عن تغير الدلالة، أو طروء دلالة جديدة على اللفظ، قد تؤدي إلى تحميله معنى إيجابيا أو سلبيا، لم يكن له من قبل. وسوف نشير إلى بعض الكلمات التي تغيرت دلالتها، أو اكتسبت دلالات جديدة محايدة أو إيجابية أو سلبية.

١- من تلك الألفاظ: لفظة (سابقة) التي صارت تدل على ارتكاب جرم أو مخالفة في وقت ماض؛ فيقال: هل لفلان سابقة؟ أو هل هو من أهل السوابق؟ أي ممن اتُّهم بجُرْم أو أُدين به. وقد كانت هذه اللفظة تتضمن مدحًا في الماضي، إذ يرد في كتب السير والتاريخ أن لفلان سابقة في الإسلام أو الهجرة. وقال في اللسان (مادة سبق): يقال: له سابِقَةٌ في هذا الأمر، إذ سَبَقَ الناس إليه، وقال: السَّبْقُ والسابقة: القُدْمَة».

٢- ومن تلك الألفاظ أيضا (هلك) التي صارت عند الناس دالة على ذم، فلو قيل لشخص: هلك أبوك (بدلا من مات أو تُوفِّي) لعدّ ذاك إساءة. هذا، بينا نجد الله تعالى يقول عن يوسف عليه السلام: ﴿حتَّى إذَا هَلَكَ قُلْتُم لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِه رَسُولاً﴾ (غافر: ٣٤) ويقول تعالى: ﴿إنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْس لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء:١٧٦). ولاشك أن الدلالة في الموطنين غير سلبية، فهلك هنا معناها تُوفي أو مات.

٣- ومن تلك الألفاظ (الاستعمار) التي تعني في الأصل عمارة الأرض كما في قوله تعالى على لسان النبي صالح عليه السلام مخاطبا قومه ثمود: ﴿.. قالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إلَه غَيْرُه، هُوَ أنْشَأكُم مِنَ الأرْضِ واسْتَعْمَرَكُم فيْها﴾ (هود: ٦١). وقد تغير معناها حتى عدها بعض اللغويين من الأضداد المُحدَثة، وغلب اللفظ المكتسب أخيرا على المعنى القديم للَفظة، فصارت من الكلمات ذات الدلالة السلبية البينة.

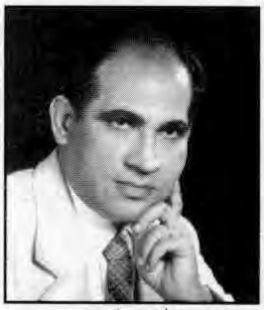
٤- ومن تلك الألفاظ (الشيخ) التي اكتسبت دلالات إيجابية منذ زمن بعيد. فأصل اللفظة يدل على الكبر؛ إذ الشيخ هو كبير السن، كقوله تعالى: ﴿وأبونا شَيْخٌ كَبيْر﴾ (القصص:٢٣). ثم صار ذا دلالات إيجابية منها: رئيس المجموعة (كالقبيلة أو الفخذ أو العشيرة)، والأستاذ (المعلّم)، والعالم، وطالب العلم، وكثر استعمال اللفظة في معانيها الثلاثة الأخيرة حتى صارت لفظة (الشيخ) تطلق على العالم ولو كان شابا في رَيْعان الشباب! وأصبحت اللفظة محملة بمعاني التقدير والاحترام.

٥- ومما يلاحظ أن الناس يميلون أحيانًا إلى استعمال لفظ أجنبي بدل العربي ظانين خطأ أن اللفظ الأجنبي «أفخم! أو أدق دلالة! أو أوقع في النفوس!». من ذلك استعمال لفظة (بروفسور) بدلا من (أستاذ)، وكلتاهما في الدلالة على ذلك المعنى سواء، بل اللفظ العربي أولى بالاتباع.

وهذا اللفظ الأخير يجرنا إلى ذكر تعالُم بعض الكُتاب والنقاد الذين يرغبون عن مصطلحات سائدة إلى مصطلحات جديدة رنانة لا لأغراض علمية، ولكن لأغراض أخرى. وسوف نشير إلى هذه الظاهرة في «آفاق لغوية» قادمة بعون الله.

والله أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة



د. طه وادي

لستُ أزعم أني أقدم بحثًا عن قضايا القصة القصيرة المعاصرة في مصر، بقدر ماهي محاولة للبحث عن رؤية خاصة لهذا الفن المزدهر في أدبنا العربي من خلال تجربتي الذاتية، بحكم كوني واحداً من الأدباء النقاد، الذين لهم قدر من الإسهام في كلا المجالين. ومثلما أؤكد أن هذه ليست سوى محاولة، أعترف بأن الأديب ليس -بالضرورة- أفضل من يتحدث عن تجربته.

في البدء كان الأدب

علاقتي بفنون القص: استماعاً وقراءة وكتابة بدأت منذ فترة مبكرة من حياتي. ولاأود أن أكرر -هنا- بعض التفاصيل التي سبق أن ذكرتها في أثناء الحديث عن سيرتي الذاتية (الليالي ١٩٩٠م)، لكني أريد أن أشير إلى أنني عندما كنت في السنة الأولى الثانوية(١٩٥٣م) - كنت قد تجاوزت الخامسة عشرة بقليل- بدأت أكتب بعض المحاولات القصصية. وفي نهاية هذه السنة ذاتها كتبت ست روايات طويلة، وطلبت من أسرتي أن تساعدني كي أذهب إلى القاهرة. لعرضها على بعض منتجي السينما.. (بالطبع كنت آمل أن أكون المؤلف والممثل أيضا لكل منها). وفي نهاية المرحلة الثانوية انتهيتُ من كتابة أول مجموعة قصصية لي. وفي الجامعة كتبت بعض المحاولات الروائية والقصصية، وشاركت ببعضها في الجمعية الأدبية في الكلية التي يشرف عليها بعض طلاب قسم اللغة العربية، الذي أدرس فيه. وقد ضاع كثير من هذه المحاولات، كما ضاع كثير من أحلام الصبا والشباب! وأتذكر -أيضاً- أنني يوم قدمتُ رسالة الماجستير لأستاذتي د. سهير القلماوي قدمت معها مخطوطة رواية. وبالطبع كنت آمل أن تساعدني على النشر، لكنها لم تعرض المساعدة، وبالتالي خجلت أن أطلب منها ذلك. وهكذا استمرت صلتي بفنون القص: قراءة وكتابة، لكني رغم كثرة محاولاتي لم أكن حريصاً على النشر لأني لم أكن أعرف سُبله ووسائله، بحكم كوني من إقليم بعيد نسبياً عن القاهرة هو المنصورة. وهكذا ظلت علاقتي بالقصة مستمرة، لاتكاد تنقطع طوال الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٧٣م. أي إلى ما بعد حصولي على الدكتوراه. وقد شكل العمل في الجامعة عبئاً آخر، حال دون الحرص على النشر. وآثرت أن أعطي العمل الأكاديمي -في تلك المرحلة- جهودي واهتمامي كافة.

أردت من خلال هذا التمهيد السريع أن أحدد موقعي التاريخي بين كتاب القصة في مصر. ذلك أني واحد من كتاب "جيل الستينيات" -رغم أن أول قصة نشرت لي كانت سنة ١٩٧٣ (في مجلة "روز اليوسف" - العدد ٢٣٤٧ في ٥ حزيران/ يونيو ١٩٧٣م)(١).

وقد توالى إنتاجي القصصي والروائي منذ سنة ١٩٧٦م. ولم يتوقف حتى اليوم: كتابة ونشراً. وقد كتبت خلال هذه المرحلة خمس مجموعات قصصية، وروايتين، والجزء الأول من سيرتي الذاتية. وسوف يكون الحديث في هذه الورقة مقتصراً على تجربتي في مجال "القصة القصيرة". لكني بحكم مشاركتي الأدبية في القصة والرواية أود أن أذكر حقيقة -أرجو ألا تكون صادمة، أو على الأقل مفاجئة لمن يعيها أول مرة- وهي أنه منذ جيل الستينيات، قد ظهر عندنا جيل جديد في مجال الرواية، يختلف كثيراً في رؤاه وبنائه الفني عن نجيب محفوظ. أي إن هذا الجيل قد تجاوز "الشكل المحفوظي"، وبقدر ما تأثر بهذا الكاتب العظيم، فإنه قد أعطى نفسه الحق في أن يجدد في أطر البناء وعناصر التشكيل. إنني وأبناء جيلي قد استفدنا كثيراً من قواعد اللعبة الروائية كما قدمتها عبقرية نجيب محفوظ الخصبة. ولكن هذا الجيل بقدر ماتأثر بمحفوظ، فقد أثر فيه بشكل أو بآخر، لاسيما بعد مرحلة "الواقعية الفلسفية"، التي بدأت برواية "أولاد حارتنا" سنة ١٩٥٩م. وماتلاها بعد ذلك من أعمال مثل: اللص والكلاب، الشحاذ، ثرثرة فوق النيل، ميرامار. وسوف يبدو تأثر محفوظ بحركة جيلنا -بشكل واع، أو غيرواع- فيما سوف يظهر له من أعمال بعد ذلك . هذه حقيقة مؤكدة. ولكن الحديث الآن ليس عن الرواية، لذلك نثبت هذه القضية، وقد نعود إليها في مناسبة تالية.

ثم سيطرت "الطريقة الإدريسية" في مجال القصة القصيرة في الستينيات وماقبلها. فقد استطاع إدريس أن ينقل بناء القصة نقلة كبيرة على مستوى البناء الفني والرؤية، حيث تحقق لها على يديه معنى "القصَر" بالمفهوم الفني، حيث صارت تركز على لحظة خاطفة في حياة إنسان بسيط، وتفجر منها دلالات عميقة، أي إن أهم ماميز تجربة إدريس هو الحساسية العالية الدرجة باللحظة الإنسانية المقتنصة، لتكون محوراً لبناء القصة. وإذا كانت تحكم روايات محفوظ رؤية سوداوية متشائمة للواقع، فإن إدريس كان يصدر في قصصه عن رؤية أكثر تفاؤلا للواقع، وأقوى إيماناً بإنسانية البشر.

ونستطيع أن نلخص تجربة إدريس في أنه قد

تمكن من أن يُخلِّصَ بناء القصة من الثرثرة والحشو، كما برع في اختيار اللحظات التي تعبر عن موقف حياة إنسان بسيط، لم يفقد أمله في الحياة رغم شقائه بها. ومن ثم فإن القصة عنده لدغة عقرب، موجعة ومؤثرة، وذات علاقة وثيقة بحياة كثير من الشخصيات المسحوقة في المجتمع، والتي لم يستطع الفقر المادي والقهر الاجتماعي أن يمحو مافيها من بُعد إنساني.

ولكن إدريس -رغم كل هذه الجوانب الإيجابية- لم يهتم كثيراً بتطوير عناصر البناء، أو لغة القصة. وهذا ماحاوله- ونجح فيه إلى حد ما- الجيل التالي له الذي أنتمي إليه.

وغاية ماأود التأكيد عليه هو أن الجيل التالي لإدريس قد تأثر به، لكنه أيضاً ثار على النموذج الذي قدمه، وحاول أن يطوره بدرجة فنية أعمق وأكثر شمولا.

حصادُ العذاب.. الرؤيةُ

وقد نشر لي حتى الآن الأعمال التالية:

أ- في مجال السيرة الذاتية:

صدر الجزء الأول منها، وعنوانه "الليالي". وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٠م، والثانية سنة ١٩٩١م عن "مكتبة مصر" بالفجالة، القاهرة، التي تصدر عنها -الآن- كل أعمالي.

ب- في مجال الرواية:

صدرت روايتان هما: الأفق البعيد (١٩٨٤-١٩٩١م)، الممكن والمستحيل (١٩٨٧-١٩٩١م). وهناك رواية ثالثة تحت الطبع هي "الكهف السحري".

جـ - في مجال القصة القصيرة:

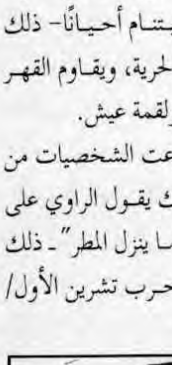
صدرت خمس مجموعات هي: عمار يامصر (١٩٨٠-١٩٩١م)، الدموع لاتمسح الأحزان (١٩٨٢-١٩٩١م)، حكاية النيل والطريق (١٩٨٥-١٩٩١-١٩٩٢م)، دائرة اللهب (١٩٩٠-١٩٩١م)، العشق والعطش (١٩٩٣م).

وهذه المجموعات تشتمل على خمس وخمسين قصة، وهي تختلف من حيث الحجم بحسب طبيعة الموقف المعبَّر عنه، وسوف يلحظ من يمعن النظر أن أطول هذه القصص يوجد في مجموعة "عمار يامصر" وهي قصة "فندق العالم الجديد"، التي تقع في إحدى وأربعين صفحة، وأقصر القصص يوجد في مجموعة "الدموع لاتمسح الأحزان" وهي قصة "تغريبة ولد اسمه كرم" التي تقع في خمس صفحات. بيد أن أغلب القصص -في هذه المجموعات -يتراوح حجمها بين عشر وعشرين صفحة تقريبًا. وهذا المقياس الكمي معيار تحكمي، قد يشي باتساق عمل المخيلة في حالة الإبداع. إن الأدب لايعرف "سرير بروست" وبالتالي فليس هناك مقياس تحكمي، يفرض نفسه بشكل طاغ على مساحة التجربة الأدبية، لأن كل عمل إبداعي رهين بظروف خاصة معقدة جدًا. واتساق الحجم قد يوحي بأن الأديب على وعي بمبادئ الفن وقواعد القص، إذ ليس هناك فن بلا قانون إلا فن المجانين!

وهذا المعيارالكمي مهم جدًا بالنسبة لتحقق فنية القصة القصيرة المعاصرة، لأنه مضى حينٌ من الزمان كان كتاب القصة القصيرة يقدمونها على أساس أنها رواية مختصرة، أو يزيدون في حجمها دون وعي بالضوابط الفنية، لدرجة أن بعض النقاد يحددون حجمها بالكلمة، ويشترط بعضهم الآخر أن تُقرأ في جلسة واحدة (٢).

وهذه القصص تصدر عن رؤية واقعية متنوعة الدرجة، متفاوتة الملمح، لكنهاجميعًا تتفق في أنها تعبير عن رؤيا الإنسان البسيط - في القرية والمدينة في مصر والعالم العربي، بل قد تتجاوز ذلك إلى الشرق الأقصى في الصين والفلبين وفيتنام أحيانًا- ذلك الإنسان، الذي يحلم بالعدل والحرية، ويقاوم القهر والفقر، ويبحث عن لحظة عشق ولقمة عيش.

وفي كثير من قصصي تصارعت الشخصيات من أجل الحرية بمعناها الشامل، لذلك يقول الراوي على لسان عنترة - بطل قصة "عندما ينزل المطر" - ذلك العامل الفقير، الذي شارك في حرب تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣م:


نجيب محفوظ

«وحين عاد وجد شيخ البلد قد خطب حبيبته فايزة لابنه دون رضاها، فأصر على أن يحارب مرة ثانية، ولسان حاله يرى أن "الحب والحرب وجهان لعملة واحده هي الحرية. إذا كنت تحب فحارب من أجل حبك، وإذا كنت تحارب فأحب ماتدافع عنه"(٣).

ورغبة في أن يتحولَ الحلم إلى فعل ذكرت في إهداء المجموعة الثالثة: "إلى الأشقاء الغرباء.. أملاً في لقاء .. يفجر صمت الأشياء".

إن الواقع في كثير من قصصي يتحول إلى صخرة عاتية يحركها أعداء الحياة وسارقو الأمل وخفافيش الظلام، وهذا الواقع قد يدفع بالشخصيات إلى الجنون والعبث، أو الاغتراب والاكتئاب، أو التحدي والمواجهة، لأنها تؤمن مثل نورة بطلة قصة "حكاية الليل والطريق"، أن "من يضع حبلا في رقبته فسوف يجد ألفاً يجرونه"(٤).

والمجموعات الثلاث الأول (عمار يامصر، الدموع لاتمسح الأحزان، حكاية الليل والطريق)، يغلفها قبسٌ من الإيمان النبيل بقدرة الإنسان/ بطل القصص على الحركة الإيجابية والتفاؤل المشرق رغم قسوة الواقع وعدوانية البشر.

ولكن الرؤية تزداد قتوماً، والقدرة على المواجهة تتحول إلى عجز وعبث في المجموعة الرابعة. وإذا كان الإنسان عند "كافكا" يتحول إلى كلب، فإنه في بعض قصص هذه المجموعة يصبح "صرصارًا" .. "تخيل ذلك الإنسان، الذي يتحرك طوال النهار في المدرسة، وقد أمسى صرصارًا. لم ترعجه الوساوس، فليستْ تلك هي المرة الأولى التي يحس فيها بالأرق والقلق والكبت. تحولت كل الأمنيات الطيبة إلى وهم وعبث. طفق يتأمل صورة النجمة الجميلة. أحلام عبثية وحب من ورق. هذا الكون موبوء.. موبوء.. ليس هناك أمل.. أي أمل.، كأنما أصابه السرطان.. أو الإيدز، حتى أمراض العصر أصبحت أمراضاً خرافية، لم يُسمع بها من قبل».

وفي المجموعة الخامسة تصبح الحقائق البسيطة أكثر إثارة للدهشة، وعلى هذا تكون الواقعية فيها أقرب إلى مايمكن تسميته بالواقعية البدائية أو السحرية، التي تقدم الموقف القصصي في صورة قريبة جدًا مما هي عليه في الحياة. دون تحلية أو زينة أو تجميل، حيث نرى لوحات قصصية تشدنا إلى عالم بكر، تحركه دوافع فطرية بسيطة دون حياء أو خجل. وهذه الطراوة الجديدة في التصوير، قد لاتخلو من

دلالات رمزية مكثفة. إن تلك المجموعة تعزف بآلة حادة على أوتار من حرير، وهنا موطن الخصوبة ومكمن الرمز، حيث تتشكل البنية القصصية على قدر من التقابل والسخرية والمشترك اللفظي والتجانس الصوتي، وهذا ماتثيره منذ الوهلة الأولى عناوين القصص. من هنا يُسمى يوم الفرح ليلةَ المأتم في قصة "أبُّوح ياأبُّوح".

ويعاني البشر في هذه المجموعة من الرغبة والعجز في آن واحد، إذْ يملكون الرغبة، ويفقدون القدرة: "العجز في بعض المواقف أمر مقدور عليه. لكن هذا الصنف من العجز.. صعب.. قاسٍ .. مدمر.. إنه عجز يجعلك أضعف من برغوث وأعجز من نملة..!!(٥).

ورغم قسوة العالم، وانداح المعالم في قصص المجموعة إلا أن الشرفاء مازالوا يؤمنون بأن "هناك أمورًا، لاتباع.. ولاتشترى.. ولاتعوض !!" (٦).

الظواهر الفنية

أ – لعل أهم القضايا التي تثيرها القصة القصيرة المعاصرة، هي قضية الظواهر الفنية، التي تشكل عناصر بنيتها النوعية، وهذه الظواهر الفنية الجديدة، التي تميز القصة لدى معظم كتابنا المعاصرين يمكن إجمالها في قضية كبرى واحدة، هي: البُعد عن "الشكل التقليدي"، الذي كان يميز القصة في مراحل أدبية سابقة. إن كثيراً من رواد القصة في مصر، قد تأثروا بالشكل الأوربي، وتمسكوا بما يسمى "الحبكة الموباسانية"، التي تلتزم أن يكون لكل قصة مقدمة تمهيدية، ووسط تتعقد فيه الأحداث وتتصارع الشخصيات، ثم خاتمة مضيئة، تحدد مصير الشخصيات، وتضع نهاية مفهومة للحدث، لذلك تقترن النهاية بما يسمى "لحظة التنوير Moment of Illumination"، وهي "النقطة التي تتجمع فيها وتنتهي إليها خيوط الحدث كلها، فيكتسب الحدث معناه المحدد الذي يريد الكاتب الإبانة عنه" (٧).

وقد ثار معظم كتاب القصة المعاصرة على هذا الشكل التقليدي الوافد، المتأثر بالقصة الفرنسية والروسية إلى حد كبير، وأصبحوا يميلون إلى التفتيت المقصود لمراحل تطور الحدث، وعدم الحرص على تنسيق عناصره. وهذا التفتيت Atomization المقصود للحدث القصصي، يواكب استبدال الزمان النفسي الدائري بالزمان التاريخي التقليدي.

ب – الراوي .. والمنظُور:

الراوي، هو الذي ينوب عن الروائي (أو القاص) في رواية أو سرْد أحداث النص. ووجود علاقة على مستوى الاشتقاق اللغوي بين هذه المفردات: روى – رواية – راو – روائي، يؤكد العلاقة القوية بين هذه الكلمات أو المصطلحات القصصية. وقد ظهرت شخصية الراوي في فنون القص منذ النشأة، ومع أن الراوي يبدو مختفيًا وراء مايروي، فإنه يمثل شخصية (اعتبارية) مهمة، لأن هناك علاقة للراوي "بما يروي.. وبمن يروي.. وبما يستخدمه من تقنيات تساعده على تحقيق روايته، أي على إقامة تركيب لغويّ فني" (٨).

والراوي.. هو الذي يشكل العمل القصصي تشكيلاً فنيًا مقبولاً.. أو غير مقبول، كما هو أنه هو الذي يحدد المنظور، أو وجهة النظر التي يريد الروائي طرحها من خلال النص، لأن "المادة القصصية لاتقدم مجردة أو في صورة موضوعية تقريرية، إنما تخضع لتنظيم خاص، منبثق من المنظور، الذي تُرى من خلاله"(٩).

ومعنى هذا أن الراوي هو الذي يحدد أسلوب تقديم المادة القصصية وطريقة صياغتها.. وبالتالي فإنه قد يشكل معيارًا لنجاح العمل القصصي أو فشله.

والقصة المعاصرة في مصر توظف كثيرًا شخصية الراوي، العارف بكل شيء في الغالب، والذي يروي الأحداث بضمير الغائب (هو)، الذي يعد أنسب الضمائر لغويًا للتعبير عن مواقف القص والحكي. والتغير الذي طرأ عندي- وعند كثير من الكتاب المعاصرين في توظيف هذه الشخصية- هو تقديمها بطريقة غير مباشرة لاتشي بوجودها، ولاتجعل القارئ يشك -لحظة- في أنه موجود، يعلق على مايقص. لقد كان الراوي فيما قبل يظهر بصورة مباشرة،



د. يوسف إدريس

ويؤكد في بعض أجزاء العمل أنه يعرف أكثر مما تعرفه الشخصية التي يصورها، بل قد يتطوع -أحياناً- ليحذر الشخصية من عاقبة عمل تنوي فعله. ولكن الراوي في معظم القصص المعاصرة لايبرز صوته، ولايحاول أن يُظهر أنه يعرف أكثر مما تعرفه الشخصية، ومعنى هذا أن رؤية الراوي، ومعرفة الشخصية متقاربتان -إلى حد كبير- رغم أنه قد يرى بعين الشخصية، ويقص ماحدث لها.

وخفوتُ صوت الراوي -في القصة المعاصرة- يدل على قدر من الفنية والديمقراطية في آن واحد؛ لأن معنى ذلك أن الراوي يترك موقعه لشخصيات عالمه القصصي، لتعبر عن نفسها في حدود الإدراك والوعي المنوطين بها.

إن هناك محاولات فنية كثيرة، تُبذل لربط القص المعاصر ببعض أشكال القص الفصيح القديم، وببعض عناصر الحكاية الشعبية. إنها محاولة جادة للتأصيل، تأصيل أسلوب القص، بحيث يجمع سمات الجديد والقديم في وحدة فنية متآلفة، توحد بين القديم الموروث والجديد الوافد. وهذا موجود على سبيل المثال في قصة: "الخفير والراعي الفقير"، في مجموعة "حكاية الليل والطريق"، وقصة: "البالونه" في مجموعة "الدموع لاتمسح الأحزان".. وقصة: "القمر والقدر" في مجموعة "العشق والعطش".

وفي إحدى القصص -التي تمزج بين أسلوب القصة والسيرة الشعبية- نجد صوت الراوي ووظيفته منذ البداية: "يقول الراوي المفلوق فؤاده من فعل الأنذال، ومن تغيّر الأحوال: ياسادة ياكرام، صلوا على المصطفى خير الأنام. أروي لكم مواقف مجهولة من حياة راعي الأغنام الطيب صالح أبو عيسى.. الشهير بصالح أبو زعبوطين، وصالح هذا ياسادة قد يكون أخي أو أخاك.. وقد يكون أنا أو أنت، فسبحان علام الغيوب، ومفرج الكروب" (١٠).

فالراوي هنا يفصح عنه أسلوب القصة بشكل واضح. كما أنه يستخدم بعض اللوازم الفنية التي كان يوظفها راوي الحكاية الشعبية، مثل: الصلاة على النبي، ذكر الهدف من الحكاية قبل أن تُحكى، التعليق على بعض أجزاء الحدث، التزام السجع، المزاوجة بين النثر والشعر، التأثر بالموروث الديني. وهذا كله

متحقق في القصص التي أشرت إليها سابقاً.

وعلى هذا فإن تطوير شخصية الراوي - باعتباره عنصراً بنائيًا مـهمًا من عناصر بناء القصة المعاصرة- يعـد أحـد الـظواهر الجـديدة، التي طرأت على بنيـة السـرد القـصصي، وقـد ذكـرت أن هذا التطوير قـد يكون بالانكماش وإخفاء دوره تمامًا، أو بالتضخيم وإبراز دوره بشكل مباشر ومقصود.

جـ- التناص (Texuality) :

كـان بعض كـتـاب القـصــة يرون أن لغـة الفن القصصي لاتحتاج إلى لمسات بلاغية في التعبير، لأن بلاغـة القص تتحقق بشكل آخر في مـجال حبك تفاصيل الحدث، وإحكام نسج مكونات الشخصية، والعناية برصد عناصر المكان وحالات الزمان. ولكن بعض كتاب القصة المعاصرة ونقـادها يرون ضرورة العناية بلغـة الفن الـقصصي، فـالقـصـة فن من فنون القـول، وبناء على هذا يجب أن يُولي الكُتّاب لغـتهـا عناية في مـجـالـي السـرد والحوار على حـد سـواء، ولذلك أيضًا يشـترطون ضـرورة أن تكون لغة الحـوار بالفصحى المألوفة.

ولاريب في أن أيّ حـديث عـن ظواهر جـديدة في القـصـة - أو غيـرها من الأنواع الأدبيـة- هو في جـوهره حديث عـن (اللغة)؛ فـاللغـة هي الرحم التي ينمـو في داخلها كل عنـاصر تشكيل العـمل الأدبي. وحتى يُثري كتاب القصة لغـتها لجؤوا إلى التضمين، أو التناصّ من مـجـالات سابقـة، لأن العـمل الأدبي يكتسب قـوة دلالية بقـدر قدرته على الاستـفادة من النصـوص السابقـة عليه. وهذه النصـوص المتضـمنة تصبح جـزءًا من بنية النص الجديد، وتحقق له وظـيفة مزدوجة، فهي من ناحيـة تمثل جزءًا من نسيج العمل الجديد، ومن ناحية أخرى لاتزال تحـمل قوة تعبيرية من سياقها المسْبق.

ولاشك أن هذا النص المقـتبس محكوم لـه سلفاً بالجودة. ومؤثِّر في وجدان الجماعة، من هنا فإنه حين ينتقل إلى سياق جديد، يحمل معه كثيراً من إيحاءاته الفكرية والفنيـة في آن واحـد. وهكذا تنتـفي أغلوطة استـقلاليـة النص الأدبي، التي تتبناها بعض المدارس النقدية.

يكفي هـذا برهانًا نقـديًا عـلى أهميــة توظيف التناصّ في القصـة المعاصرة، ونأتي إلـى التطبيق، وهنا سـوف نجد أن التناص في أعـمـالي القـصـصيـة واسع ومـتشـعب الروافد؛ فـهناك تناص من القـرآن الكريم، وأحاديث الرسـول، والعهد القديم والجـديد، والأمثال الفصـحى والشعبيـة، والشعر والأغنيـة والموال وأغاني الأطفـال، واستـخدام بعض التـعبيرات أو الكلمـات الانجليـزية. والأمثلة علـى ذلك في قصـصي واضحـة جلية، وليست في حاجة إلى استشهاد أو دليل، لأنها تحتاج إلى وقفة خاصة.

د – التداخل بين الأنواع:

هناك سـمـة عامـة تميـز الأنواع الأدبيـة المعاصـرة كافة، وهي: الانفـتاح بدرجات مخـتلفة بين كل نوع وغيره من الأنواع؛ فـالشعر مثلا قد تطور من الشكل العمودي إلى الشكل الحر، وأخيـرًا بدأ يظهر مايسمى بقصـيدة النثر، ولها مـتحمـسون كـثيـرون حتى من الشـعـراء أنفسـهم. وهناك من الـقصـائد مـايمكن أن يوصف بأنه: قصـيدة دراميـة، أو ذات طابع ملحمي. وهناك أيضًا القـصـة الشعـرية. وإذا كان الشـعـر -رغم مـا قد يـبـدو له من قواعـد صارمـة- قد استـعـار هذه العناصـر المختلفـة مـن أنواع أدبيـة أخـرى، فـإن فنون القص جـميـعًا قد شـاركت هي الأخـرى في مجـال التأثير والتأثر بالأنواع الأدبية القديمة والحديثة على حد سـواء. وإذا كان من المعـروف أن القصـة تشتـرك مع المسرحية فـي الحوار، فإنها توسعت فيمـا هو أكثر من ذلك، وهو أنهـا حاولت أن تعطي الحـدث القصـصي قدرًا من الحركة والحيوية المطلوبة في الحدث الدرامي. أكـثر من هذا أنهـا أخذت من عـالم المسرح العناصـر والمصطلحـات التـاليـة: الحـدث، البـطل، الصـراع، الحبكة، العقدة.

كـذلك أخذتْ فنون القص مـن مجـال الشعـر: التـأنق في الكتـابة، والحـرص على جـمـال التـعبـيـر، والمحـافظة على قدر من الإيقـاع والتناغم بين الجـمل، أي إن أسلوب التـعبـيـر القـصـصي يحـاول أن يسـتـرد بعض خصـائص النثر الفني في التـراث العربي، لذلك يطمح بعض الكـتـاب المعـاصرين إلى تحـقيق قـدر من الشاعرية في أسلوب القصة سردًا وحوارًا.

والقـصـة المعـاصرة تحـاول -أحيـانًا- أن تستـعير بعض الوحـدات الوظـيفـية التي كـانت تسـتعين بهـا جدتها العـجوز (الحكاية الشعبية).. في محـاولة جادة لخلق نموذج قصصي مـعاصر، لايفقـد صلاته بجذوره التراثية. كما نجد في هذا الجزء الأخير من قصة "القمر والقدر" مـن مجمـوعة "العـشق.. والعطش" : «وضع قدميـه على بداية الطريق. تمنّى أن تعود أيام الفـيضان، وأن تغـرق (ميت الغـرقى).. أو أن ينزل الـله المطر. طوفـــان أو مطر.. طـوفـان أو مـطر.. ياالله.. يارب يوسف.. ورب كـل المسـتـضـعـفين. ذهبت أيام الطوفان.. ولكن الأمل مازال موجوداًفي المطر. مطر.. مطر.. مطر.. سـوف ينـزل المطر.. ويشـرق القـمـر.. ويورق الزهر.. وينبت الثـمـر.. وتعود سـحر. سـوف تطرح شجـرة التوت العـتيقـة في أرض والده.. توتة.. توتة.. ومـافـرغت الحـدوته.. .. وصلوا على حـضـرة النبي.. وكمان زيدوا النبي صلاة » (١١).

وعلى هذا فإن القـصـة المعاصـرة قد استـفادت من كثير من الأنواع الأدبيـة القديمة والحديثة، من أجل أن تجـدد نسيـجـها الفـني مسـتـعينة في ذلك بـكثيـر من سمات الأنواع الأدبية الأخرى. وهذا ماجعـل القصة تسبق غيرها من فنون الكلمـة، وتضطر كثيرًا من النقاد أن يعترفوا بحـقيقة أننا نعيش "عصـر القصة والرواية"، وأن فنون القص، هي التي تقوم بدور البطولة في مجال الأنواع الأدبية اليوم .

وأخيراً، فـباعتبـاري كاتب قصة، أكثر مني ناقدًا في هذه المقــالة، أرجـو أن أكـون بهـذا الجــهـد، قـد استثرت عنصر "التشويق" للقراءة، أو الكتابة في المجال الذي تحدثت عنه بإيجاز واختصار.

الهوامش:

١ – قصة "باب الخلق" في مجموعة "عمار يامصر"، ص ١٥٣.
٢ – الطاهر مكي: القصة القصيرة، دار المعارف، ١٩٩٢م، ص ٩١.
٣ – الدموع لاتمسح الأحزان، ص ٥١.
٤ – حكاية الليل والطريق، ص ١٠٣.
٥- العشق .. والعطش، ص ١٩.
٦- العشق .. والعطش، ص ١٠٢.
٧- رشـاد رشـدي: فن القـصـة القـصـيـرة، ط دار العـودة، بيروت،ص٨٢.
٨- يمنى العـيـد: الراوي.. الموقع والشكل، ط مـؤسـسـة الأبحـاث، بيروت،ص١٠.
٩- سيزا قاسم: بناء الرواية، الهيئة المصرية، القاهرة، ص ١٣٠.
١٠- حكاية الليل والطريق، ص ٢٢.. قصة "مواقف مجهولة .. "
١١- العشق .. والعطش، ص ٧١.

العنوان: مواقف من السيرة النبوية
المؤلف: مصطفى حسين عطار
الناشر: دار العلم للملايين.
بيروت (٣١٠ص)



مصطفى حسين عطار



يختار لنا الأديب مصطفى حسين عطار بعض روائع السيرة المطهرة، لنقرأها في كتاب «مواقف من السيرة النبوية» والمقام لا يتيح لنا استعراض هذه المواقف كلها وإعطاء القارئ انطباعاتنا عنها.

يبدو أن الإيجاز في تعبير الأستاذ العطار عن هذه المواقف النبوية يرجع إلى أنه كان يعدها للإذاعة السعودية، ولمستمعيها العرب والمسلمين في ظل أرجاء المعمورة. والحديث الإذاعي يستوجب الإيجاز، فضلاً عن السهولة والوضوح، وحسن انتقاء المفردات والعبارات الملائمة للواقع الإذاعي. وهذا ما نقع عليه في هذه المواقف من السيرة النبوية التي بلغت خمسين موقفًا أو عنوانًا. منها: عن الرسول قبل البعثة، ومع البعثة، وعن مقامه المحمود، وأمَانٌ لأمته، وحبيب الله، وفضل الصلاة عليه، وأدب الخطاب في مجلسه، وإيذاء الكفار له، وفتحه مكة، والله يحميه، ورفقه بالحيوان، وحبه للصحابة وفداؤه لهم، وشفاعته، ووفاؤه، ورفقه، ورحمته، وغيرها.

ولقد تكررت أحيانًا الكتابة في الموقف الواحد مرتين وأكثر، حين كان المؤلف، فيما يبدو، يرى أن الموقف النبوي لذلك العنوان لم يستوفه حقه، فيلجأ إلى المزيد من الحديث والكتابة. ومنها هذه العناوين:

قتال الصحابيات دون رسول الله، آداب الزواج، الرسول والمرأة، الرسول المربي المعلم. وهذا العنوان الأخير، هو ما نود الإفاضة فيه لحاجتنا الماسة للاقتداء اليوم، نحن معشر المعلمين والطلاب، بدروس رسولنا الحكيمة في التربية والتعليم.

استطاع الأستاذ العطار أن يستنطق النص النبوي، ويستنبط منه قضايا تربوية وتعليمية لأدوائنا التي عششت في نفوس بعض المعلمين والطلبة المشاغبين الذين لايولون اهتماما لواقعهم ومستقبلهم، فضلا عن مسؤولية الآباء في التربية. ولهذا كثرت شواهده النبوية الناطقة بالموقف الصالح الهادف المثمر. وفوق ذلك كله كانت الشواهد القرآنية هي المتوجة جل كلامه وعباراته.

تطرق الأستاذ العطار لموضوع (الكذب)، وبخاصة كذب الوالدين على الأبناء.

ولهذا وجدناه يفيض في حديثه عن قدوة الآباء لأولادهم، لأن الأب، إذا خالف فعله قوله فسوف لن يجد من أولاده قبولاً وتجاوبًا، وخير شاهد قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون، كبر مقتًا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ (الصف:٢، ٣). كما وجدنا الأستاذ العطار أيضا يرى أن أخوف ما كان يخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أطفال المسلمين أن يرضعوا لبان الكذب من بيوتهم. فقد كان في زيارة بيت عامر بن ربيعة، فرأى أم عبدالله بن عامر بن ربيعة، حينما رأته يهمّ بمغادرة المنزل، وكان صبيًا، تقول له: يا عبدالله تعال أعطك! فقال لها رسول الله: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمرًا. فقال لها صلى الله عليه وسلم: لو لم تفعلي لكتب عليك كذبة. وإن صورة الكذب هذه لتنسحب على المعلمين أيضًا. ولهذا: تطرق الأستاذ العطار لموضوع أثر التربية والتعليم على الأبناء من المعلمين والآباء. فيقول: فالمعلمون والمعلمات هم الآباء الروحيون لطلابهم، ومن أراد منكم أن يحكم على نفسه فلينظر آثار ذلك على أبنائه وطلابه، فهم المرآة العاكسة. وليضع أحدهم نفسه من خلال طلبته في المكان الذي يرتضيه ويرتجيه . ومن هنا وقف العطار على أصول التعليم، وطرق التدريس الناجعة لاحتواء الأبناء.

وقد استرسل الأستاذ العطار في قدوة الرسول عليه الصلاة والسلام، في الكيفية التي ينبغي للمتعلم أن يسلكها حيال معلميه، وفي الأخلاق التي يتحلى بها أولئك الطلبة من وقار وتواضع وسكينة، وهي الأخلاق نفسها التي يجدر بالمعلم التحلي بها: «تعلّموا العلم وتعلموا السكينة والوقار.. وتواضعوا لمن تتعلمون منه العلم. ولاتكونوا جبابرة العلماء» وإذا كانت هذه هي الصفات الخُلقية للعلماء والمتعلمين، فإن ثمة صفات خَلْقية، على المعلمين أن يأخذوا بها، كالعناية والظهور بمظهر حسن أمام طلبتهم..

فكان صلوات الله عليه لايخرج لأصحابه إلا بعد أن يصلح هندامه، وينظر إلى المرآة. ويمس الطيب رغم الرائحة الفواحة الزكية التي تنبعث وتنضح من أردانه وثيابه، خلقة وهبة من ربه ومولاه.

ومن طرق التدريس التي تستقى من دروسه عليه الصلاة والسلام الحكيمة في التعليم التكرار والإعادة ليتسنى لمتوسطي الذكاء الفهم. كما أوصى طلبة العلم بمداومة السؤال عما لايعلمون، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما شفاء العي السؤال». وإحسان السؤال مطلوب، فحسن السؤال نصف العلم. وكان يعيد الكلمة ثلاثا. ويستعمل يديه ليزيد في الإيضاح، فيقلب كفه ظهرًا لبطن. ويخط خطوطًا ويرسمها على الأرض، كوسائل سمعية وبصرية، من وسائل الإيضاحات التي تتبعها اليوم الطرق الحديثة في التعليم.

وقد استقصى الأستاذ العطار أمورًا أخرى كثيرة أُثرت عن الرسول عليه الصلاة والسلام، تعتبر اليوم من أنجع المبادئ الحديثة في فن التربية والتعليم.

حواء وورقة آدم

خالد خليل أسعد

مطبوعات خالد خليل أسعد – جدة ١٩٩٣م – ١٤١٣هـ، ١٤٦ ص



خالد خليل أسعد



قصص « حواء وورقة آدم » للكاتب خالد خليل أسعد، قدم لها الدكتور رشدي محمد إبراهيم أستاذ اللغة العربية والنقد في جامعة الأزهر . في قصص خمس من هذه المجموعة التي بلغت ثلاث عشرة قصة ، أو خطوة ، يخطوها القاص الأسعد في شارع تجربته.

تظل القصة فن الاستدراج ، والاحتواء ، إذ بأسلوبها الفني أو عناصرها الفنية المتضافرة تخلق عالمًا يفيض بالتشويق والإثارة؛ لاستدراج القارئ إلى عالمها، واحتوائه بكل مشاعره ووجدانه وفكره. ولهذا لايمكن أن تخلد القصة الحديثة التي تخلو من ذلك العالم، لأنها تغوص في لحظات ضبابية، لايقف عندها غير قلة متثاقفة ضائعة، غاب عنها رشدها وواقعها، ولهذا تأتي قصص الأسعد مثيرة ومستدرجة لقارئها على نحو ما. وسنتصفح القصص كلها ونقف عند غالبيتها.

يسلط القاص، في بدايات قصصية، ضوء رسمه وتصويره لشخصياته من الخارج والداخل من المظهر والمخبر؛ وإذا ماوجد أنه قد استكملها رسمًا وتصويرًا، اختار لها حدثًا منسجمًا ومتفقًا مع أبعادها وأعماقها الأفقية والرأسية، بحيث لاتخرج تلك الأحداث عن منطق الحياة، ومجريات الأمور والشؤون. أما إن رأى أن المنطق يمكن أن يتدخل في إحداث أمر آخر أو شأن آخر لتلك الشخصيات، تركها تنتهي بشكل أو بآخر . وغالبًا مايفاجأ القارئ بتلك النهايات التي تجعله مشدوهًا أو متألمًا أو حائرًا.

إذا كانت الحياة تتدخل في وضع النهايات المفاجأة التي هي من صنع القدر فإن القاص يتدخل في زرع أجواء قصصية، من حين لآخر، ببذور من القيم والمعاني التي يؤمن بها هو نفسه، لعلها تضيف أبعادًا أخرى لعالم أبطاله، وإن جاءت أحيانًا على لسانهم : « ويقرر علي ألا ييأس، وأخذ يبحث مرة أخرى لعله يجد بنت الحلال في قريته، أو قرية أخرى، وهو يردد: (فتاة الوطن) أم الوطن والأجيال.. وكلانا متمم للآخر.. فنحن هوية المجتمع، وتراث الوطن، وامتداد الحضارة وتكوين الأمة » ص ٣٠. ويبدو أن حب الوطن، هو حبه الكبير، يتردد في كثير من قصصه، وبخاصة : زواج بالتقسيط، الحرب والحب، كأس القارات، الحب الكبير.. فضلاً عن القصص الأخرى التي يتجلى فيها حب الوطن من خلال مواقف بعض أبطاله المثلى النزيهة، التي تتجلى في محاربة الغش والمساوئ. ولهذا لانستغرب من القاص حين يفتتح إهداء قصصه بهذه العبارات: «عندما يصبح القلب هو الوطن، ويتوحد الوطن في القلب، يكون الإهداء إلى قلبي الكبير، وطني، وإلى وطني الصغير، قلبي، فما الحياة إلا روح، وقلب، ووطن».

ولئن كانت الحياة القدرية هي التي تتدخل دون إرادة أبطاله، فإن الحياة الاجتماعية -في الوقت نفسه- تتدخل أحيانًا في نهايات قصصه، وهي التي تستوعب عالم أبطاله ومعاناتهم وهمومهم.. تتدخل لتمتصها في الحين والتو، ولتتوج حياتهم بإشراقات السعادة والأمل والحب: «فقد وصل من القرية والده فجأة، مطلعًا إياه على خطوات الاتفاق مع أهل العروس، و(علي) لايصدق مايخبره به والده من تعاونهم جميعًا في إتمام الخبر وإعلان الفرح وصنع السعادة، وربط رأسين في الحلال، فقد تنازل أهل العروس عن الكثير من الطلبات، فالمهر من السنة، والحياة تعاون، والجميع في القرية جاهزون بالدعم، فكل منهم متبرع.. » ص ٣٢.

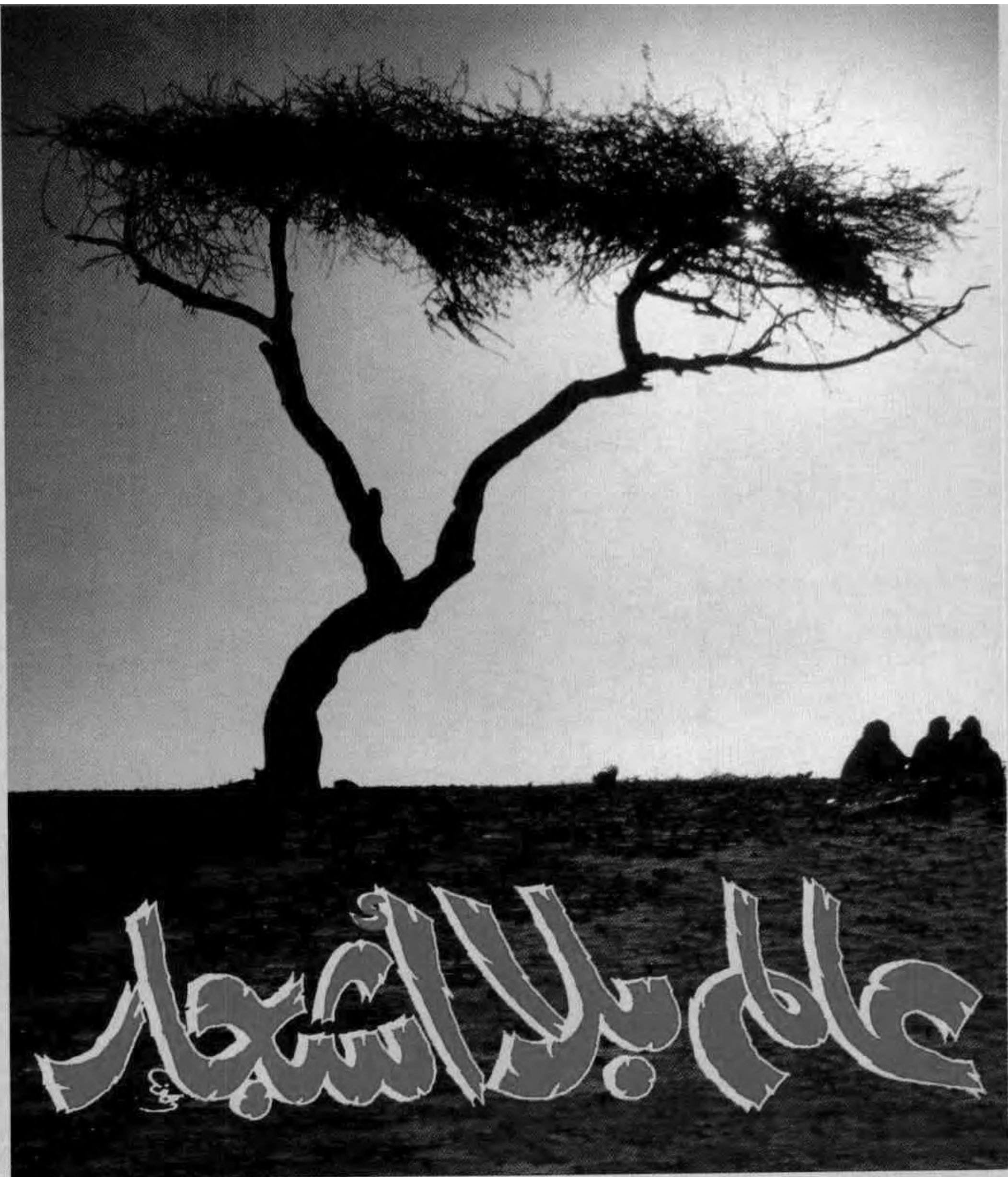
يبدو أن موقع القاص المهني قد فرض على قصصه بعض مفردات الاقتصاد والشركات، نجد مثلاً في قصته (مبروك) هذه العبارات: «فلان الفلاني مدير إدارة العقود والمناقصات في الشركة»، «سعادة المهندس رئيس مجلس الإدارة للشركة»، «المهندس الدكتور مدير المستودعات والمخازن»، «دكتوراه في الهندسة الإلكترونية»، «.. كان يرأس مجلس إدارة مجموعة بنوك الإسكان والتعمير». كما أن الكثير من خواطر الأبطال، أو القاص نفسه، تتوارد وهي زاخرة بمفردات العصر التي تعج بها حياتنا المعاصرة. ويحسن القاص استخدامها وتوظيفها بما تتفق وواقع الحال، وطبيعة المشهد والموقف.

يبقى القاص الأسعد متميزًا بحسن خواتم قصصه، التي يبدو عليها الرسم الفني المتقن، مما لايُعْوِزُها روح الطرافة والمفاجأة. ولهذا يسترسل القارئ مع أحداثها التي تنتهي بتلك المفاجأة المرسومة. وقد تفجّر هذه النهاية المفاجئة انكشافًا بارزًا لأعماق النفس الإنسانية، فتثير في النفس شتى التساؤلات عن تكوين أعماق الإنسان، ولمعرفة الفواصل بين جوانبه الخيِّرة والسيِّئة. ولهذا قد تخدعنا مظاهره وسلوكه، فتختفي عنا حقائق دفينة في النفس الإنسانية، إذ يبطن خلاف مايظهر. وكأن الإنسان المعاصر أصبح يعيش الازدواجية في سائر مناحي حياته. فقصة «سر المرحوم» مثلاً، يسلط فيها القاص (كاميرا) فنه على العالم الخارجي من خلال حديثه الذاتي عن ذلك العالم، فيروي بلسان حاله مشاهد متوالية، بعضها لا أثر فيها لذلك اللسان. فتبدو لنا صورة «المرحوم» ناطقة بالاتزان وحب الآخرين؛ وحين يذهب وصديقه لتسليم عائلة المرحوم استحقاقها عن الشهر المنصرم، تنجلي لهما الحقيقة من خلال رؤية أثاث البيت الفاخر، وسماع حديث زوجة المرحوم وابنتها من وراء الباب حين عاد ليأخذ مفاتيح المنزل والمكتب التي نسيها هناك. وإن بدا لنا استراق السمع وانجلاء الحقائق والأحداث من وراء الباب فيهما شيء من الخلل الفني الذي نحسّه، ولكن تتابع أحداث القصة، ومحاولة ربطها بعضها ببعض، وبلورتها بقالب من الاحتواء والتشويق أنست القارئ ذلك الخلل. فبدت له القصة متكاملة في مجراها ونسيجها وخاتمتها.

قد يوظف القاص الأسعد الحكاية في إبراز عجائب الدنيا، ومايحف بنا أحيانًا من هلع وخوف إزاء الأشباح، أو الدار المسكونة بها.. مما يحدث عيانًا، لدرجة لايصدقها العقل المعاصر؛ وقد يلوذ القاص بتفسير علمي لاتعوزه السخرية للتعبير عن حقيقة الموقف.. ربما ليقنعنا به، أو ليقنع نفسه على الأقل، كقوله في نهاية قصة «في بيتنا شبح»: «وإلى اليوم لاتزال قصص اختفائه يتناولها الناس في حرص وحذر شديدين، ونسجت في مخيلاتهم أساطير تُروى وتحكى عن مخلوقات وكائنات غير بشرية سيتم اتصالهم بنا عبر الآذان الفضائية، أو عبر الأنفاق الحازوقية التي تشق القشرة الأرضية هبوطًا لأعماقها، ووصولاً لقاعها المجهول بفعل الزلازل والعوامل الجيولوجية، وظواهر الكون الطبيعية، ومن فوهات البراكين الخامدة والنشطة» ص ١٢٣.

وتتعدد الوقفات العلمية التي يحلل فيها القاص بعض الظواهر المرضية التي تنتاب الشباب، فتأتي الرؤية على لسان طبيب نفسي يصف لنا فيها مثلاً حالة أحد مرضاه. إذ جعل تلك الرؤية أو ذلك التحليل نورًا مشرقًا أزال ماعلق في نفس مريضه من «الانقباض الممزوج بالخوف والتراجع والقلق»، هذا فضلاً عن أحداث وطنية وعسكرية تجاوب معها حين عمّت بلده والمنطقة، ليصبح أخيرًا شخصية فذة.

كما تتعدد القضايا والمواقف التي عالجها القاص الأسعد بفنه القصصي، كقضية الحرب الأهلية في قصة «الحرب والحب»، وموقف الإنسان أمام الموت وتنفيذ القصاص فيه، إذ تشف النفس عن روح التوبة، وحساب مع النفس، في قصة «جريمة في مضارب البادية».



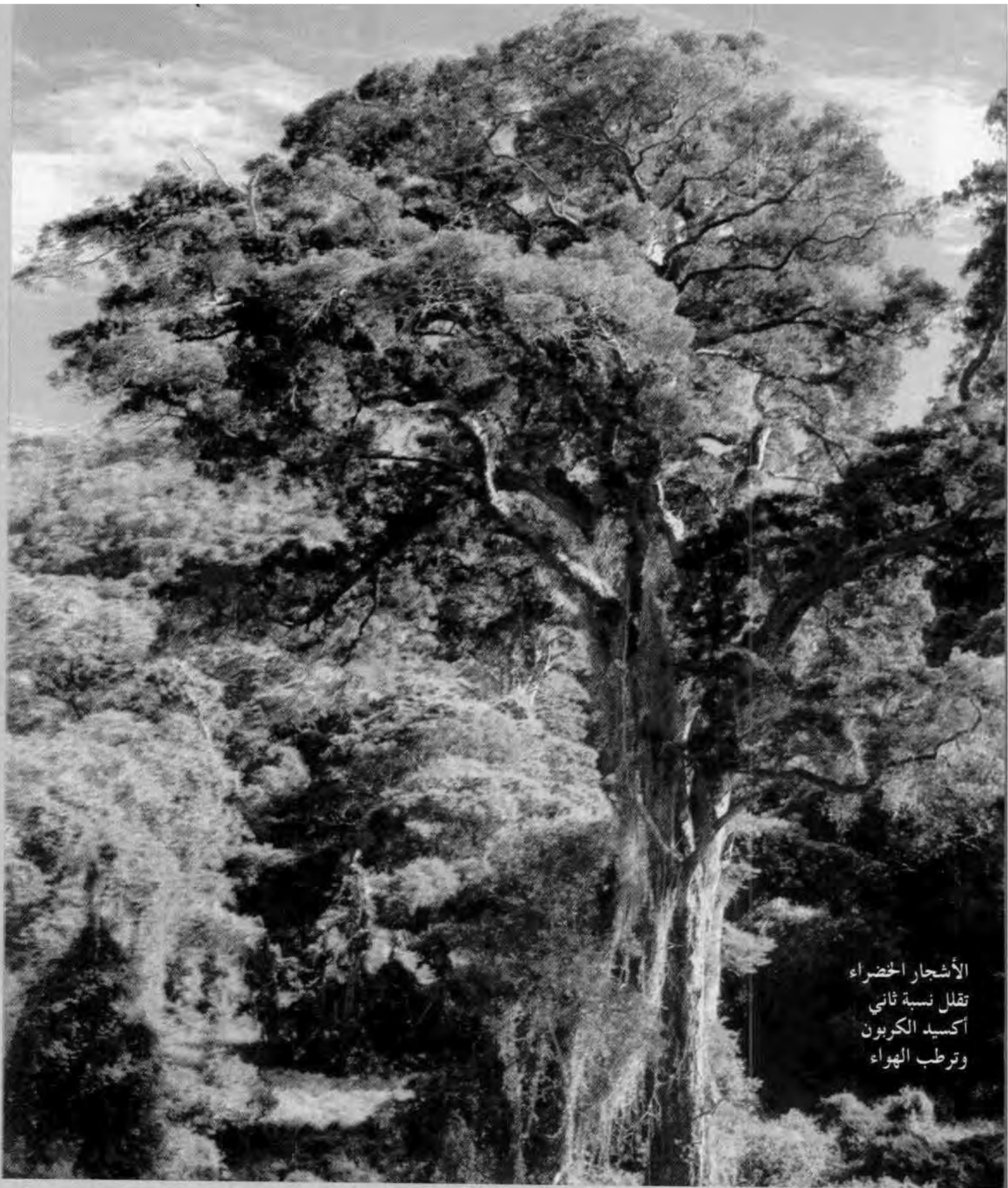
عالم بلا أشجار



تأليف: روبرت لامب

عرض : عدنان عضيمة

يقدم عالم الحشرات الإنجليزي روبرت لامب Robert Lamp في كتابه القيِّم (عالم بلا أشجار) World Without Trees واحدا من أكثر البحوث والدراسات المتعلقة بالبيئة أهمية وحساسية من خلال تعرضه للكارثة البيئية التي تتفاقم بمرور الأيام، والناتجة عن اقتطاع الأشجار وتدمير الغابات في مختلف أماكن انتشارها على سطح الأرض. ويعرض لامب في ثنايا كتابه صورة متشائمة لمستقبل الإنسان وباقي الأحياء التي تستوطن الأرض مع حلول العقود الأولى من بداية الألف الثالثة للميلاد. إنها صورة الأرض الصامتة التي لن تسمع فيها بعد ذلك زقزقات الطيور، ولاترى فيها قفزات الغزلان والأرانب البرّيّة، وسوف يفتقد فيها الإنسان حتى الأوكسجين الكافي للتنفس والحياة، ولن يستمتع فيها بظلال الأشجار الخضراء الباسقة ونسمات الهواء الباردة، بعد أن تكون الدرجة المتوسطة لحرارة جوّ الأرض قد ارتفعت لحدود لاتطيقها الأحياء كافة، بفعل تزايد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون (CO_2). إنها صورة الأرض بلا أشجار.. أو هي لوحة دراميـة معبرة عن الأذى الذي يلحقه الإنسان بنفسه أثناء سعيه الجامح للارتقاء بحياته وتحسين ظروف عيشه وتحقيق أعلى الأرقام في معادلة الربح المادي على حساب الأشجار التي تعد بحق العماد الأساس للحياة على الأرض.



الأشجار الخضراء
تقلل نسبة ثاني
أكسيد الكربون
وترطب الهواء

لهذه الأسباب يمكن عدّ الكتاب واحدا من أكثر الكتب المهتمة بسلامة البيئة الحيوية تأثيراً في القارىء واجتذابا له، لتبنّي فكرة الدفاع عما تبقى من الأشجار، وهو أيضا دعوة جريئة وصرخة أخيرة لأصحاب القرار السياسي في العالم أجمع لاتخاذ التدابير الفعّالة والسريعة التي من شأنها الحدّ من الدمار الشامل الذي يلحق بغابات العالم.

صدرت الطبعة الأولى للكتاب بالإنجليزية عام ١٩٧٩م عن دار (وايلد وود هاوس) Wild Wood House في لندن، كما صدرت طبعة موازية لها عن دار (بوك وايز) Book Wise في استراليا. ويقع في ٢٢١ صفحة من القطع المتوسط متوزعة في عشرة فصول، بالإضافة لمقدمة بقلم عالم النبات الإنجليزي أنطوني هكسلي Anthony Huxley الذي ألف ثمانيةً وعشرين كتابا حول النباتات، من أكثرها شهرة (النبات والأرض) Plant and Planet.

ولد روبرت لامب عام ١٩٤٩م في قرية متاخمة لمدينة بريستول Bristol وتلقى علومه في (كلية مارلبورو)، ثم في (كلية ميرتون) في أوكسفورد. وخلال السنوات السبع من بداية عقد السبعينيات الميلادية انصرف إلى البحث في دورة حياة الأَرَضَة Termite الآكلة للنباتات، وطرق مكافحتها في الأشجار المجاورة لمدينة لندن، ثم توسع في دراستها حتى بلغ في ذلك معرفة موسعة حول تأثيرها الضار في غابات إفريقيا. وأثناء بحثه هذا، اطلع على درجة الخطر الذي يهدد غابات الأرض برمتها، فكان ذلك دافعا له لجمع ذخيرة من المعلومات العلمية القيمة حول الموضوع صبّها بترتيب وإتقان في كتابه هذا.

الديناصورات الخشبية

آثر لامب اختيار هذا العنوان المعبّر (Wooden Dinosaurs) للفصل الأول من كتابه للإيحاء بأن مصير الأشجار الضخمة في الغابات الاستوائية لن يختلف عن مصير الديناصورات العملاقة التي انقرضت قبل نحو ٦٥ مليون سنة خلال فترة وجيزة، بعد أن سادت الأرض لملايين السنين. ففي كل دقيقة يتم قطع مايزيد على عشرين هكتارا من أشجار الغابات الاستوائية، حتى أصبح ماتبقى منها أقل من أربعة أعشار مساحتها الإجمالية البالغة ١٦ مليون كيلو متر مربع. ووفقا لمعدل تراجع الغابات الاستوائية وقت تأليف الكتاب، يتوقع هكسلي في المقدمة أنه سوف لايتبقى منها شيء عند حلول نهاية القرن الحالي. وهذه الإحصاءات وحدها من شأنها أن تؤكد أن احتمال عيش أجيالنا القادمة في عالم خال من الأشجار ليس من شطحات الخيال العلمي.

وإذا كان بوسع الإنسان تعويض أشجار المناطق المعتدلة، فإن الغابات المطرّية الاستوائية Tropical Rain Forests لايمكن تعويضها لأنها حصيلة لتطور طبيعي تمّ خلال آلاف السنين، وأدى إلى وجود أكثر مجموعات الأنواع النباتية والحيوانية تعدداً، هذه الأنواع التي لن يرى الإنسان مثيلا لها بعد انقراضها على الإطلاق. وتكتنز الغابات المطرية الاستوائية، بما لايمكن حصره أو أبعاده من

الطاقـــات والإمكـانات والموارد الطبيعية، بالإضافة إلى كونها تحتوي على أكبـر مـخـزن للمـورّثات Genes التي تـنقل خـصـائص الملايين من أنوع الأحـيـــاء إلى الأجيال المتعاقبة على الحياة.

وبالرغم من هـذه القيم المتفـرّدة والحيوية التي تميّز غـابات وأحـراج وأشجار الأرض، فإنها لم تحظ حتى بأدنـى درجـات الاهتـمــام من الحكومـات وأصحـاب القـرار في دول العالم كـافة؛ بما فيـها تلك التي توجد فيـهـا مساحـات شاسـعة من الغـابات المطرية الاستوائية. ويقدّم لامب صورا مؤثرة لحال الأرض التي جُرِّدت من أشجارها، نـنتقي منهـا تلك التي يصف فـيـهـا المراحل التي أدت إلى تحوّل إفريقيـا الوسطى إلى صحـراء شاسـعـة، يسودها الجـفاف والقـحـط، بعـد أن كـانت مـغطاة بالأحراج والغابات الكثيفة قبل أقل من قـرن مـضى. وليس التـصحـر أخطر عـواقب تدمير الغـابات، لأن التـغـيـرات التي تطرأ على مناخ الأرض بفـعـل تناقص المسـاحـات الخضـراء تعد في الواقع أكـثر خطرا على البيئـة الحيوية برمتهـا. فالنباتات تعـد أكبـر مـخازن الأرض من غـاز ثاني أوكسيد الكربون. وكـان من الطبيـعي أن يؤدي تراجعـهـا إلى الزيادة المستـمرة في نسبـة هذا الغاز في الجو لدرجة تنذر بالخطر. ويتوقع المؤلف بـلوغ هذه النسـبـة حـدا لايمكن للأحياء أن تطيقه خلال عدة عقـود قادمـة فقط. ويتـعرض لامب لمجموعة من القـرائن العلميـة التي توصل إليـهـا علـمـاء الحـيـاة (البيـولوجيـون)، والتي تثبت أن الأشجار ستصبح بعد ثلاثة عـقـود من وقت تأليف الكتـــاب نادرة الوجـود، للحد الذي سينتـفي معـه تأثيرها المفيـد في البيئـة الأرضيـة، فهذا التـأثير يعتمد أساسا على عدد الأشـجـار المنتـشـرة على سطح الأرض. وليس من المغـالاة في شيء القـول بـأن العـالم بلا أشـجـار هو صـحـراء حقـيقـيـة، فمـع تقهـقـر المسـاحـات الغـابيـة تزداد رقـعـة الأراضي المتصحّرة اتساعا. وسوف يغير هذا التطور غير المحبذ حياتنا للصـورة التي لايمكـننا أن نتـقبلهـا بسـهـولة. فـهل يمكننا أن نحـقق الظروف والشروط المناسبة لعكس جهة هذا التطور..؟

يرى المؤلف أن من العسيـر وضع إجابة دقيقـة عن هذا السؤال بسبب تعـدد وتضـارب مـواقف الأطراف ذات الصلة بالموضـوع. فـالأشجـار تعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين، وعالم البيئـة ينظر إليها نظرة تختلف عن نظرة تاجر الأخشـاب أو صانع الأثاث المنزلـي أو رجل السـيـاسـة والاقـتـصـاد، وكل هـؤلاء تختلف نظرتـهـم للأمـر عن نظرة الإنسـان العادي الذي ينشـد الهدوء والتـمتع بجمال الطبيعة ونـقاء الهواء والبيئة. وفي العـديد من المناسبـات، لم يكن المسؤولون ومخطـطو المدن والجسور والمنشآت العـمـرانيـة ليـترددوا في وصف الغابات بأنها لاتمثل أكثر من عوائق طبيعية أمام بناء المدن والمزارع الحديثة. ويعبـر لامب عن تخوفه من أن تتـأخـر الأطراف المعنيــة في الوصـول إلى اتفـاق حـتى الوقت الذي لاتتـبـقـى فيـه على الأرض أشجار تستحق البـحث في طرائق حمايتها ووسائلها.

ويشـيــر المؤلف إلى أن إنـشـاء الطرق السـريعـة وصناعـة الورق والأثاث المنزلي تعد من أهم أسباب تدمـيـر الـغـابات. ويسـتـند إلى إحصائيات مؤكـدة للإشارة إلى أن الاستهـلاك العـالمي من الأخشـاب يتـضـاعـف كل ست سنوات. ويخلص من كل ذلك، إلى الاعتقاد بأن من الخطأ الإبـقـاء على الصـورة التي تعودنا أن نرسمهـا في مخيلاتنا للأشجـار من أنها نماذج للسـرمدية، أو كـأنهـا مخلوقات لاتحتـاج إلى مساعدتنا.



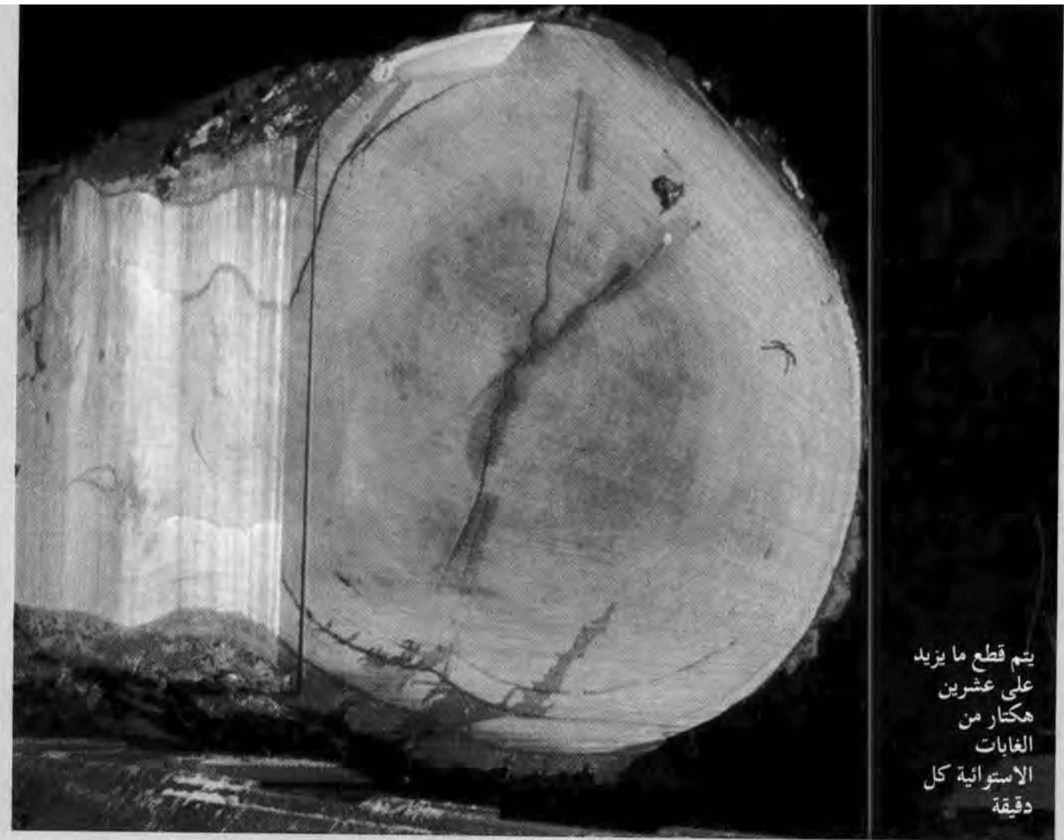
الأشجار والحياة

يقـدم المؤلف في الـفـصل الثـاني مجموعة واسعـة من المعارف القيمة حول العلاقة بين الأشجار ومختلف المظاهر الحيـاتية على سطح الأرض، ليثبت في النهاية أن الحياة بأشكالها وضروبها كافة ستكون مستحيلة في غياب الأشـجـار؛ فكل كـائن حي يمثل في وسط عيشه جزءاً من النظام البيـئي Ecosystem. والنظام البيـئي هو مـجـموعـة مـحلية من النباتات والحيـوانات التي تتفاعل مع المناخ، كـمـا يتـفـاعل بعـضـهـا مع بعض، وفق دورات متميزة ومستمرة ومـحـكومـة بـشكل أسـاسي بخصائص المصادر الغذائية ووفرتها. وتؤدي الأشجار ومـختلف النباتات في هذه المعزوفـة الموسيقيـة دور قائد الفرقة (المايسترو)، وتساهم مختلف الحـيوانـات في استـمـرارها وتطرب لها.

وتكون العلاقـة بين هذه الأشكال



كثير من الطرق السريعة يقام على حساب الغابات والمساحات الخضراء



يتم قطع ما يزيد على عشرين هكتار من الغابات الاستوائية كل دقيقة

المتعددة للحياة والبيئة التي تعيش فيها شديدة التعقيد بحيث يؤدي تبديل أو إزالة أيّ عنصر من علاقة التفاعل بينها إلى أحداث تأثيرات قوية في باقي العناصر المشتركة فيه. وبمعنى آخر، يمكن تشبيه مقومات الحياة في نظام بيئي معين بسلسلة مغلقة لايجوز تبديل أيّ من حلقاتها أو إزالته. ويمكن تلخيص دورة الحياة بالإشارة إلى أن الحيوانات تستمد غذاءها من النباتات بشكل مباشر، بتناولها أو رعيها، أو بشكل غير مباشر، بالتغذي على أكل الحيوانات الآكلة للنباتات. وتنفرد النباتات الخضراء بخاصة تركيب غذائها من المواد الأولية للحياة، الماء والضوء والهواء، عن طريق تفاعل التمثيل الضوئي. وحتى تحقق النباتات ظروف النمو السريع، فإنها تستفيد بدورها من رفات وإفرازات الحيوانات والنباتات التي تعد المعين الرئيس للملكة النباتية بالمواد المغذية الثانوية. وتؤدي المتعضيات الدقيقة في هذه العملية دورا مهما يتمثل في هضم المواد العضوية الميتة، وتحويلها إلى مواد مغذية للنباتات. ولهذا السبب يمكن اعتبار هذه المتعضيات مصارف (بنوك) للنظام برمته، من حيث كونها جاهزة دائما لتقديم رؤوس أموال جديدة لزبائن جدد.

وعندما ينتزع أحد الأحياء من بيئته المفضلة، وينقل إلى نظام بيئي مجاور، فإن ذلك سيخلق المصاعب والتغيرات القسرية على كل من هذا الكائن الحي والكائنات الحية التي كان يشاركها الحياة، والأحياء التي تستوطن البيئة التي انتقل إليها. ولابد أن ينعكس هذا الضرر في النهاية على الإنسان نفسه. ومن خلال هذه الحقائق المثبتة علميا، يقدم المؤلف صورة شديدة الوضوح عن مدى هشاشة النظام البيئي الحيوي وقابليته الشديدة للتصدّع، بالرغم من تنوع عناصره ومؤلفاته وشدة تعقيد علاقات التفاعل والتآلف والتكافل بينها. ويخلص لامب من ذلك إلى الإشارة للضرر الكبير الذي يلحق بالنظام البيئي الحيوي برمته عند قطع الأشجار وإزالة الغابات التي تمثل عموده الفقري.

ويورد لامب إحصائيات مفادها أن النباتات الحية تشكل ٨٥٪ من الكتلة الكلية للمادة الحية على الأرض، وتشكل الأشجار حوالي ٩٠٪ من الكتلة النباتية الحية. وهذه الأرقام من شأنها أن تعطينا فكرة عن الدور المهم الذي تؤديه الأشجار في كل عملية حياتية تحدث على سطح كوكبنا.

وتشير إحصائيات أخرى إلى أن الأرض اليابسة كانت قبل مائة سنة تتألف من ٤٢٪ من المساحات الغابية، و٣٤٪ من الصحارى، و٢٤٪ من الأراضي العشبية والحقول المزروعة. أما اليوم فأصبحت هذه النسب: ٣٣٪ و٤٠٪ و٢٧٪ على الترتيب. ويشير المؤلف إلى أن مساحة الغابات المتبقية في العالم - وقت تأليف الكتاب - لاتتعدى عشرة آلاف مليون أكرا (الأكر Acre = ٤٠٠٠ متر مربع)، هذا الرقم يتقلص بشكل محسوس كل يوم وفقا للبيانات المتتابعة التي تنقلها الصور الملتقطة من الأقمار الصناعية.

الأشجار والبيئة

تكمن التأثيرات المفيدة للنباتات الخضراء في البيئة والجو في انفرادها بالقدرة على تحقيق تفاعل التمثيل الضوئي Photosynthesis، الذي يتلخص بتحويل الطاقة الضوئية الشمسية إلى طاقة كيماوية، يمكن للنباتات والحيوانات أن تحررها من جديد أثناء التنفس. ويشتمل تفاعل التمثيل الضوئي على قيام الورقة الخضراء بتركيب سكر العنب (الجلوكوز Glucose) من غاز ثان أكسيد الكربون والماء بوجود الضوء واليخضور (الكلوروفيل). وخلال هذه العملية تطلق الورقة الخضراء الأوكسجين كناتج ثانوي. وسكر العنب الناتج يكون قابلا للتحول في الأنسجة النباتية إلى مركبات أكثر تعقيدا كالسكريات المتعددة والحوامض العضوية والبروتينات. ويعبر عن عملية التمثيل الضوئي بالمعادلة التالية:

$$6CO_2+6H_2O \xrightarrow[\text{اليخضور}]{\text{الضوء}} C_6H_{12}O_6+6O_2 - \Delta H$$

ويتضح من هذه المعادلة أن تركيب مول واحد (عدد آفوجادرو من الجزيئات) من سكر العنب (١٨٠غرما) يكون مصحوبا بامتصاص الورقة الخضراء لستة مولات من غاز ثاني أوكسيد الكربون (٢٦٤غراما) من الجو، وتتحرر عن التفاعل ستة مولات من غاز الأوكسجين (١٩٢غراما).

وينطوي تفاعل التمثيل الضوئي على فوائد متعددة وجوهرية بالنسبة للأحياء كافة، من حيث كونه المصدر الأساسي لغذائها من جهة، ولأنه الطريقة الوحيدة التي تؤدي

إلى تعويض الأوكسجين الذي تتناقص نسبته في جو الأرض مع تقلص الغابات، وإلى اختزال غاز ثاني أوكسيد الكربون الذي تتزايد نسبته في جو الأرض بمعدل ينذر بالخطر، بفعل تزايد إقدام الإنسان على حرق الوقود الأحفوري. ولقد عرف تشارلز داروين Charles Darwin في مذكراته وظيفة الأشجار بكل دقة حين قال: (الأشجار هي الوسائط الأساسية التي تقوم بتحويل طاقة الإشعاعات الكونية إلى الصورة التي تتطلبها الحياة على الأرض).

ويشير لامب إلى أن أهمية الأشجار والنباتات عامة لاتكمن في كونها المصادر الوحيدة للأوكسجين، بقدر ماتكمن في أنها الوسائل الوحيدة لامتصاص غاز ثاني أوكسيد الكربون من الجو. وفي الأحوال الطبيعية، أو الملائمة لبيئة الأرض، يشكل هذا الغاز ٣٠٠ جزء من مليون من حجم الغلاف الجوي للأرض. ويشير المؤلف إلى أن الإحصاءات المتوافرة تؤكد أن نسبة هذا الغاز ارتفعت في الجو من ٢٨٢ جزءاً بالمليون عام ١٨٦٠م إلى ٣٣٠ جزءاً بالمليون عام ١٩٧٩م. وتعود هذه الزيادة أساسا إلى حرق الوقود الأحفوري (البترول والفحم الحجري والغاز الطبيعي) بالإضافة لحرائق الغابات.

وإذا سارت الأمور على نفس المنوال فإن من المتوقع أن تصل نسبة هذا الغاز في الجو إلى ٦٥٠ جزء بالمليون عام ٢٠٣٠م. ويتساءل المؤلف: هل سيتمكن الإنسان من الحياة في مثل هذه الظروف؟.

ويخلص لامب من عرض مطوّل حول تأثير تزايد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في جو الأرض من خلال مايدعى بمفعول البيت الأخضر Green House Effect إلى أن هذه النسبة ستسبب ارتفاعا في درجة حرارة الأرض لايمكن للأحياء أن تتحمله.

ويتلخّص مفعول البيت الأخضر في أن لغاز ثاني أوكسيد الكربون قدرة على حجز جزء من الطاقة الحرارية التي تتلقاها الأرض من الشمس، فعندما تصل أشعة الشمس إلى سطح الأرض عبر الجو، يرتد أغلبها إلى الفضاء على شكل طاقة حرارية، ووجود غاز ثاني أوكسيد الكربون في الجو يؤدي إلى تأخير عملية الارتداد، لأن تركيبه الفيزيائي يسمح للموجات الضوئية Light Waves بالمرور عبره بسرعة تفوق تلك التي يمرر بها الموجات الحرارية Heat Waves. وبمعنى أبسط نقول، إن غاز ثاني أوكسيد الكربون يؤدي إلى حجز بعض طاقة الشمس قريبا من سطح الأرض بعد تحولها إلى طاقة حرارية. ولهذا السبب، يمكن القول إنّ مناخ وحرارة الأرض يتأثران بدرجة أساسية بنسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الجو. ولقد أكدت مختلف الدراسات البيئية الحديثة بأن معدل درجة الحرارة في جو الأرض آخذ في الازدياد باطراد، ووفق معدلات تنذر بخطر قريب. وجاءت تسمية مفعول البيت الأخضر من اسم البيوت الزجاجية أو البلاستيكية المستعملة لتدفئة المحاصيل الزراعية الصيفية عندما تزرع في الشتاء، حيث يكون للزجاج أو البلاستيك الشفاف مفعول مشابه لغاز ثاني أوكسيد الكربون.



ويشير المؤلف إلى أن تضاعف مفعول البيت الأخضر الناتج عن ازدياد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون، من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع معدل درجة حرارة جو الأرض بنحو خمس أو ست درجات مئوية. وهذا الارتفاع الذي يبدو صغيرا، يكون في الواقع كافيا لإذابة جليد القطبين الشمالي والجنوبي



برمته مما سيؤدي إلى ارتفاع سطح البحار والمحيطات المفتوحة عشرات الأمتار. وسيكون ذلك كافيا لإغراق المراكز الرئيسة للتجمعات البشرية (المدن والقرى) على سطح الأرض. فكيف يمكننا تجنب هذا الخطر الذي بلغ عنق الزجاجة؟.

يضع لامب لهذا السؤال إجابات مطوّلة احتلت مساحة كبيرة من كتابه نلخصها بالفقرات التالية:

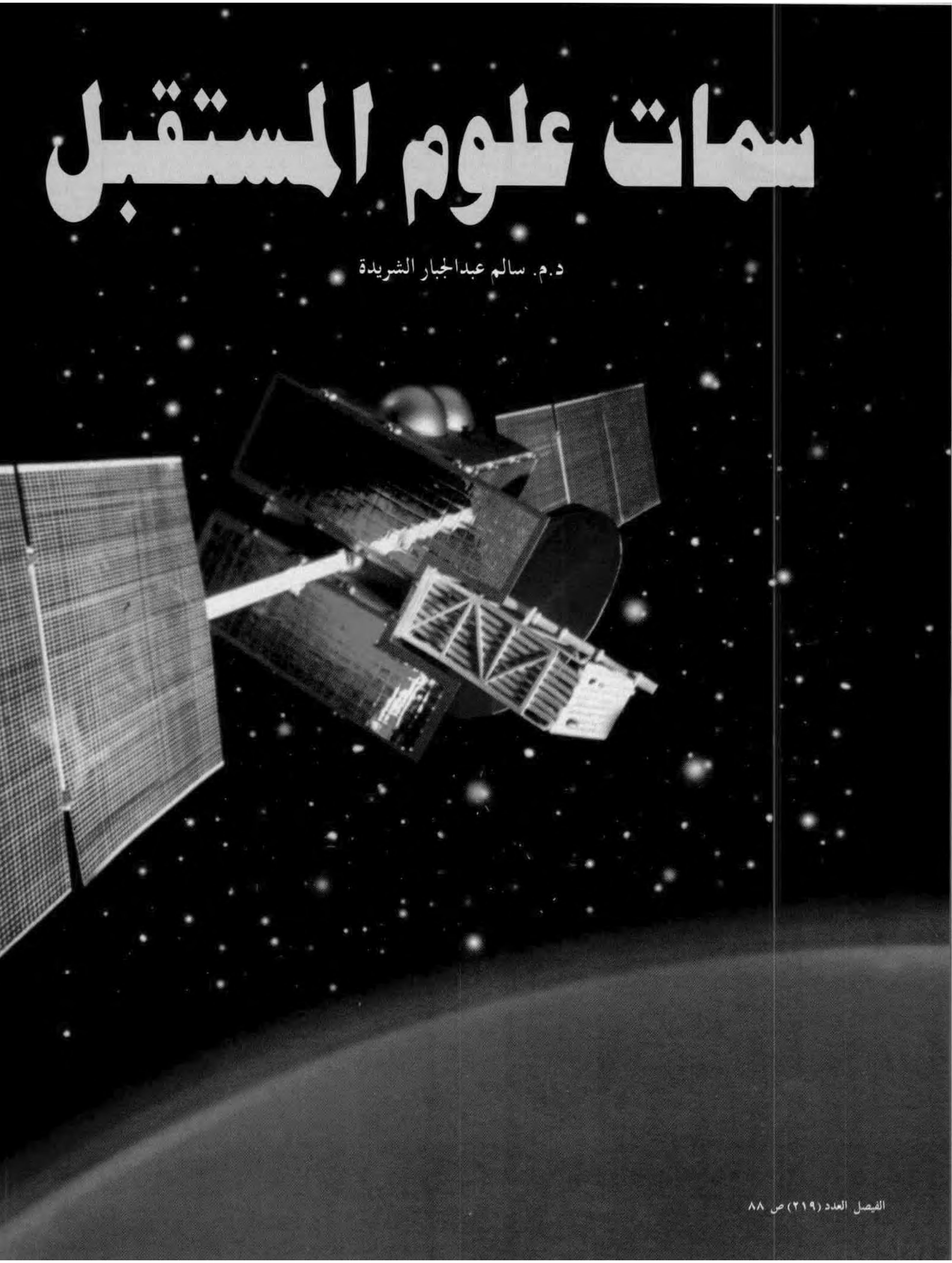
١- يجب تعميم المعرفة حول هذا الخطر وأبعاده بشكل واسع وسريع لأن الوقت لم يعد في صالح الإنسان.

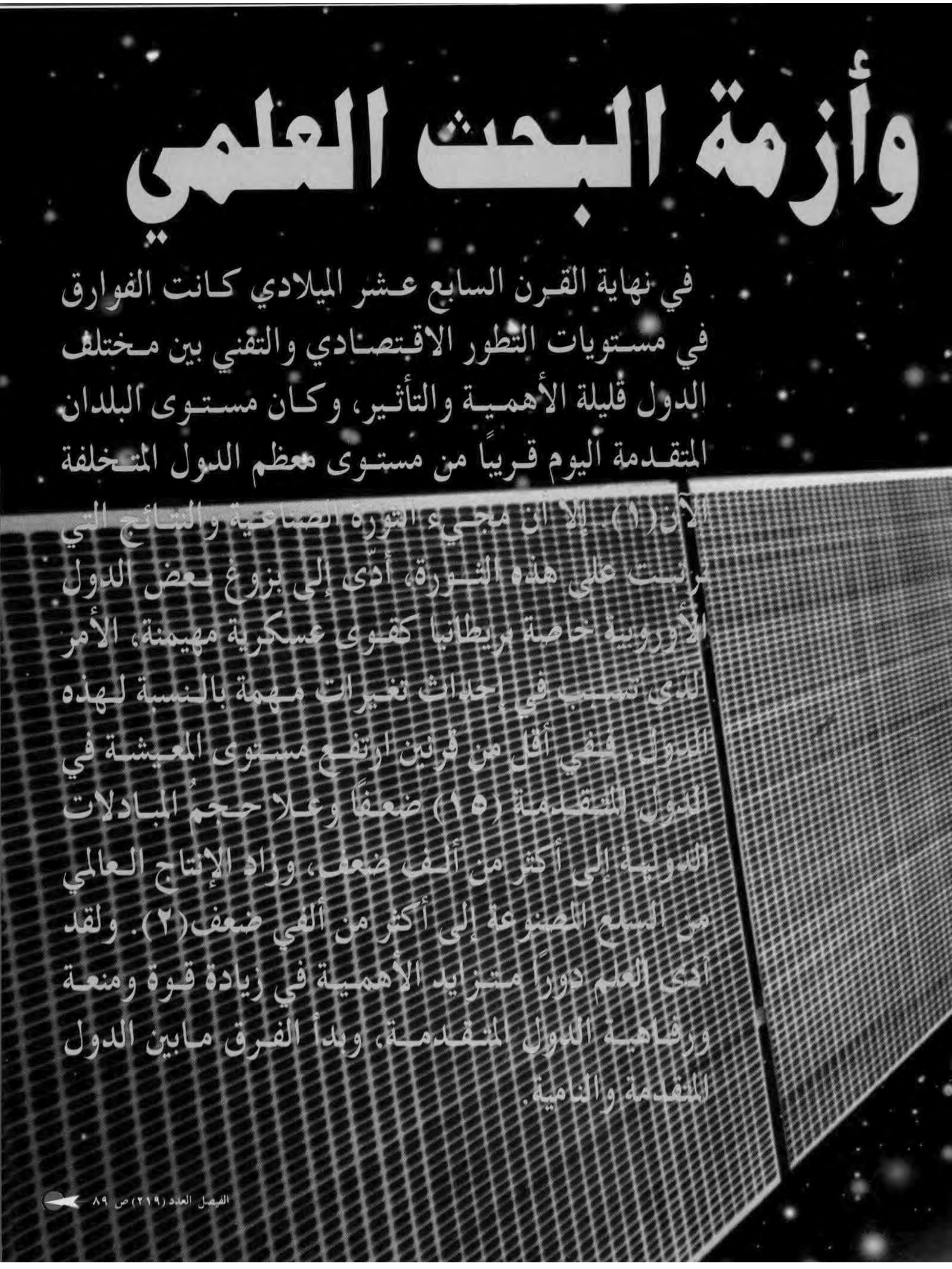
٢- يركز لامب على ضرورة تعاون الأطراف المعنية بصيانة الغابات والأشجار كافة على اتخاذ قرارات حاسمة وفورية؛ لوقف جريمة تدمير الغابات المنتشرة في جميع بقاع الأرض، والاتفاق على طريقة لاستغلالها استغلالا مقننا وفقا لقاعدة: يجب أن لايموت الذئب وأن لاتفنى الغنم. ويشير المؤلف في هذا الصدد إلى أن عملية التمثيل الضوئي في النباتات المتبقية على الأرض تمتص حوالي عشرين ألف مليون طن من غاز ثاني أوكسيد الكربون، بما يقتضي الحفاظ عليها مهما كانت النتائج.

٣- يدعو المؤلف إلى البحث عن الطرق والوسائل العملية التي تسمح بالاستغناء عن حرق الوقود الأحفوري، أو تخفيض درجة الاعتماد عليه، بالرغم من اعترافه بأن هذا الهدف مازال صعب المنال، وتحول دون تحقيقه عوائق علمية واقتصادية وسياسية.

سمات علوم المستقبل

د.م. سالم عبدالجبار الشريدة





وأزمة البحث العلمي

في نهاية القرن السابع عشر الميلادي كانت الفوارق في مستويات التطور الاقتصادي والتقني بين مختلف الدول قليلة الأهمية والتأثير، وكان مستوى البلدان المتقدمة اليوم قريبًا من مستوى معظم الدول المتخلفة الآن(١). إلا أن مجيء الثورة الصناعية والنتائج التي ترتبت على هذه الثورة، أدّى إلى بزوغ بعض الدول الأوروبية خاصة بريطانيا كقوى عسكرية مهيمنة، الأمر الذي تسبب في إحداث تغيرات مهمة بالنسبة لهذه الدول. ففي أقل من قرنين ارتفع مستوى المعيشة في الدول المتقدمة (١٥) ضعفًا وعلا حجمُ المبادلات الدولية إلى أكثر من ألف ضعف، وزاد الإنتاج العالمي من السلع المصنوعة إلى أكثر من ألفي ضعف(٢). ولقد أدى العلم دورًا متزايد الأهمية في زيادة قوة ومنعة ورفاهية الدول المتقدمة، وبدأ الفرق مابين الدول المتقدمة والنامية.

في زيادة الإنتاج في الدول المتقدمة تبيّن أنه في الفترة من ١٩٠٩م وحتى ١٩٥١م بلغت مساهمة رأس المال ٢٠٪، في حين أن مساهمة البحث العلمي والتكنولوجي بلغت ٨٠٪(٤).

وذكرت دراسة أجريت في الولايات المتحدة أن مجموع المبالغ التي أنفقتها الولايات المتحدة منذ عام ١٩١٠م على بحوث تهجين الذرة بلغت حوالي ١٣٠ مليون دولار، ولقد أدى تطبيق نتائج هذه البحوث إلى زيادة في الإنتاج الكلي بلغت حوالى ٩١٠ مليون دولار سنويًا، أي أن مردود هذه البحوث يعادل ٧٠٠٪ سنويًا(٥). والآن لابد لنا من أن نتقصى الدور الذي سيؤديه العلم مستقبلاً ، وأن نسأل ماهي سمات البحوث المستقبلية؟

إن من الصعب الإجابة عن هذا السؤال في عدة صفحات، إلا أنه من الممكن تناول الموضوع بشكل مبسط رغم سعته وتعقد موضوعاته.

صناعات كثيفة العلم

بدأ العصر الحالي يشهد تحولات عميقة، لعل من أهمها أن الدول المتقدمة قد بدأت بتجاوز المرحلة الصناعية ودخول المرحلة مابعد الصناعية، هذه المرحلة التي تعتمد أساساً على الصناعات كثيفة العلم والمعلوماتية، بعد أن كانت المرحلة السابقة تعتمد على التقنية (التكنولوجيا) كثيفة العمالة. ويتنبأ



التعليم في الدول المتقدمة يتسم بالمرونة والحيوية

مليون نسمة، في حين أن عددهم في الدول النامية يبلغ ٣٠٧ في المليون.

لقد تحول العلم في عصرنا الحالي إلى أداة إنتاجية سواء بشكل مباشر، أو غير مباشر، ففي دراسة أجريت حول تأثير البحث العلمي

والإداريين، حتى وصل عدد الباحثين في شتى أنحاء العالم عام ١٩٧٣م إلى حوالى ٢٫٢٧٩ مليون شخص(٣). يوجد منهم ٨٧٫٤٪ في الدول المتقدمة، هذا وتبلغ نسبة الباحثين في الدول المتقدمة ١٥٧٠ باحثًا في كل

واستمرت أهمية العلم والتقنية (التكنولوجيا) في التنمية، حتى تحول العلم نحو قيادة التقنية (التكنولوجيا،) وتحول من نشاط تمارسه مجموعة صغيرة من العلماء، إلى مؤسسات كبيرة تضم جيشًا من الفنيين، والعلماء،

أحـد الكتّاب وهو ألفين تـوفلر في كتـابه «صدمة المستقبل»، وكـتابه الآخر «الموجة الثالثة»، بأن المستقبل لن يكون امتـداداً للحاضـر، وبأن كثيـراً من التغيـرات العنيفـة التي يشـهدها عـالم اليوم إنما هي بشـائر لهذا المستقبل(٦).

إن من أهـم الصنـاعـات التي ستكون كشيفة العلم، وتمثل الاتجاهات المستقبلية للبحث العلمي:

١ـ المعلوماتية:

تمثل المعلومات حجر الأساس للمرحلة القادمة، وتسيطر عشر وكالات عالمية، سبع منها تسيطر عليها شركات أمريكية، على مجمل عملية تداول المعلومات، وتقدر الأرباح التي حصلت عليها أربع شركات كبرى من بيع المعلومات أكثر من ٤ر٦ مليار دولار(٧). وتهيمن الدول المتقدمة على حوالي ٩٣٪ من الكتب والمواد المطبوعة.

٢ـ الصناعات الألكترونية:

تشهد هذه الصناعات نمواً هائلاً، إذ إن المكونات الإلكترونية تستعمل الآن في جميع الأجهزة ابتداءاً من الراديو وانتهاءاً بالصواريخ، والمركبات الفضائية، ولعل أكبر تطبيق للبحوث الإلكترونية هو في مجال الحاسبات، ويشهد العالم سباقًا كبيراً بين الدول المتقدمة في صنع الحاسبات الكبيرة، والصغيرة. فاليابان صنعت لوحدها عام ١٩٨٠م حوالي (٧٢١٠٨) حاسبة كبيرة، وكانت حصتها من الإنتاج العالمي من الحاسبات الإلكترونية ٥ر٥٪، في حين أن حصة إنتاج الشركات الأمريكية من مجمل إنتاج السوق الرأسمالي بلغ ٨٠٪(٨) . ويبلغ حجم إنتاج الحاسبات الألكترونية بأنواعها المختلفة في اليابان ٤ر٢ ترليون ين، وكان من المتوقع أن يصل عام ١٩٩٣م إلى ٨ر٥ ترليون ين(٩). هذا ولقد أعلن مؤخراً بأن اليابان ستنفق حوالي ١ر١٠ مليون دولار كل عام، ولمدة ثماني سنوات قادمة لتطوير أنواع محددة من أجهزة «الإنسان الآلي» التي ستغزو العالم قرب مطلع القرن القادم(١٠).

٣ـ التقنية (التكنولوجيا) الحياتية وبحوث الهندسة الوراثية:

تعمل الدول المتقدمة على استغلال التقدم الكبير في مجال الكيمياء، والكيمياء الحيوية، وعلم الحياة الجزيئي، وعلم الوراثة، للقيام بتصنيع العديد من المواد الكيميائية، والصيدلانية بالاعتماد على البكتيريا، والقيام بتجارب على النباتات لإكسابها صفات جديدة لاتوجد فيها أصلاً، ومنها تثبيت النتروجين.

٤ـ تقنية (تكنولوجيا) الطاقة المتجددة «الليزر» وبحوثها:

استغلت الدول المتقدمة ماسمي بأزمة الطاقة عام ١٩٧٣م لتنشيط البحوث المتعلقة بأبدال الطاقة وماسمي بالطاقة المتجددة، مثل استغلال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح. وتصرف هذه الدول مبالغ طائلة في هذا المجال. فعلى سبيل المثال، طورت الولايات المتحدة مؤخراً مصدر ليزر ذا طاقة عالية أطلق عليه اسم نوفا (NOVA)، وقد كلف تطوير هذه التقنية (التكنولوجيا) ١٧٦ مليون دولار، وسيكون بإمكان هذا الشعاع أن يولد في نقطة صغيرة ومركزة، طاقة تعادل كثافتها بلايين المرات الكثافة التي تولدها الشمس على المساحة نفسها، هذا وسيتمكن العلماء من القيام ببحوث حول توليد الطاقة عن طريق الاندماج النووي(١١).

٥ـ تقنية (تكنولوجيا) الفضاء:

أصبح الفضاء الخارجي مسرحًا للعديد من التجارب والبحوث، التي ترمي إلى قيام صناعات فضائية وإيجاد مصادر بديلة للطاقة، إن سبب اهتمام الشركات



سباق بين الدول المتقدمة لاستخدام الحاسبات في جميع المجالات العلمية والطبية.



إحدى تجارب
(ناسا) الفضائية

المتعددة بالفضاء الخارجي يكمن في انعدام الجاذبية، ووجود المواد الأولية لكثير من الصناعات، وستتركز الصناعات المستقبلية حول هذا الموضوع في مجال تصنيع الهرمونات والمكونات الألكترونية، وتقدر الدراسات التي أجريت في هذا الاتجاه بأن الإنتاج سيبلغ بعد عشر سنوات بليون طن في العام، وستكون قيمة هذا الإنتاج الفضائي حوالي مائة بليون دولار في السنة(١٢).

هذه أهم الاتجاهات المستقبلية للبحث العلمي، وتقوم الدول المتقدمة بإنفاق مبالغ كبيرة على البحث العلمي، فعلى سبيل المثال فإن الميزانية السنوية للبحث العلمي في اليابان في عام ١٩٨٥م بلغت ٢٤ مليار دولار. ويشكل هذا المبلغ ٦ر٢٪ من الدخل القومي(١٣). وتأتي اليابان في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في الإنفاق على البحث العلمي (لايشمل ذلك الاتحاد السوفييتي - سابقا -). إن هذه البحوث لاتحتاج إلى الكوادر العلمية المتقدمة والإنفاق الكبير فحسب، بل تحتاج إلى وجود قيادات علمية كفؤة، وإدارة علمية عالية التنظيم، وإلى نظام متقدم لتبادل المعلومات العلمية والتقنية (التكنولوجية).

البحث العلمي في الدول النامية

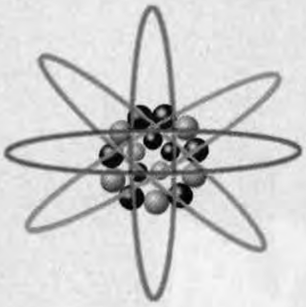
في الجانب الآخر تأتي الدول النامية، التي تشكو من تخلف اقتصادي وثقافي وعلمي كبير، وإذا حاولنا تحديد المحاور التي تؤثر وتتأثر بالبحث العلمي في الدول النامية، فسنجد أن أهم هذه المحاور، أو العوامل:

١- نمط التنمية الاقتصادية.

٢- فلسفة التعليم بمراحله المتقدمة.

٣- نقل التقنية (التكنولوجيا).

بالنسبة للمحور الأول: نستطيع ملاحظة انعزال البحث العلمي في الدول النامية عن مجمل عملية التنمية، خاصة الاقتصادية منها، والسبب لايعود إلى عدم كفاءة الكوادر العلمية، أو لضعف أجهزة البحث العلمي، بل يعود إلى نمط التنمية الاقتصادية في الدول النامية، وفي هذا المجال تقول دراسة أجريت على دول أمريكا اللاتينية : إن مراكز الأبحاث في الدول النامية مبتعدة عن الفعاليات الإنتاجية، بسبب عدم وجود طلب أو ضغط على العلم والتقنية (التكنولوجيا) المحلية من قبل القطاعات الإنتاجية(١٤).





ولعل أفضل قول يمثل العلاقة بين العلم في الدول النامية وبين التنمية ما قاله العالم الهندي آلام: "من المؤكد أن العلم في الهند قد تطور وأصبح مثار الإعجاب بكل المقاييس، فقد حصل العلماء الهنود على جائزة نوبل، كما أن مقالاتهم تنشر في كل مجلة علمية في العالم الرأسمالي، ولقد نجحوا في تفجير قنبلة ذرية، وفي إرسال قمر اصطناعي إلى الفضاء، ولكن من استفاد من كل هذا الإنفاق وهذا التطور؟ هل أدى كل هذا إلى خفض الفقر وسوء التغذية والمرض والبطالة في البلد؟"(١٥).

أما التعليم - المحور الثاني - في الدول النامية فهو متخلف إلى درجة كبيرة، فرغم تطور الإنفاق على التعليم في هذه الدول حتى إنه بلغ أكثر من ٤٪ من الدخل القومي لعام ١٩٧٦م(١٦). إلا أن التعليم يشكو العديد من الأمراض. لعل من أهمها:

(أ) هدر كبير، حيث تبلغ نسبة تكاليف الدراسات العليا للطالب الواحد إلى تكاليف الدراسة الابتدائية في أفريقيا ٣٠ إلى ١، في حين تبلغ ٥ إلى ١ في كندا وأستراليا(١٧).

(ب) غياب شبه كامل للتخطيط والتنسيق بين أجهزة التعليم والأجهزة الأخرى، لذلك فإن المعاهد الزراعية في الدول النامية تكاد تكون مهملة، رغم أن نسبة العاملين في ريف معظم الدول النامية تشكل أكثر من ٥٠٪ من مجموع السكان(١٨).

(ج) عدم وجود فلسفة تعليمية وتربوية لدى الكثير من البلدان النامية، وينعكس هذا الوضع على مناهج التعليم، التي هي عبارة عن نسخة مشوهّة من تلك الموجودة في الدول المتقدمة، مما يؤدي إلى نوع من التبعية الثقافية لدول العالم المتطور.

(د) النسبة العالية من الأميين مما يشكل عائقًا أمام أي تقدم جدي(١٩).

إن هذا الوضع التعليمي قد أدى إلى خلق أفراد بعيدين عن روح


المجال الزراعي لايجد اهتمام الدول النامية رغم أهميته



الفضاء الخارجي
مسرح للتجارب
والبحوث

التتبع العلمي والابتكار، ولقد انتبهت الشعوب القديمة إلى أهمية التعليم، فيذكر مثل صيني مايلي "إذا أردت مشروعًا تحصده بعد عام فازرع قمحًا، وإذا أردت الحصاد بعد عشرة أعوام فاغرس شجرة، وإذا أردت حصاد مائة عام فعلّم الشعب". فالحبوب التي تزرعها مرة تحصدها مرة، والشجرة التي تغرسها تقطعها عشر مرات، وإذا علّمت الشعب حصدت مائة مرة(٢٠).

أما المحور الثالث الذي يؤثر في البحث العلمي، فهو مايسمّى بنقل التقنية (التكنولوجيا). إن الدول النامية تعتقد بأنه من الممكن اللحاق بالدول المتقدمة إذا قامت بنقل كثيف للتقنية، لأن الدول النامية لاتمتلك إلا القليل منها، في حين تحتكر الدول المتقدمة ٩٥٪ من التقنية (التكنولوجيا) العالمية(٢١)، مما جعل الدول النامية تدفع مبالغ طائلة، حتى بلغت الكلفة المباشرة لنقل التقنية (التكنولوجيا) حوالي ٢٠ مليار دولار نهاية عام ١٩٧٨م، وستبلغ مابين ١٥٠ - ٢٥٠ مليار دولار عام ٢٠٠٠(٢٢).

لقد أسفرت تجربة الأعوام الماضية للدول النامية عن نقل التقنية في بعض المجالات، دون المعرفة المرافقة لها. ولم تتمكن هذه الدول حتى من إنشاء القاعدة العلمية والتقنية، القادرة على استيعاب التقنية، ومن ثم تطويرها في مراحل لاحقة، وأصبحت الدول النامية تعتمد على الدول المتقدمة والشركات متعددة الجنسيات في تغذية هذه التقنية (خالية المعرفة) المستوردة، مما زاد في القطيعة مابين القطاعات الإنتاجية المحلية في الدول النامية، وبين القاعدة المحلية، وولّد هذا الوضع نوعًا من تبعية الدول النامية تقنيًا (تكنولوجيًا) للدول المتقدمة(٢٣).

أزمة البحث العلمي في الدول النامية

إن كلا من المحاور الثلاثة التي ذكرت تحتاج إلى معالجة مطولة، هي ليست هدفنا في هذا المقال، وسننتقل الآن إلى تلخيص أزمة البحث العلمي في الدول النامية، والتي نراها تتضمن:

١- الإنفاق على البحوث العلمية:

تنفق الدول المتقدمة ٩٨٪ من مجموع الإنفاق العالمي على البحث والتطوير، في حين تنفق الدول النامية ٢٪.

الدول النامية تنفق على البحوث العلمية ٣٥ر٠٪ من الدخل القومي، وهو أقل بست مرات من المعدل العالمي. هذا وتنفق الدول النامية ثلاث دولارات فقط لكل فرد منتج اقتصاديا، في حين أن المتوسط العالمي بلغ ٤ر٦٦ دولار، ويبلغ حده الأعلى في الولايات المتحدة حيث يبلغ الإنفاق ٣٣١ دولاراً لكل فرد منتج اقتصاديا(٢٤).

٢- الكوادر العلمية:

الكوادر العلمية العاملة في مجال البحث العلمي والتطوير قليلة في الدول النامية، حيث إن نسبة الباحثين في الدول النامية تبلغ ٦ر١٢٪ من مجموع الباحثين في العالم(٢٥)، كما أن هناك غيابًا شبه كامل للكوادر الفنية الوسطية، بالإضافة إلى أن معظم الكوادر

العلمية في الدول النامية تكون منهمكة في التدريس أو الإدارة التي تأخذ معظم وقتها.

٣- ضعف تأثير الجامعات:

يعتبر البحث العلمي أحد الوظائف الأساسية للتعليم العالي، وتعتبر الجامعات في الدول المتقدمة مراكز إشعاع ونقاط انطلاق للبحوث الأساسية والموجهة، ويأخذ التدريس جزءاً قليلاً من وقت الأستاذ الجامعي في الدول المتقدمة، على عكس ماعليه الحال في الدول النامية.

الجامعات في كثير من الأحيان في الدول النامية تكون منعزلة عن المجتمع، ويُرهق الأستاذ الجامعي بالعديد من المحاضرات والواجبات الثانوية التي تعيق تقدمه كباحث علمي، علاوة على غياب متطلبات البحث العلمي في الجامعات كالأجهزة الجيدة، والمساعدين الفنيين والمكتبات وأجهزة المعلومات، وهناك أيضًا عزلة يعاني منها الأستاذ الجامعي، تكمن في الغياب عن المؤتمرات العالمية، والمحافل العلمية الدولية، والتي يكون لها تأثير كبير في عدم اطلاعه على الجديد، مما يحتاج إليه على صعيد البحث والإنجاز العلمي الرفيع. كما أن الجامعات في الدول النامية موجهة بالدرجة الأولى نحو تخريج أعداد متزايدة من الطلاب. فالكم وليس النوع هو حقيقة التعليم في هذه الدول، لأن أحد الأهداف الرئيسة للتعليم فيها هو القضاء على الأمية وتعليم أكبر عدد ممكن من الطلاب، ودون توفير الإمكانات اللازمة والأعداد اللازمة من الأساتذة للقيام بهذه المهمة، فإن الأستاذ الجامعي لن يستطيع القيام بالبحث العلمي، خاصة وأن هذا المجال - البحث العلمي - أصبح أكثر تعقيداً، وعاد يحمل مواصفات لم تكن موجودة في السابق، وأهمها:

أ - إن البحث في التخصصات الضيقة قد شهد انحساراً، وبدأ زمن نشهد فيه نشر بحوث تشمل مجالات علمية مختلفة. ومن هنا فإننا نجد مجامع بحثية يعمل فيها متخصصون في الكيمياء والفيزياء والهندسة وعلوم الحياة، وأصبح انفتاح علماء جامعة في بلد ما على الجامعات الأخرى ومراكز الأبحاث، سواء في البلد نفسه، أو في البلدان الأخرى، ضرورة وليس ترفًا، وهذا الانفتاح لايتم من خلال المؤتمرات العلمية فحسب، بل من خلال تبادل الأساتذة لمدد مختلفة للقيام بمشاريع بحث مشتركة.

ب - إن البحث العلمي يتجه في كثير من التخصصات نحو التعقيد، واستعمال الأجهزة المتطورة، والمتقدمة، والتي تكلف كثيراً، وتحتاج إلى تعاون عدة جامعات أو عدة دول. وكمثال على ذلك فإن كلفة المسارع الأوروبي (سيرن) والذي تعاونت



التخلف الاجتماعي والفقر من المشكلات الملحة في الدول الفقيرة

على إقامته عدة دول وصلت إلى ٢٠٠ مليون فرنك فرنسي(٢٦) - حيث يتعاون علماء الدول الأوروبية على القيام ببحوث مشتركة باستعمال هذا المسارع - ومن هنا نصل إلى الحقيقة التي تقول بأن المختبرات غير المجهزة والفقيرة لايمكن أن تنتج أبحاثا جيدة، ولعل العالم باستور خير من يمثل هذا الوضع حينما يقول: "كيف ينصرف المرء إلى أبحاث حول الانحلال والفيروسات، وإلى تجارب في التلقيح، في غياب مكان خاص لاستقبال الحيوانات الميتة أو الحية؟" "كيف نخضع لتجارب متنوعة في مختبر فقير الإمكانات لامورد له، ولاحتى الطرائق التي تجعل حفظ اللحم ونقله ميسوراً، إن هذه الأبحاث والأخرى غيرُها لايُستَساغُ القيام بها إلا عند تأسيس مختبر واسع. لقد آن الآوان لتحرير العلوم الاختبارية من حالات البؤس التي تقف حجر عثرة في وجه تقدمها" (٢٧).

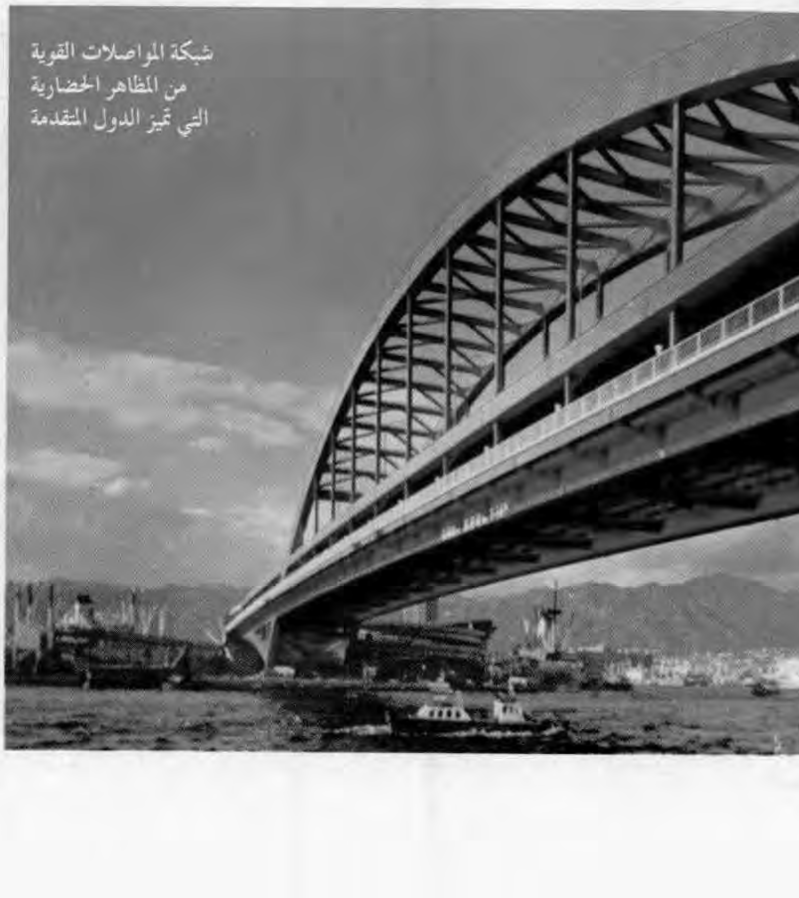
ج- لقد شهد العالم توسعا هائلا في عدد البحوث المنشورة. فعلى سبيل المثال قفز النشر في مجال الكيمياء من ١٣ ألف مقالة عام ١٩١٠م إلى ١٨٢ ألف مقالة عام ١٩٦٦م(٢٨)، ثم إلى أكثر من ربع مليون مقالة في الوقت الحاضر.

ويحتاج الكيميائي المحترف إلى أكثر من ثلاثين سنة من القراءة اليومية، وبمعدل ثماني ساعات يوميًا لاستيعاب المنشورات المتخصصة لعام ١٩٦٦م. من هنا يظهر أنه من الصعب على أي عالم متابعة مايجري ضمن اختصاصه الضيق، الأمر الذي يؤكد ضرورة التعامل مع أنظمة المعلومات، والتي لاتوجد في معظم جامعات الدول النامية.

د- في بداية القرن العشرين قسمت البحوث إلى بحوث صرفة (بحوث من أجل المعرفة)، وبحوث موجهة وبحوث تطبيقية. ونتيجة لتطور العلم في الوقت الحاضر يلاحظ بأن التمييز بين هذه البحوث أصبح صعبًا، فالدراسات النظرية البحتة في مجال البلورات وأشباه الموصلات والكيمياء الفراغية لايمكن أن تنفصل عن التطبيق، ولايمكن أن تكون هنالك بحوث تطبيقية بدون قاعدة علمية نظرية عميقة في أيّ موضوع علمي، ومن هنا فإن من الضروري أن تكون هنالك رؤية واضحة لنوع الأبحاث التي تقوم بها الكوادر البحثية في الجامعات، والتي تختلف بالضرورة عن الأبحاث التي تقوم بها الكوادر البحثية في مراكز الأبحاث المختلفة.

٤ـ غياب الاستراتيجية العلمية:

هنالك غياب للاستراتيجية العلمية في معظم الدول النامية، ويتجسد هذا الأمر في غياب خطة للعلم والتقنية (التكنولوجيا) تكون جزءاً من خطة التنمية القومية(٢٩)، ولقد دلت الدراسات التي قامت بها اليونسكو على عدم اهتمام الدول النامية بتبني استراتيجية علمية، كما أن معظم الدول النامية لاتتبنّى سياسات علمية حتى على صعيد أصغر المستويات العلمية، وقد أسفر هذا الوضع عن غياب الرؤية الواضحة لإسهام البحث العلمي في التنمية القومية، فساد التشويش، بحيث لم يعد هنالك أيّ تمييز بين واجبات أجهزة البحث في مراكز الأبحاث، وبين أجهزة البحث والتطوير في المصانع، وأجهزة البحث في الجامعات. لقد أدى هذا التخبط إلى غياب النظرة الشمولية لدى معظم القيادات العلمية للدول النامية، وإلى إرباك أجهزة البحث العلمي، مما دفع الباحثين نحو السلبية، أو الانغلاق، أو ترك


شبكة المواصلات القوية
من المظاهر الحضارية
التي تميز الدول المتقدمة



البحث العلمي.

٥ـ المعوقات الاجتماعية:

التعليم والتربية في المجتمعات النامية يساعدان على خلق إنسان ضعيف لايعتمد على نفسه، ويخضع لهيمنة العائلة، والقوى الاجتماعية المحيطة به(٣٠). وتؤدي المدارس والعائلة دوراً كبيراً في التطويع الفكري، بحيث يؤدي كل ذلك إلى قتل أيّ إمكانية للإبداع لدى الأفراد. إن التخلف الاجتماعي والحضاري لدى أفراد الدول النامية، يعكس نفسه في ممارسات تتميّز بالانكماش، والتخوف بين الباحثين في مناقشة النتائج العلمية التي توصلوا لها، والابتعاد عن العمل الجماعي، وشيوع الحسد والتنافس غير المشروع. إن النظام الاجتماعي يجعل الأفراد سلبيين تجاه المشاكل التي تعترض طريقهم العلمي، ومن هنا نرى ضعف التعبير وغياب حرية الرأي في المحيط العلمي وغياب الديمقراطية ضمن المؤسسات العلمية لدى بعض الدول النامية(٣١).

٦ـ العوائق التي تتعلق بنظام الإنتاج:

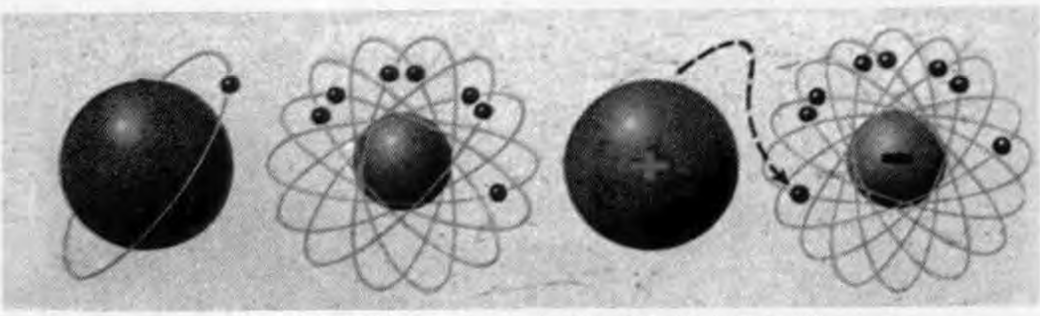
في دراسة قام بها أحد العلماء حول البحث العلمي في دول أمريكا اللاتينية، تبين أن أحد أسباب تخلف البحث العلمي في هذه الدول خطأ السياسات المتبعة في مجال العلم(٣٢)، إذ إن هذه السياسات تعكس تبعية النظام الإنتاجي بأكمله للدول المتقدمة، وقد أدى ذلك إلى عزل علم أمريكا اللاتينية عن الإسهام في تطوير الإنتاج.

لقد دلت الدراسات على أن كثيراً من الدول النامية تقوم بالاعتماد على الدول المتقدمة في بحوثها، بل إن الدول المتقدمة توجه الدول النامية للقيام بالبحوث التي تستفيد منها، فعلى سبيل المثال شجعت الدول المتقدمة البرازيل على القيام بإنتاج الكحول من قصب السكر للتخلص من أزمة الطاقة، وعلى ذلك قامت البرازيل بزراعة مساحات شاسعة من أخصب الأراضي الزراعية بقصب السكر، ووجهت البحوث من أجل إنتاج الكحول منه. إن هذه السياسة العلمية قد أدت إلى ضياع أفضل الأراضي المنتجة في البرازيل(٣٣)، وظهور مشكلة التلوث وضياع جهود العديد من العلماء.

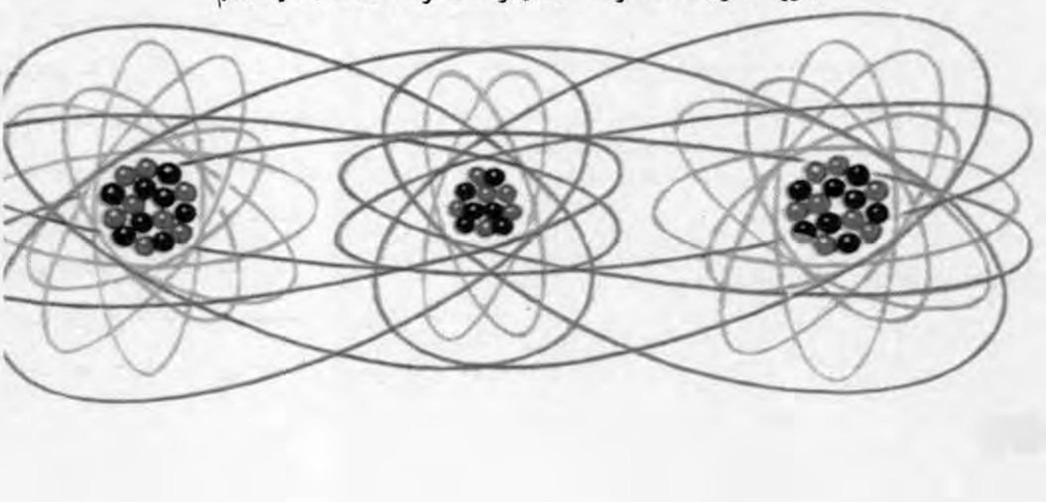
وفي دراسة أخرى عن الاتجاهات العلمية العالمية(٣٤)، والتي شملت أكثر من ثمانين دولة تبين أن معظم الدول النامية تأخذ بنفس الاتجاهات العلمية الموجودة في الدول المتقدمة، وأهمها البحوث الطبية، وبحوث التلوث، في حين أنها تهمل البحوث في المجالات الزراعية، والتي تعتبر ضرورية لمثل هذه الدول.

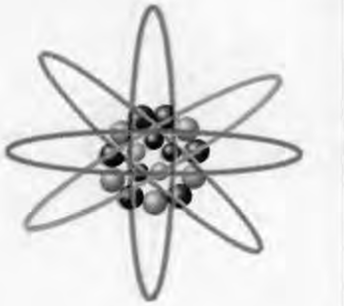
٧ـ ضعف الاعتماد على الذات:

أكثر الدول النامية تعتقد بأن نقل التقنية (التكنولوجيا) الجاهزة، سيدفعها نحو التطور السريع، وتقوم بعض هذه الدول بالاعتماد على الشركات متعددة الجنسيات، للقيام بنقل التقنية (التكنولوجيا)، وإجراء دراسات الجدوى، وبلا شك فإن لهذه العملية مردودات سياسية واقتصادية وعلمية سلبية، أما المردودات العلمية السلبية فهي إعاقة خلق قاعدة علمية محلية، فقد بينت دراسة قامت بها منظمة الدول الأوربية (الأوسيد) حول دور الشركات متعددة الجنسيات في التأثيرفي البحث العلمي في الدول النامية(٣٥) وفي إعاقة خلق القاعدة العلمية المحلية، وبينت هذه الدراسة أن الشركات متعددة الجنسيات منعت إقامة وحدات



تجاوزت الدول المتقدمة المرحلة الصناعية ودخلت مرحلة الصناعات كثيفة العلم





للبحث والتطوير داخل المصانع التابعة لها، وأبعدت الباحثين المحليين عن الإسهام في تطوير وتطويع التقنية في المصانع والمنشآت التي تقيمها، وتشرف عليها هذه الشركات.

كما دلت دراسة أخرى عن دور الشركات متعددة الجنسيات في الهند، على أن إحدى هذه الشركات أنشأت وحدة للبحث والتطوير في أحد مصانع دهون المحركات، وكان في هذا المصنع ٣٥٠ باحثًا، الغالبية منهم أجانب يحملون شهادة الدكتوراه.

أما البحوث التي قام بها العلماء الهنود العاملون في الشركة، وبراءات الاختراع التي توصلوا إليها، فلم تسجل بأسمائهم أو باسم البحث العلمي الهندي، بل سجلت باسم الشركة المتعددة الجنسيات.

٨ـ المعوقات المؤسسية والإدارية:

تفتقر معظم المؤسسات العلمية في الدول النامية إلى الإدارة العلمية الكفؤة، كما تفتقر المؤسسات العلمية إلى خطط علمية واضحة، ويؤدي الاجتهاد الشخصي للإدارات العلمية دورا كبيرا في تنشيط أو إعاقة البحث العلمي لدى الباحثين، لذلك فإن سياسة أي مؤسسة علمية تتوقف على رئيسها، وتتغير بتغيره. كما أن المؤسسات العلمية تفتقر إلى أجهزة تقويم موضوعية للباحثين. ومعظم الجامعات ومؤسسات البحث العلمي في الدول النامية لم تستطع بعد تطوير التقاليد العلمية والتي تبدأ بالقاعدة العلمية، وتنتهي بالهرم، ومن ثمَّ فإن وضعًا كهذا لن يشجع على ظهور القيادات العلمية الكفؤة.

٩ـ الفروق المادية:

إن كثيرًا من الإدارات العلمية وغير العلمية تنظر إلى الباحث والعالم نظرة غير واقعية، فالعالم يحتاج إلى شراء المصادر والكتب والمجلات العلمية والاشتراك في الجمعيات العلمية، والباحث جزء من مجتمعه، لذلك فلابد من ضمان مستوى معيشي لائق به، إذ إن من الصعب أن نطلب من الباحث أن يفكر بعمق في أيّ موضوع، في حين تشغل باله مشاكل اقتصادية لاحصر لها. لقد كتب العالم بيير كوري يقول عن إنجازاته العلمية والظروف التي تهيأت له من أجل إنجازها «كان ذلك يقتضي أن يكون كل شيء من حولي هادئًا»(٣٧).

إن الباحث الذي يكون مستواه المعيشي أقل من كثير من ممن هم أقل منه علما وإنتاجا، يجعله يبحث عن مصادر أخرى للتمويل(٣٨)، وفي ذلك خسارة كبرى للعلم في ذلك البلد.

إن الدوافع الماديّة والاقتصادية تؤدي دورًا حاسمًا في حياة ومسيرة الأمم، وهي تقوم بنفس الدور نفسه بالنسبة للأفراد، ولاُيستثنى من ذلك العلماء الذين هم جزء من المجتمع الذي يعيشون فيه.

خاتمة

إن هدف هذا المقال إثارة النقاش حول موضوعات ذات تأثير مهم في حياتنا العلمية، ومن هنا فإن إغناءه من قبل علمائنا وقياداتنا العلمية العربية ستبقى ضرورة لايمكن تجاهلها، مهما كانت الصعاب.

لم يقدم هذا المقال أيّ حلّ لما ذكر أعلاه، وربما سيكون ذلك أحد أهدافنا في مقال آخر، نناقش فيه أزمة البحث العلمي العربي، أسبابها وكيف يمكن تجاوزها.

الهوامش

١ـ بول بايروك، مأزق العالم الثالث، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٣م، ص٥.
٢ـ المصدرنفسه، ص ٦.
3- JAN ANNERSTEDT,ASURVEY OF WORLD R AND D.E fforts, OCED DEVELOPMENT CENTER PARIS, NOV 1979,p.11.
٤ـ إلياس معلوف ـ البحث العلمي والانماء ـ دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص٧٠.
٥ـ المصدرنفسه، ص ٧١.
6-ALVIN TOFFLER, THE THIRD WAVE PAN BOOK, UK, 1981,P.25.
٧ـ آفاق عربية، عدد ٨، ص ١٤٤، ١٩٧٩م.
٨ـ ي.ب. فيستافكي، ف.غ واقيديتكو.
٩ـ المصدرالسابق نفسه.
10-OMNI, JUNE 1985, P.67.
11- NEW SCIENIST, 18 APRIL 1985.
12- OMNI, July 1985.
13- NEW SCIENTIST, 21 MARH, 1985.
14- Science Technology and DEVELOPMENT EDITED BY CHARLES COOPER, FRANK CASE LONDON, 1973, P.73.
١٥ـ د. محمد أشرف البيومي، ود. سهير مرسي، المستقبل العربي، العدد ١٥ آيار، ١٩٨٠م، ص٢٨.
١٦ـ تقرير البنك الدولي، ١٩٨٠م، ص٥٩.
١٧ـ غراهام جونس، دور العلم والتكنولوجيا في البلدان النامية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م، ص ٣١.
١٨ـ المصدرالسابق نفسه.
19-SCIENCE TECHNOLOGY AND GLOBAL PROBLEMS INTER NATIONAL COUNCIL OF SCIENTIFIC, UNIONSCO MMITTEE ON SCIENCE AND TECHNOLOGY IN DEVELOPING COUNTRIES PERGAMOV PRESS,1980.
٢٠ـ د. رضا بوكراع، المستقبل العربي، آيار ١٩٨٠م، ص٢١.
٢١ـ د. جعفر عبدالغني، حول نقل التكنولوجيا، بغداد ١٩٧٦م.
٢٢ـ وثيقة الأنكتاد، UNCTAD ITT/P.198
٢٣ـ عبداللطيف بن أشنهو، النفط والتنمية، السنة الخامسة، حزيران ١٩٨٠م.
24-JAN ANNER STEDT, P.11.
٢٥ـ المصدرالسابق نفسه، ص٢٤.
٢٦ـ المصدرالسابق نفسه، ص١٠٣.
٢٧ـ فلاديمير كورغانوف وجان كلود كورغانوف، البحث العلمي، منشورات عويدان، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٥.
٢٨ـ المصدرالسابق نفسه، ص٢٣.
29-WORLD PTAVE OF ACTION.
٣٠ـ د. فيليب أديب سالم، المستقبل العربي، عدد ١٩٧٨/٧م. ص٨٠.
٣١ـ د. زهير حطب، قضايا عربية، شباط، ١٩٨١م، ص١٣٨.
٣٢ـ جالس كوبر، مصدر سابق، ص١٩.
٣٣ـ د. علي نصار، مصدر سابق، ص٣٨.
٣٤ـ د. سالم عبدالجبار الشريده، حوال نقل التكنولجيا المعاكس، عمان، ١٩٨٩م.
35-NEW SCIENTIST 2NOV, 1978. -٣٥
٣٦ـ المصدرالسابق نفسه.
٣٧ـ فلاديمير كورغانوف، ص ١٠.
٣٨ـ د. زهير حطب، مصدر سابق، ص٨٧.

من نوادر التصنيف

> حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

نكت الهميان في نُكت العميان

كتاب في أخبـــار ونوادر وتراجم العميـان ممن فقدوا نعمة البصر في مقتبل العمر أو آخره، لمؤلفه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفـدي المتـوفى سنة ٧٦٤هـ، وصاحب المؤلفات الكبيرة والكثيرة، وقد ألف كتابه هذا لما وجد من سبقه من المؤلفين يسوقون فصلاً أو باباً في كتبهم في المكافيف كابن قتيبة في المعارف، وابن الجوزي في تلقيح فهوم الأثر، وابن بانة في رأس مال النديم، فقوّى هذا العزم لدى الصفدي أن يُفرد لهم تصنيفاً يخصهم فيه بالذكر، فكان هذا الكتاب الذي رتبه على مقدمات ونتيجة، ذكر في المقدمات فوائد لغوية وأدبية وصرفية وفلسفية وشرعية مع ذكر ماجاء في ذلك من الأخبار والآثار كقصة الأقرع والأبرص والأعمى التي وردت في صحيحي البخاري ومسلم.

ثم أورد الصفدي طائفة من النوادر تتعلق بالعميان منها:

• قال بعضهم لبشار: ما أذهب الله كريمتي مؤمن إلا عوضه الله خيراً منهما، فبم عوضك؟ قال: بعدم رؤية الثقلاء مثلك.

• قال بعضهم: نزلت في بعض القرى وخرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة ومعه سراج، فقلت له: يا هذا، أنت والليل والنهار عندك سواء فما معنى السراج؟ فقال: يافضولي، حملته معي لأعمى البصيرة مثلك، يستضيء به فلا يعثر بي فأقع أنا وتنكسر الجرة.

• قال المتوكل يوماً: لولا ذهاب بصر أبي العيناء لنادمته، فبلغه ذلك فقال: قولوا له إن أعفيتني من قراءة نقوش الخواتيم ورؤية الأهلة صلحت لغير ذلك، فبلغ المتوكل ذلك فضحك ونادمه.

• دخل يزيد بن منصور الحميري على بشار وهو واقف بين يدي المهدي ينشد شعراً، فلما فرغ من إنشاده أقبل يزيد بن منصور على بشار وقال له: ما صناعتك ياشيخ؟ فقال له: أثقب اللؤلؤ، فضحك المهدي وقال لبشار: اغرب ويلك، أتتنادر على خالي؟ قال: وما أصنع به؟ يرى شيخاً أعمى قائماً ينشد الخليفة مديحاً، يقول له: ماصناعتك؟

وأورد الصفدي شيئاً من شعر العميان وماقيل فيهم من الغزل وغيره، من ذلك:

• أنشد الجاحظ لابن عباس رضي الله عنهما:

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما
ففي لساني وسمعي منهما نورُ
قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارمٌ كالسيف مأثورُ

• قال بشار بن برد:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذنُ تعشق قبل العين أحيانا
قالوا: بمن لاترى تهذي فقلت لهم
الأذن كالعين توفي القلب ماكانا

• قال أبو العز مظفر بن إبراهيم الضرير:

قالوا عشقت وأنت أعمى
ظبياً كحيل الطرف ألمى
وحُلاه ما عاينتها
فنقول قد شغلتك وهما
وخياله بك في المنا
م فما أطاف ولا ألمّا
من أين أرسل للفؤا
د وأنت لم تنظره سهما
فأجبت إني موسويّ
العشق إنصاتًا وفهما
أهوى بجارحة السماع
ولا أرى ذات المسمّى

وقد أورد الصفدي طائفة من تراجم من أصيب بالعمى من الصحابة والعلماء وغيرهم كالترمذي الكبير الحافظ، والفقيه منصور المصري الشاعر، وأبي العيناء، والشاطبي المقرئ، وأبي العلاء المعري، والسهيلي صاحب الروض الأنف، وابن سيده اللغوي، وأبي البقاء العكبري، وابن الخباز النحوي، والنيلي شارح الحاجبية وغيرهم، ومن أشهر هؤلاء:

• العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي استسقى المطر عام الرمادة لما أقحط الناس وكان ضريرا فسقى الله البلاد والعباد، وكان مما قاله بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم إن عندك سحابًا وعندك ماءً فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا، فاشدد به الأصل وأطل به الفرع، وأدرّ به الضرع، اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ولم تكشفه إلا بتوبة.. إلخ.

• علي بن أحمد بن سيدة اللغوي الضرير، صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة، قال أبو عمر الطلمنكي: دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا عليّ الغريب المصنف، فقلت لهم: انظروا من يقرأ، وأنا أمسك كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأه من أوله إلى آخره حفظًا من قلبه فتعجبت منه.

ومن أهم ما في الكتاب الإشارة إلى أن برايل صاحب الكتابة البارزة الخاصة بالعميان، والذي تدرس طريقته باللمس في أنحاء المعمورة لم يكن سابقًا في ذلك، وإنما سبقه في ذلك أحد العلماء المسلمين هو علي بن أحمد بن يوسف الحنبليّ الآمدي العابر المتوفى بعد سنة ٧١٢هـ حيث كان إذا اشترى كتاباً بشيء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفة وفتل منها فتيلة لطيفة وصنعها حرفًا أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجمل، ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل، ويلصق فوقه ورقة لتتأبد، فإذا شذ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما من كتبه مسّ الموضع الذي علّمه في ذلك الكتاب بيده، فيعرف ثمنه من تنبيت العدد الملصق فيه.

وقد نشر الكتاب بعناية أحمد زكي بك عام ١٣٢٩هـ، ١٩١١م.

الشيب
بَيْنَ الطِّبِّ.. وَالأدَبِ

د. حسان شمسي باشا

يعتبر الشيب من الظواهر الطبيعية التي تحدث مع تقدم السن، وينجم الشيب عادة عن نقص تدريجي في وظيفة الخلايا الصباغية «Melarocytes» . ويترافق فقدان الشعر للونه الطبيعي بتوقف نشاط أنزيم خاص يدعى « تيروزيناز » . كما تصبح الشعرات البيضاء خالية من الخلايا الصباغية. ويحدّد الاستعداد الوراثي السنَّ الذي يبدأ فيه انتشار الشيب في الرأس ، رغم أن هناك بعض العوامل المكتسبة التي يمكن أن تؤدي دورًا في إحداث الشيب.

ويبدأ الشيب عاده عند الأوربيين والأمريكيين - كما يذكر كتاب « Rook » الشهير للأمراض الجلدية - في سن ٢٥- ٤٣ سنة . وما إن يبلغ الناس الخمسين من العمر ، حتى يصيب الشيب هناك نصف الناس .

وأما عند اليابانيين فيبدأ الشيب بالظهور في سن ٣٠-٣٤ سنة عند الرجال، و٣٥-٣٩ سنة عند النساء.

ويبدأ الشيب عادة في الصُّدغين، ثم ينتشر في الرأس مع الزمن . وكثيرًا مايبدأ الشيب في اللحية والشارب قبل شعر الرأس والجسم . وآخر مايصاب بالشيب شعر الجسم (١).

لماذا يحدث الشيب المبكر ؟

يعرَّف الشيب المبكر بحدوث الشيب قبل سن العشرين من العمر عند الأوربيين والأمريكيين، وبظهوره قبل سن الثلاثين عند السود، ويُعتَقد أن هناك سببًا وراثيًا وراء ذلك. إلا أن هناك ترابطًا بين حدوث الشيب المبكر، و بعض أمراض المناعة الذاتية. فقد يكون الشيب المبكر أحد العلامات الأولى لمرض يدعى « فقر الدم » الخبيث (Pernicions Aremia)، وهو مرض ينجم عن نقص في الفيتامين (ب ١٢) . كما يحدث الشيب المبكر نتيجة التوتر النفسي والعاطفي الشديدين.

ظاهرة حيَّرت العلماء

يؤكد كتاب الأمراض الجلدية «Rook Tex Tcbook » في طبعته الأخيرة عام ١٩٩٢م. أن تحول الشعر الأسود إلى أبيض في ليلة واحدة ممكن، وقد جاء في الكتاب : «لقد حيّرت قضية اشتعال الرأس شيبًا في ليلة واحدة الأطباء والباحثين لقرون عديدة . وهناك حتمًا عدد من التقارير الطبية التي تؤكد حدوث مثل ذلك الأمر . والأمثلة التاريخية المشهورة التي تضرب دومًا في هذا المجال قصة السير « توماس مور » و « ماري إنطوانيت » حيث تحوَّل لون شعرهما الطبيعي إلى اللون الأبيض خلال الليلة التي سبقت إعدامهما » .

وقد نشرت حديثًا (عام ١٩٩٣م) مجلة « Ned-Tijdschr- Gereeskd »، حالة مريضة هولندية، تبلغ من العمر ٦٤ عامًا، وقد أبيضَّ شعرها تمامًا خلال الليل .

وقد ذكر كاتب المقال حالات مماثلة شاب فيها الشعر تمامًا خلال يوم واحد. ويعزو البعض سبب ذلك إلى حدوث « صلع بؤري » «Alopecia Areata» وربما تساقط ، نتيجة ذلك، الشعر الأسود وبقي في الرأس الشعر الأبيض !

وبالمقابل : هل يمكن للشعر الأشيب أن يعود إلى لونه الطبيعي ؟

يعتقد الباحثون أن معظم الحالات التي يعود فيها الشيب إلى اللون الأسود، هي حالات ناجمة عن نمو شعر طبيعي في مناطق « صلع بؤري » في الرأس ، إلا أن الشعر يمكن أن يعود إلى لونه الأسود في مرض يدعى «مرض أديسون»، وهو مرض ناجم عن نقص في إفراز الغدد الكظرية التي تقع فوق الكليتين (٢) .

الشيب في القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم على لسان زكريا عليه السلام :

« قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا»(مريم:٤).

قال القرطبي في تفسيره : قوله تعالى : «وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» هو من أحسن الاستعارة في كلام العرب. والاشتعال انتشار شعاع النار، شبّه به انتشار الشيب في الرأس. وأضاف الاشتعال إلى مكان الرأس ومنبته!!(٣).

وقد استعرض الأستاذ سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن مظاهر الإعجاز البياني في قوله تعالى : « وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا » فقال : إن الروعة البيانية لاتكون إذا قيل: اشتعل شيب الرأس ، أو الشيب في الرأس . ووزان ذلك أنك تقول : اشتعل البيت نارًا، فيكون المعنى أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول، وأنها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسطه. وتقول : اشتعلت النار في البيت، فلايفيد ذلك ، بل لايقتضي أكثر من وقوعها فيه وإصابتها جانبًا منه » (٤).

الشيب في السنة النبوية

روى الطبراني عن أبي جُحيفة قال : قالوا يارسول الله نراك قد شبت . قال : «شيبتني هودٌ وأخواتها » (٥).

يقول الإمام القرطبي في تفسيره : «فالفزع يورث الشيب، ذلك أن الفزع يذهل النفس فَيُنَشِّف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع ، ومنه يعرق .

فإذا انتشف الفزع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر وأبيضّ . وقال تعالى : « يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا » (المزمل: ١٧) ، فإنما شابوا من الفزع . وأما سورة هود ، فلما ذكر الأمم وما حلّ بهم من عاجل بأس الله تعالى ، فأهل اليقين إذا تلوها تراءى على قلوبهم من ملكه وسلطانه ولحظات البطش بأعدائه ، فلو ماتوا من الفزع لحقَّ لهم»(٦).

الشيب في الشعر العربي

يندر أن نجد شاعرًا أو أديبًا لم يتعرض لذكر المشيب والافتتان بوصفه مادحًا أو ذامًا، حتى أضحى لدينا مايمكن تسميته «فلسفة الشيب» ويبدو أن الشيب قد أصاب كثيرًا من الشعراء، وهم في سن الشباب . فقد شاب أبو تمام ، وهو ابن ست وعشرين فقال:

سِتٌ وعشرون تدعوني فأتبعها
إلى المشيب ولم تظلم ولم تجب
فأصغري أن شيبًا لاح بي حدثًا
وأكبري أنني في المهد لم أشب

وشاب أبو نواس وهو في الشباب أيضًا فقال:

وإذا عددتُ السِّنَ كم هي لم أجد
للشيب عذرًا للنزول براسي

وقال الشريف الرضي، وقد رأى في رأسه شيبًا، وعمره ثلاث وعشرون سنة :

عجلت ياشيبُ على مفرقي
وأي عذر لك أن تعجلا
كنتُ أرى العشرين لي جُنَّة
من طارقات الشيب إن أقبلا
فالآن سيان ابنُ أم الصبا
ومن تسدّى العُمَرَ الأطولا

كما شاب أبو فراس الحمداني، وهو في العشرينات، فقال :

ومازادت عن العشرين سنّي
فما عذرُ المشيب إلى عِذاري

وقد مدح بعض الشعراء الشيب، فهو عنوان للنضج والحكمة .

قال أحدهم يصوّر وقار الشيب :

لايُرعْكِ المشيب يابنةَ
عبدالله فالشيب جُلّة ووقار
إنما تحسنُ الرياضُ إذا ما
ضحكت من خلالها الأنوار

وقال عمرو بن زيد التميمي :

نزل المشيب بلمتي فتأشبا
أهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا
أهدى لنا حلمًا وعلمًا إذ ذوى
جسمي وبالتقوى أروحُ معصّبا
الشيبُ حلمٌ راجح ورزانةٌ
فيه وتجربة لمن قد جرَّبا
جاءتك فيه سكينة وبصيرة
فاشكر لربك وادعه مُتَحوِّبا

وقد اعتبره آخرون دلالة على الرجولة والبطولة . قال مسعود الكلبي :

وماشاب رأسي من سنين تتابعت
عليَّ، ولكن شيبتني الوقائع

وقال حريث بن مسلمة :

وإني لمن قوم تشيب سراتهم
كذاك، وفيهم نائلٌ وفَعال
ولولقيتْ ماكنت ألقى من العدى
إذن شاب منها مفرقٌ ، وقذال

وذكر الشعراء أيضًا كيف يشيب الصبي من كثرة الهموم والأحزان .

قال أبو الطيب المتنبي :

والهمُّ يخترم الجسيم نحافة
ويُشيبُ ناصية الصبي ويُهرم

وقال أبو سنان الخفاجي:

أناخ عليَّ الهمُ من كل جانب
بياض عذاري في سواد المطالب
وماراعني شيب الذوائب بعده
وعندي هموم قبل خلق الذوائب
ولكنه وافى وماأطلق الصِّبا
عناني ولاقضى الشباب مآربي

ولكن عددًا من الشعراء كان يخشى الشيب ويكره ظهوره .

قال أبو بكر الخوارزمي :

وإني لأرجو الشيب ثم أخافه
كما يُرتجى شربُ الدواء ويُحذرُ
هو الضيف إن يسبق فعيش مكدَّرُ
عليَّ، وإن يُسبَقْ فموتٌ مقدَّرُ

وقال الشاعر محمود الورَّاق :

لاتطلبن أثرًا بعينْ
فالشيبُ إحدى الميتتينْ
أبدى مقابح كل شينْ
ومحا محاسن كلّ زينْ
فإذا رأتك الغانيا
ت رأين منك غُرابَ بينْ
ولربما نافَسْن فيـ
ك وكُنَّ طوعًا لليدين
أيام عمَّمك الشبا
ب وأنت سهلُ العارضين

وقال الغزي :

لاتطمعنَّ بوصل خودٍ أبصرت
سيف المشيب على الشباب مجرّدا
عُذر الكواعب أنهنَّ كواكبٌ
لايجتمعن مع الصباح إذا بدا (٧) .

الهوامش :

١ - Rook Textbook of desmatology طبعة ١٩٩٢م .
٢ - Andrews Textbook of dermatology
٣ - الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١١ .
٤ - التصوير الفني في القرآن ٣١-٣٣ بتصرف .
٥ - رواه الطبراني . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٩٥٥) وصحيح الجامع الصغير للألباني (٣٧٢٠) .
٦ - تفسير القرطبي ٣/٩ .
٧ - «الشيب»، للأستاذ سعيد الكوسا .

الفيلسوف «هُوايتهد» وفلسفة الحضارة



صلاح الدين كامل مشرف

اشتهر الفيلسوف الإنجليزي الكبير "ألفرد نورث هوايتهد" (١٨٦١ - ١٩٤٧م) ببحوثه الرائدة ومؤلفاته العميقة في الرياضيات وماوراء الطبيعة. أما ماأسهم به في مجالات المعرفة الأخرى فغير معروف المعرفة الكافية ولامقدر التقدير الجدير بقيمته، وذلك برغم أن بحوثه في الفلسفة الاجتماعية وفلسفة التاريخ والحضارة والتربية، جزء هام من طريقة تفكيره ومنهج بحثه، وتتسم بما امتاز به من نضج التفكير واتزان الرأي ورحابة الأفق. وتقديرُه لمعنى الحضارة وقيمتها جدير بالنظر، وقليل من المفكرين الذين خاضوا عباب هذا البحث من كان له جوانب متعددة مثله، وكان له من الأفكار مايعينه على إشاعة الضوء في هذا الموضوع، فقد كان "هوايتهد"، علاوة على تعمقه في الرياضيات، متمكنا من العلم الطبيعي والفلك والتاريخ والأدب والفكر الديني والتربية والفلسفة.

مشكلة الحضارة

وهو لم يتناول مشكلة الحضارة في بحث خاص، وإنما عرض لها في كتبه المهمة الثلاثة: "العلم والعالم الحديث" و"تعاقب الظواهر والواقع" و"مغامرات الأفكار"، وفي محاضرات وبحوث أخرى، وقد كان يعد فلسفة الحضارة جزءًا مهماً من فلسفته. وكانت وفاة "هوايتهد" في سنة ١٩٤٧م، ولكن آراءه واتجاهاته الفلسفية لاتزال من المراجع المهمة في الفكر الحديث.

وكلمة حضارة واسعة الدلالة شديدة التعقيد، وقد ضمنها "هوايتهد" تعريفاً عاماً بسيطا، وهو أن الإنسان أو المجتمع يكون متحضرا إذا كان الحق والجمال والمخاطرة والفن والسلم هي الصفات الغالبة عليه والمميزة له. وهو لايعد الحضارة لوناً من ألوان الترف تستمتع به قلة قليلة من الناس المتفوقين، وإنما هي عنده شرط لازم من شروط الحياة الرضية.

وحب المخاطرة في رأي "هوايتهد" عامل مهم من عوامل الحضارة، بل هو عنده في طليعة العوامل الحضارية، لأن حب المخاطرة هو الذي يحدونا إلى نشدان أوجه الكمال في نواحي الحياة المختلفة، وهو يتضمن الانطلاق التلقائي وطرافة التناول، ويسمو بشعورنا بما هو كائن. ويؤدي الخيال الخلاق دوراً مهما في الحث على المغامرة، ويدفعنا إلى مناشط مستحدثة عقلية وجسدية؛ ولاتقتصر المخاطرة على مواجهة الأخطار الطبيعية مثل صيد الأسود في الغابات والأدغال الأفريقية، فإن المخاطرة الحقة مع الطبيعة قد تبدو في صورة محاولة "كريستوفر كولومبس" كشف القارة الأمريكية، وواضح من ذلك أن المخاطرة تبدأ في عالم التفكير قبل أن تبرز إلى عالم الواقع.

ويستخلص "هوايتهد" من ذلك أن هناك خطرا عظيما في اعتبار اليونان القديمة المثل الأعلى للحضارة، لأن مثل هذه النظرة نقيض روح المغامرة. والتعلق الشديد بأمجاد الماضي والإسراف في إكباره يغريان بحب السلامة والركون إلى الدعة. وقد كان اليونانيون القدامى في زمانهم أمثلة مجيدة للمخاطرة الخيالية، وكبار مؤلفي الدراما من اليونانيين كانوا لاينظرون إلى الوراء لمحاكاة من سبقهم ولايعتمدون على القوالب المحفوظة؛ وإنما كانت تتجلى قدرتهم في التناول المستقل الخلاق لمشكلاتهم. وقد كان "أسخيلوس" و"سوفوكليس" و"يوربيديز" و"أفلاطون" و"أرسطو" يعبرون عن آراء حديثة في الدين

والأخلاق ومشكلات عصرهم السياسية والاجتماعية.

وقد حلم "أفلاطون" بمثل أعلى للدولة عرضه علينا في كتابه: "الجمهورية"، وشق "أرسطو" لنفسه طرقاً جديدة في البحث.

فإذا أردنا محاكاة اليونان فإن السلوك القويم هو مجاراتهم في التجديد الفكري واقتحام المجاهل، أما الاكتفاء بالخضوع لأفكارهم والاستمساك الشديد بنظرياتهم مهما يكن نصيبها من الصحة والدقة، فإنه عقبة في سبيل التقدم. والأفكار التي كانت صالحة لعصر من العصور في الأغلب الأعم قد لاتصلح لعصر آخر، وكل عصر في حاجة ماسة إلى الجهد الخلاق الملائم لأحواله، لذلك يعارض "هوايتهد" الرأي القائل: إن الثقافة الحقة هي معرفة أحسن ما قيل وخير ما صُنِعَ. وعنده أن هذا الرأي ينطوي على نظرة خلفية للحياة.

وقد اتفق أن ما في حياة اليونان والرومان من براعة في الفن وما لهم فيه من آثار باقية ساعد على جعل لفظة الفن وكلمة الحضارة كأنهما يحملان معنى واحداً، ولكن "هوايتهد" يرى أن الحضارة تشمل أشياء أكثر من الاهتمام بالفن، وهذا واضح من قائمة المميزات التي عزاها إلى الحضارة.

ومادامت الحضارة تشجع على المخاطرة؛ فمن المحتمل أن تنتهي المخاطرة بكارثة، وفي إعراضنا عن حب السلامة الذي يُغري المرء بالكسل ويثني عزم صاحبه كما قال "الطغرائي"، نستطيع مواجهة المجهول واستطلاع المغيبات برغم مايثيره ذلك من مخاوف. ومن ثم لا مجال للتشاؤم، والثمن الذي يدفع للتقدم لابد أن يكون غالياً، ولولا المشقة لساد الناس كلهم كما قال "المتنبي". وإذا أردنا الاستمتاع بشيء أكثر طرافة وأعلى قيمة فيجب أن نعرض عن الشيء الأقدم عهداً والأقل قيمة ومنزلة. ولكي نمارس بلوغنا سن الرشد واكتمال الرجولة فعلينا أن نعرض عن أمن الطفولة. والتعلّقُ بلون من ألوان الكمال الثابت وَهْمٌ من الأوهام؛ لأن تيار الحياة لايكف عن الحركة ولا يتوقف عن السير، ليواسي الكسالى ويؤنس المتقاعدين. وفي كل حين تنشأ مشكلات جديدة لايمكن تناولها بالأساليب القديمة المألوفة، ومن ثم فإن المخاطرة ليست المصدر الوحيد للاستهداف للكوارث والنكبات، لأن الاعتماد على الأساليب القديمة قد يكون أشد خطراً وأدعى إلى وقوع الأحداث الرهيبة والمواقف غير المرغوب فيها، وفي أمثال هذه الحالات لايكون هناك أمل في الخلاص ما دامت روح حب المغامرة ومواجهة الأخطار غير موجودة.

وليس معنى هذا أن "هوايتهد" يحبذ التغيير بأي ثمن، ولا أنه يجحد قيمة الماضي وينكر فضله، فهو من أشد الناس تقديراً لأمجاد الماضي. وحكمة المتقدمين من المخلفات التي نعتز بامتلاكها، ولكن علينا أن نقدرها بالطريقة المعقولة والأسلوب السليم. ومما يضعف الحاضر أن نغلب عليه عبادة الماضي، والذي لايفيد من الماضي وتجاربه يعرض نفسه للوقوع في الأخطاء نفسها التي وقع فيها أسلافنا، والمخاطرة يجب أن تقوم على أساس الاستفادة من حكمة الماضي وعظاته، ولكن الشيء المهم في رأي "هوايتهد" هو ألا يكون الماضي - وإن جل شأنه - عقبة في سبيل التقدم.

والسمة المهمة الثانية من سمات الحضارة هي "السلم"، وليس السلم في رأي "هوايتهد" حالة استقرار وجمود، وإنما هو شعور إيجابي له أثر عظيم في إيقاظ النشاط وحفز الهمم، وهو لايقتصر السلم على المعنى السياسي، وإنما هو عنده حالة عقلية تمتاز بإدراك أن الجمال له أهمية عظمى، وهو قائم على الولاء للمثل الأعلى للانسجام الذي تنتصر فيه الاستقامة الأخلاقية في عالم جميل، وفي مثل هذا الانسجام يكون للحق منزلة مكرمة لأنه من أسمى القيم.

وحينما يتحقق السلم يتولد الهدوء الذي لا تعصف به العواصف، وتنطفئ نيران المطامع الذاتية والخلافات الضئيلة التي تثيرها الاحتكاكات اليومية العادية. ويمتاز السلم باتساع الأفق ووضع الوقائع بإزاء القيم المثالية، ومعنى هذا أن السلم يجعلنا ننظر إلى وجود الحياة الإنسانية المختلفة نظرة خالية من الأنانية، تجعل الإنسان لايحصر اهتمامه في الحصول على طعامه أو الالتجاء إلى ملاذ يحميه، ويصبح الكون لايدور حوله وحده.

ويعجب بالعمل الجدير بالإعجاب وإن لم يكن له فيه مشاركة، ولايجري وراء الشهرة ويتطهر من الأثرة الضيقة، وبذلك يصل إلى لازمة من لوازم الحضارة وهي حب الإنسانية والتخلص من قيود الأنانية، يطلق من عقالها القوى الحيوية التي تبددها عادةً في السعي وراء تحقيق الأغراض المحدودة، وتسنح لنا الفرصة للقيام بنشاط خلاق.

وتخفق وخزات شرور الحياة في إزعاج عقل المتحضر الذي حفلت نفسه بحب السلم، وهو لاينكر وجود الشر ويسلم بوقوع مآسي الحياة الرهيبة.

ولكنه يرى أن روح المخاطرة قد تكون الأداة التي يتخذها المثل الأعلى لإزالة الشر المحزن من طريقه. ولاينهض إنسان لمقاومة الشر إلا إذا لاحت له رؤية ما يمكن حدوثه، وفي هذه الحالة تكون المأساة وسيلة لتطهير المشاعر، ويكون وخز الشر مما يعين على تحقيق الخير. والسلم هبة مثل سائر الهبات العظيمة، وهو يأتي إلى هؤلاء الذين لايقصدونه من أجل أنفسهم ويضحون في سبيله بكل شيء. ويدعم "هوايتهد" رأيه بتلك الكلمة المأثورة: "من سعى لإنقاذ حياته فإنه يفقدها". وفي تأكيد "هوايتهد" لأهمية الحق يقول:

"إنه لايطلب أن تكون كل فكرة أو كل بيان ثابتا محققا، ففي مجال البحث العلمي نرى أن الفروض التي نكونها ناقصة من هذه الناحية، ولكن الفروض العلمية لم توجد لنَطْمَئِنَّ إليها كل الاطمئنان وإنما هي وسيلة للوصول إلى

معرفة أدق".

ودفـاع "هوايتهـد" عن روح المخـاطرة دفعـه إلى تقــرير أنه ليس هـناك وجــهــة نظـر يمكن اعـتبارها الحق النهـائيّ، لأن وجهـات النظر في تغيـر مسـتـمـر، وفي كل وقت تصل إلينا مـادة جديدة من المعلومات، ومتـابعة الحق في المسائل الحيويـة طويلة وشاقة، وليس هناك مجـال للجزم والتعـصب. وهو لايفتأ يكرر أن ما كـان يسمى بالحقائق الرياضـية والطبيعية وهو طالب بجـامعة "كمبردج" في سنة ١٨٨٠م أصبح قبل نـهاية القـرن التــاسع عـشـر من المخلـفـات التي طُويَ زمـانهـا. والآراء المتعـارضـة في أغلب الحـالات ليست كلها حقاً ولا كلها باطلاً؛ فتصادم الآراء ليس كـارثة وإنما هو وسـيلة للإفـادة من جـهـود الغير، وسـبيل للتعاون في تحقيق الخير العام وهو توسيع نطاق المعرفة.

والحق ليس بركة خالصة، فالمعـرفة الصحيحة للحـقائق قـد يسـاء اسـتـعـمالهـا، كـما أن تقـرير الحقائق تقريراً صحيحاً قد يشوهه تفسيرها تفسيراً تشوبه المغالطة، وليس حب المخاطرة والسلم والحق الصفات الجوهرية للحضـارة وحدها، فإن الجمال والفن جـوهريان كـذلـك. والجـمــال والفن في حـالات كثـيرة لا يُعنَيَان بالحق، وبعض المؤلفـات الخيـالية العظيـمة لم يكـن المقصود بهـا أن تكون تقـريراً حــرفـيـا للحق، ومن أمـثلة ذلك روايات شكسبير. والصورة الجـميلة أو الصنيع الصالح قد يكون حقاً وصدقاً، وقد لايكون صحيحاً، وتحليل "هوايتهد" للحق والجمال والخير يقتضي أن يكون لكل منهـا كيـانه المستقل، وأنه لايمكن مـزجهـا بعضـها ببعض. والجمال في رأي "هوايتـهد" هو الملاءمـة المتبـادلة بين العـوامل في داخل التجـربة، وإذا كان الـتناسق أكثـر مما يلزم استـحال الجـمال تفـاهة مملة، وإثراء الحيـاة الناتج من تجـربة الجمـال يفـســر لنا لماذا أدخل الجــمــال ضـمن الـعـوامل الأساسية في الحضارة.

عالم الفن

والفن في رأي "هوايتـهد" يحـول المجرد إلى مـعيّن، ويحـول المعـيّن إلى مـجرد، وقـد تكون الفكرة في التجـربة الماثلة لنا غامضة وخـالية من الأهمية فيمنحها الفن حياة وقوة، وقد ننتزع من الواقع حقيقة مألوفة جداً إلى حد أنها لاتسترعي النظر فتصبح باعثاً على نفاذ النظر وإثراء الحياة. وجـمـال إحـدى حدائـق المدن قد يـتكشف لنا فجـأة من إطار إحدى الصـور، والأعمالُ الـفنية في أغلب الحـالات تعبـر عن الجـمال، وليسـت هذه وظيفـتها الوحـيدة، فـإن الحق كذلك يمكن نقله من طريق الوسط الفني. ويؤكـد "هـوايتهد" أنه لايمكـن أن يكون للـفن رد فـعل قــوي في المشاهد إلا إذا كان فيـه عنصر الحق، وقد يكون الباعثَ علـى العمل الفني شيئاً مـارس الإنسان تجـربتـه، ولايعني ذلك أن الفن يعـد نظرة إلى الوراء، لأن العـمل الفنـي دليل قـوي على قـوى الفنان المبـدعـة، وفـيـه نضـارة مـؤكـدة وجـدة وطرافــة. ولاينسى "هوايتــهـد" أن يشـيــر إلى الشعـور بالارتياح والانتعـاش الذي يجلبه الفن. والإنســان في حـاجة إلى فتـرات الهـدوء الذي تتــراجع فيــه الأحـداث العـادية إلـى النواحي الخلفـيـة، أمـا الصورة المرسـومـة، والقـصـيـدة المنظومـة، واللحن الموسيقي إذا تجاوزت حـدود الزمن في امتيـازها وتفوقها؛ فهي تتـيح لنا فرصة الاسـتمـتـاع الخالي من شـوائب الحيـاة وهمـوم العيش، والباعث الجدير بـإثارة مثل هذا الابتهاج مأخـوذ من فيض الحوادث الذي لايقف تدفـقه. ولايعـد الفن مـرادفـاً للـفـوضى العـاطفـيـة لأنه يتضـمن الحق والجمـال والاتساق، وحـقيـقة أن

اعتبار اليونان القديمة المثل الأعلى للحضارة يناقض روح المغامرة ويقتلها

هناك عامـلاً عاطفيا قوياً في الخلـق والاستمـتاع بـه، ولكن إذا لم تـخـضع هـذه العـواطف للنظام أخفـقت محاولة التفـوق والامتيـاز، ولايستطيع إنســان أن يخــرج عــمــلاً فنيــاً بمجـرد اللف والدوران. وكـمـا قـال "أفـلاطون" قـديما: "إن الذي يعـيش في حضـرة الجـمال، لايسـتطيع أن يحـمل نفسـه على الإتيـان بأعمـال خـاليـة من التنسيق والنظام".

ويرى "هوايتــهـد" أنه برغم أن عــالم الفن يتضمن مُثـلاً عليا لم يستطع المجهـود البشري أن يحققها تحقيقا كاملاً؛ فإن ما أخرجه الإنسان من الأعــمـال الـفنيــة يكفي للدلالـة على عظمـة الكائنات الإنسانية، وقد تناول الإنسان جزءًا من الكون واتخـذه وسطـاً لإخـراج شيء له قـيـمـة عظيمـة، ولم يبلغ الإنسان الكمـال ولكنه حاول الدنو منه، وقـد أثبت الفنان أن المثل العليـا يمكن التعبيـر عنها في حدود القـدرات البشـرية، وقد أمكن الإنسان أن يجسم شيئـاً من القيم الأبدية من خـلال سـاعات الوجـود الإنسـاني المتـقلب الزائل، وقد أسبغ ذلك جلالاً على حياة الإنسان وكساها سربالاً من المجد، وإدراكنا لذلك يشعرنا بالسمو والرفعـة. والإنسان الذي يعيش في عالم رحب محفـوف بألوان الجمال الطبيعي الخلاب في حاجـة إلى أن يستشـعر وجود القوة الخـلاقة في الجنس البشري. والأعمـال الفنية التي قام بها الإنسان توحي إليـه بالثقـة في نفسه وتحفزه إلى التـقـدم فـي طريق الحـضـارة. وتثـبت أعــمـال الإنسـان الفنيـة أن في وسع البشـر أن يوجـهـوا انتباههم وعنايتهم إلى أشياء غير ضرورات الحياة ومستلزمات إشباع البـدن، وفي هذه الإنجازات المحدودة لون من ألوان الوحـي وأساس للأمل في الإنسانية.

ويمكن أن تتـجـسـم في العـمل الـفني كل الصفات اللازمة للحـضارة، وهي الجمال والحق وروح المخـاطرة والشعـور الهـادئ بالسلم، الذي يلم بنفوس هؤلاء الذين يستطيعـون أن يتجاوزوا بنظرهم المألوف ليشاهدوا خلفه جمال الحياة.

وقد يلحظ أن الخير لم يذكر في قائمة الصفات المكونة للحضارة، وتفسير ذلك أن الجمال بمعناه الواسع يشمل الخير. وحينما عرض "هوايتهد" لبحث الحاسة الانتقادية التي يمتاز بها الرجل المتحضر، قرر أن أحد أسس موهبة النقد تقدير مطالب الواجب الأخلاقي، وهو يضيف إلى ذلك أن كل من يفيد من الحضارة السالفة يواجههم الالتزام الأدبي بنقل الفوائد التي اكتسبوها والإضافة إليها، ويُعنَى "هوايتهد" بتأكيد الخير عنايته بتأكيد أهمية الحق والجمال، وعنده أن الحق والجمال والخير هي المُثُل الأبدية التي يتكون منها الكون.

عناصر الحضارة

قد يبدو غريبا أن "هوايتهد" لايشير إلى العلم باعتباره عنصراً جوهريا من عناصر الحضارة،

السلم عند هوايتهد حالة عقلية تمتاز بإدراك أن الجمال له أهمية عظمى

ويرجع ذلك إلى أنه كان يرى أن الصين مثلاً قد قطعت شوطاً في طريق الحضارة وذلك برغم أن إنجازاتها العلمية ليست بذات أهمية، ويصدق هذا كذلك على الهند واليونان فلم يكن لهم في تفصيلات العلم الدقيق سوى تقدم محدود، وليس عند الرومان مايدعو إلى المفاخرة في هذا الصدد، والعالم الغربي نفسه لم يسر في طريق التقدم العلمي سيرا مهمًا إلا في القرن السابع عشر. والمعرفة العلمية فرع مهم من فروع المعرفة وهي لازمة لإعداد الآلة التي تستخدم أساساً للحضارة، ولكن العلم مع ذلك ليس سوى وجه من أوجه الحق، ومهما يكن الأمر فإن الجماعات والأفراد يمكن أن يظهروا صفات الجمال والفن والمخاطرة والسلم والحق دون أن يوجهوا اهتماماً يذكر إلى المجهود العلمي. والعلم بهذا المعنى ليس عنصراً أساسياً في الحضارة، وحينما يتوافر وجود هذه الصفات الخمس: الحق والجمال والفن والمخاطرة والسلم يوجد الرجل المتحضر والجماعة المتحضرة.

وواضح أن خلق الحضارة والمحافظة على بقائها يستلزمان خلق هذه الصفات والمحافظة على وجودها. ومن الأشياء المهمة أن نتحقق أنه بالإضافة إلى هذه العناصر الجوهرية للحضارة توجد عوامل أخرى يمكن اعتبارها من مستلزمات الحضارة، تعين على ظهور الصفات الأساسية لها، وهذه العوامل هي الاعتراف بأهمية الفرد وحرية الفكر والعمل، والتسامح أو مجافاة التعصب، والاعتماد على الإقناع والحكمة لا القوة والإرغام .

وترجع أهمية الفرد إلى أن الحضارة متوقفة على إنماء قوة الفرد إلى أقصى ما يمكن، والمخاطرة والسلم والفن والحق والجمال لاتظهر في الدنيا إلا بوصفها جوانب من تجارب الأفراد، سواء كانوا رجالاً أم نساء، وكل نظام سياسي أو شرعي أو تربوي أو ثقافي أو ديني يحد من تقدم الفرد، فإنه يقف عقبة في سبيل الحضارة. وفي بعض الأفراد قدرات كامنة لاتؤتي ثمرتها في إطار النظام الاجتماعي العادي، وأسمى القيم الحضارية لايُستمتع بها إلا في العزلة أو مع مجموعة محدودة من المتشابهين في الروح والمزاج. وحينما نخضع كل إنسان لمعايير الجماعة ونملي عليه ما يأتي من الأعمال، فإن إثراء الحياة يتبخر في حرارة هذا الضغط، لذلك علينا أن نقدم ما لقيصر لقيصر، ولكن نراعي - في الوقت نفسه - أن هناك عوالم روحية وأخلاقية لايحسن أن يمتد إليها نفوذ حكام المجتمع، وليس معنى ذلك أن "هوايتهد" يحبذ أن يكون سلوك الفرد بغير كابح لأن الإنسان لايعيش من أجل نفسه فحسب، ونحن مدينون للبيئة التي نشأنا فيها، فهي قد غذّت أوجه كياننا المختلفة وأتاحت لنا الفرصة لإنماء قدراتنا الفردية.

والكاتب المسرحي يحتاج إلى مسرح وموظفين إداريين ومجموعة من الممثلين وجمهور يقدر إنتاجه إذا قدر لرسالته أن تؤثر تأثيرها المرجو، وعلينا أن نوفّي ديوننا للغير بالمشاركة في الحياة العامة، فهناك إذن حدود للحرية التي يطلبها الفرد ويدعو إلى احترامها، وحدود هذا الاحترام هي إعطاؤه الفرصة اللازمة لإنماء صفات الوجود الحضاري.

وحرية الفكر والنشر والكلام والدين من المسائل المهمة، ولايمكن أن تتحقق الحضارة من دونها، كما أن مجافاة التعصب لازمة لتقدم الحضارة، وإذا لم نتخيّر الاعتدال والإنصاف فإننا نخسر الكثير، وقد أظهر تقدم العلم أن تصادم النظريات ليس كارثة بل إنه السبيل للكشف الجديد. وترينا المحاورات الأفلاطونية مثلاً ممتازاً من أمثلة التسامح الفكري، فقد كان أفلاطون يخالف السفسطائيين في وجهة نظرهم، ولكنه مع ذلك ذكر في محاورة "بارنيدس" اعتراضاتهم الأساسية على موقفه في فلسفة ماوراء الطبيعة. ويحسن أن نظهر هذه الروح في المستوى الدولي، ويمكن للإنسان إذا تنقل في المكان حول الدنيا، أو قام برحلات في خلال الزمن ونواحي الماضي، أن يتعود ألفة مظاهر الحياة المخالفة للمظاهر التي عرفها ونشأ في ظلالها، وإذا نمّى في نفسه روح الاعتدال والإنصاف فإنه يستطيع أن يقدر عادات الشعوب الأخرى ويحترم أساليب حياتها ولايقف منها موقف تحد، والرجل الحكيم يعد الاعتدال واجباً. ويلاحظ "هوايتهد" أن المفكرين المبدعين قد تنقصهم صفة الاعتدال ونبذ التعصب الشديد لآرائهم؛ لأنهم معنيون بالدعوة

الفيلسوف «هوايتهد» وفلسفة الحضارة

لآرائهم والتحمس لترويجها، ويرى كذلك أن "مارتن لوثر وكالفن" المصلحين الدينيين المعروفين كانا كذلك شديدي التعصب لآرائهما مثل هؤلاء الذين ثاروا عليهم، ويضرب مثلاً للاعتدال: العلامة "إيراسمس" والفيلسوف "جون لوك".

الإقناع بدلاً من الإرهاب

ويؤكد "هوايتهد" أهمية الإقناع بدلاً من الإرهاب والالتجاء إلى العنف، ويقول إن الركون إلى العنف، وإن بدا أنه لا محيص عنه، دليل على إخفاق الحضارة؛ لأن الاعتماد على العنف والإكراه يقضي على القيم الحضارية، والذين يتخذون العنف وسيلة في شؤون الحياة يهبطون بالإنسانية إلى حضيض الوحشية، ويجدون متعتهم في لذات الحواس لا في عالم الحق والجمال والخير. ولم يكن "هوايتهد" من أنصار السلم المطلق، ولكنه كان يرى أن الحرب قد تحمي ولكنها لاتخلق، وهي تضيف إلى القسوة والوحشية، وتعطِّلُ الخلق، ولكنها في بعض المواقف لازمة، وبعض الناس لايجدي معهم الإقناع ولابد من إرغامهم من أجل مصلحتهم، ولكنه مع ذلك يرى أن الالتجاء إلى الإرغام بدلاً من الإقناع معناه ابتعاد عن المثل العليا للحضارة.

سمات الحضارة

ومن سمات الحضارة الشعور بأن الكون رحب مترامي الأبعاد شديد التعقيد، والحقائق المألوفة البادية للعيان ليست كافية، وكل المواد التي تقدم لنا علينا أن نتناولها بالبحث والفحص، والعقل المتحضر يحاول أن يكشف العناصر الأساسية والقوانين المتضمنة في هذه المادة من المعلومات، وللشعور بمعنى الحياة وقيمها أهمية خاصة في الارتفاع بالإنسان من الوحشية إلى المستوى الحضاري.

والفلسفة من الأمور الجوهرية للحضارة لسببين:

أولاً: لأنها محاولة لتنظيم مواد المعرفة والحقائق والقيم.

وثانيًا: لأن الحكمة المتحضرة لاتتضمن التسلط على مجموعة كبيرة من القيم والحقائق فحسب، وإنما لأن العقل المتحضر يزيد في حيويته عدم الاقتناع النبيل، ويبعثه على أن يتخذ الموقف الفلسفي الناقد. والرجل الكريم إذا ما أجال النظر في النواحي العقلية والأخلاقية والجمالية فإنه لايقنع بما هو كائن ولايكتفى به، لأن إغراء المثل الأعلى يحفزه إلى طلب المزيد، وعدم الاقتناع هذا ليس شعوراً بالألم والمرارة والحقد والرغبة في الانتقام؛ وإنما هو بحث مستمر عن الخير. فليس النقد في رأي "هوايتهد" لونًا من ألوان الهدم والتدمير، وإنما هو عملية قائمة على التقدير المتزن القائم على المعايير السامية.

ويرى "هوايتهد" خطورة النقد العنيف إذا لم يتحرَّ المعايير السامية، فقد يحطم مالَهُ قيمة كما يقضي على التافه الذي لا قيمة له، فهو إن كان يمتدح العقل المفكر ويشيد به، يحذرنا ـ في الوقت نفسه ـ من أخطار العقلية الضيقة. وطلب الوضوح في التفكير نزعة إنسانية سائدة، ولكن الذي يعترض سبيل الوضوح هو أن الحياة في الواقع شديدة التعقيد، والصيغ البسيطة الواضحة قد لاتكون كافية. ويرى "هوايتهد" أن علينا أن ننشد الوضوح جهد الطاقة ولكن لانثق فيه الثقة كلها، ولا تُكَلَّف الطاقة البشرية أكثر مما في وسعها، والناحية الغامضة المعقدة في تجاربنا لها قيمتها ومكانتها، وقد تكشف لنا عناصر مهمة وحاسمة. والحكمة بوجه عام تستلزم السعة والعمق ودقة التفكير، والإنسان مخلوق معقد فهو يفكر ولكنه كذلك يحس ويشعر. وللحكمة جانبها العاطفي، ونفاذ النظر الانتقادي الذي له أهمية كبيرة في الحضارة لايتوقف على إدراك القيم والقدرة على الاستنباط الصحيح فحسب، بل يضاف إليه أهمية الشعور بالواجب. وعند "هوايتهد" أننا لانحصل الحكمة ولا نصل إلى الحضارة إلا إذا اقترن التفوق الفكري والامتياز العقلي بالشعور بالاحترام والعطف نحو كل من تربطنا بهم العلاقات الاجتماعية.

الثقافة الحديثة

وقد استمدت الثقافة الحديثة عناصرها الموروثة من اليونان وفلسطين ومصر وكذلك من الصين والهند، ولكن المنبع الرئيس كان التأثير اليوناني والمصري والعربي، ويشمل ذلك الجزيرة والصحراء العربية، وقد أخذت عن اليونان العقل المدرب القادر على التفكير المنطقي وتناول مشكلات ماوراء الطبيعة، وتقدير الجمال، كما أخذت عن المصريين التقنية العملية، واستمدت من روما عوامل التنظيم والتوحيد.

لم تكن هذه الوراثة كلها خيراً وبركة، فاليونان سمحوا بوجود العبودية، وفي العهد المتأثر بحضارتهم حسبوا أنه ليس هناك من جديد ليحاولوا كشفه وبذلك خمدت روح المغامرة.

وحضارة الشرق الأدنى والحضارة الآسيوية والحضارة المصرية لها عيوبها؛ فقد كان في المجتمع نزعة ارستقراطية، ونظرٌ إلى الرجل على أنه أسمى من المرأة. وكان جزء كبير من السكان مستعبَدين محرومين. وقبلت فكرة أنه "لاجديد تحت الشمس"، ولم يخل عهد الإحياء من العيوب فقد حصر عنايته في التراث اليوناني وأهمل غيره. وقد ورثت الحضارة الراهنة الكثير من المحاسن والأضداد وعلينا أن نزيد من مزاياها ونقلل جهد الطاقة من عيوبها ومساوئها.

المراجع:

- البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، تأليف د. أحمد أبوزيد، الدار القومية للطباعة والنشر، يونيو ١٩٧٧م.
- "عباقرة في العلم والفن معاً"، عزت محمد إبراهيم، دار الهلال.
- "العلم والعالم الثالث"، تأليف الفيلسوف ألفرد نورث هوايتهد، ترجمة د. عبدالحميد أحمد أمين.

آفاق اجتماعية

دور الأسرة في وقاية أبنائها من تعاطي المخدرات (١)

إعداد : د. تماضر حسون

تسعى العائلة جاهدة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق حياة مريحة مرضية لأبنائها، وهذا يعني تجنيب الأطفال كل ما من شأنه أن يدمر صحتهم، وكل ما من شأنه أن يمنعهم من التمتع بحياة مستقبلية مريحة، وإنتاجية كبيرة. لذا فإن القرارات التي تتخذها العائلة فيما يتعلق بأسلوب المحافظة على حياة أفرادها، تعتبر المحور الأساسي لصحة أفرادها، ولانقصد بالصحة مجرد الصحة الجسدية، بل العقلية والنفسية والسلوكية أيضا، لأنه من العسير الفصل بينها.

صحيح أن العائلة في المجتمع العربي قد استطاعت أن تخطو خطوات جيدة في مجال رفع معدلات سنوات فرص العيش أمام المواليد الجدد، إذ تحققت زيادة قدرها حوالي (١٥) سنة للذكور و (٢٠) سنة للإناث في معدل العمر المتوقع للوليد عما كان عليه في بداية هذا القرن، إذ أصبح معدل العمر المتوقع للوليد الجديد اليوم هو (٦٠) عامًا للذكور و(٦٥) عامًا للإناث، مقابل (٤٠) و(٤٥) للرجال والنساء على التوالي. إلا أن مانريد إلقاء الضوء عليه، هو تلك الحقيقة الصعبة التي تشير إلى أنه منذ عقد الثمانينيات، وخلافًا لكل الشرائح السكانية، فإن شريحة الشباب بين سن ١٤ - ٢٦ عامًا، هي الشريحة الوحيدة التي تشهد زيادة في معدلات الوفيات أكثر مما كانت عليه.

وإذا أردنا الحديث عن حقيقة النصر والنجاح في رفع معدلات العمر المتوقع للمواليد الجدد، وللبالغين ممن تجاوزت أعمارهم السادسة والعشرين لاتضح أن السبب وراء هذه الزيادة في معدل العمر، لايكمن في مجال الرعاية الطبية فحسب، بل السبب الأكبر يعود لزيادة وعي الأسرة وتفهمها لحقيقة الأمراض المسؤولة عن أعداد كبيرة من الوفيات كأمراض الطفولة ، وسوء التغذية، وأمراض القلب، والسرطان، ونقص المناعة... إلخ.

أما إذا عدنا إلى الشريحة السكانية من ١٤ - ٢٦ سنة التي تشهد ارتفاعا في معدلات الوفيات، حيث لم توفق الأسرة في وقف الارتفاع المستمر في معدلات الوفيات لأسباب خارجة عن نطاقها وتعود في معظمها للآتي:

١- حوادث السير

٢- تعاطي المواد المخدرة

٣- الحروب الإقليمية

٤- الحروب الأهلية

وما نود التركيز عليه في سلسلة الحلقات القادمة، هو التعاطي للمخدرات عند المراهقين، الذي تزايد بشكل متسارع، وانتشر بين فئة المراهقين منذ بداية عقد الثمانينيات. وإذ أخذت تلك الفئة في التعاطي والإدمان، فإن المعاناة لم تقتصر عليهم وحدهم، بل امتدت لتشمل الوالدين، وقد تكون معاناة الوالدين الجسدية أقل، إلا أنهما يعانيان شكوكًا معذبة، وآلامًا نفسية حادة، ويواجهان مشاكل اجتماعية، تزداد حدة معاناتها كل يوم.

وحتى تفهم جيدًا مسألة انتشار تعاطي المخدرات بين فئة المراهقين، لابد من الوقوف على طبيعة الاتصال والتفاعل بين الوالدين والمراهقين، والوقوف على دور الأبوين في وقاية أطفالهما المراهقين من الوقوع في شرك التعاطي؟ وهذا ما ستعالجه الحلقات القادمة إن شاء الله.

قصة قصيرة

وجه بين الأحذية

جهاد عبدالجبار الكبيسي

انتبه على جذبة يدها لذراعه، وهي تنحني به إلى أسفل «الفترينة».

- هذه آخر مرة، تأمله جيدا لأدخل وأشتريه.

تتبع بعينيه إشارة إصبعها، استطاع هذه المرة أن يراه، ويمضي في تأمله، قال صادقا، وبدافع من الرغبة في الخلاص:

- صدقيني رائع.

وبينما هو يرفع رأسه، ويمسح بنظراته واجهة العرض المكتظة بالأحذية، اصطدمت عيناه بوجه لاح بين الأحذية، كان صاحب الوجه منهمكاً بحديث مع أحد العمال، وهو يقف لصق اللوح الزجاجي داخل المحل، انشدت عيناه لملامح الوجه، حملق فيه يتأمله، لكن الوجه استدار ومضى إلى الداخل، خُيّل إليه أنه رأى هذا الوجه من قبل، لكن متى وأين؟

- آسفة، أعلم أني أرهقتك اليوم.

كانت في عينيها نظرة خجل حقيقي، قال يرفع عنها وطأة هذا الإحساس:

- لاعليك، المهم أن تشتري ماتقتنعين به.

- أنا مقتنعة به جدا، فلندخل لشرائه.

دلفا يشقان طريقهما خلال الأجساد المتزاحمة داخل المحل، وقفا طويلا قبل أن يجدا لهما مكانا على المقعد الجلدي إثر مغادرة سيدتين، انتظرا فترة أطول قبل أن يفرغ عامل لخدمتهما، مدّت الزوجة يدها إلى كيس «نايلون» تستخرج منه حقيبية يدها الجديدة، مضت تتأملها بإعجاب وهي تتفحص طياتها، بينما راح الزوج يتأمل «ديكور» المحل، لفت نظره تناسق مساحاته المقسمة بجمالية مدروسة، تعلقت نظراته في السقف الذي بدا كقبة سماوية، تتوزع فيه الأضواء الملونة الخافتة نجوما متناثرة، وأيضا قطع المرايا المستطيلة الموضوعة في الزوايا والعاكسة لحركة الزبائن، التي تعطي الرائي متنفسا له من هذا الاختناق، وخلاصا من ضوضائه المحتدمة، فكّرَ، لاشك أن الفنان الذي قام بتصميم هذا «الديكور» قد وضع في اعتباره أولا وقبل كل شيء راحة الأزواج المصاحبين لزوجاتهم، ابتسم لهذه الخاطرة المتولدة من لحظة معاناة.

انجذبت نظراته من السقف، سقطت على الأرض إلى الحذاء، حين همست له زوجته تسأله رأيه، وهي تقلّب قدمها في إحدى فردتي الحذاء الجديد، أكدّ موافقا على جماله، مستشهدا بأن ختام رحلتها كانت مسكا، ابتسمت بزهو، وهي تعاود تأمل الحذاء، نهضت ودارت حول نفسها، خطت خطوتين إلى الأمام ثم تراجعت، تأملته ثالثة، عادت فجلست إلى جواره، انحنت تحاول انتزاع الحذاء من قدمها، وهي تقول:

- لكنه واسع قليلا.

- ليست مشكلة، اطلبي مقاسا أصغر.

أشارت بإصبعها إلى أحد الأحذية داخل «فترينة العرض» متسائلة:

- مارأيك بهذا (الموديل)؟

أومأ بحركة تلقائية وشت بغياب انتباهه:

- إنه أجمل من كل مارأينا .

تنفس الصعداء، استبشر فرحا:

- بالتأكيد.

لم تطل فرحته، انفثأت حين قالت:

- لكن الأحمر (موضة) هذا العام.

تصابر، حاول ألاتلاحظ ضيقه، همس موافقا:

- فعلا.

صاحت وهي تقترب بوجهها من زجاج «الفترينة» وتنظر إلى أسفل:

- الله. أليس هذا جميلا؟

أردفت كمن يريد انتزاع اعتراف صادق منه:

- قل الحقيقة، تأمله.

اضطر للتوجه بنظره إلى حيث تنظر زوجته، قال موافقا:

- حقيقة رائع.

والحقيقة أنه لم يره، ولم ير سابقه الأحمر، ولا الذي قبله، كان فقط يوافقها في استحسانها واستقباحها، وكل همه أن يخلص، لم يعد يعنيه لون الحذاء ولا شكله، لتشتر أي حذاء، حتى ولو كان قبقابا خشبيا، المهم عنده فقط أن تستقر على رأي، فتخلص وتُخلِّص قبلهما بائعي الأحذية المساكين.

في البدء منذ ساعات، حين شرعا بانتقاء حذاء لها كان صادقا في رأيه، ظنا منه أن ذلك يؤازرها على اتخاذ القرار، لكنه سرعان ماتكشّف له أن مايقوله ليس إلا مجرد وجهة نظر فحسب، وأن القرار الأول والأخير لمزاجها هي، فترك لها أن تتخذه، واقتصر دوره على مجرد التأييد في الرفض أو القبول، بيد أن المشكلة ظلت قائمة في موعد هذا الاقتناع، متى يحين؟

استدعى المتخلف من جَلَده، واستنفد كل ذرات صبره الاحتياطي، حتى يَظل متماسكا في رحلته، ولكي لا يسقط من شدة إعيائه وهو ينتقل معها منذ صباح اليوم وحتى هذه الساعة من الظهيرة.

أطلقته واتجهت بعينيها تبحث عن واحد من عمال المحل، تركها والعامل يتحاوران، يحاول كُل إقناع الآخر بالرقم المناسب.

وهو يتأمل حركة الزبائن، انشقت فرجة بين الأجساد المتزاحمة، لاح الوجه الذي رآه بين الأحذية يجلس مواجهته، حاول تأمله، لكنه سرعان ماغاب وراء الأرداف المتزاحمة، انشدّ إلى صورة ذلك الوجه، حاول أن يتذكر، هذا الوجه ليس غريبا، بالتأكيد يعرفه، لكن متى؟ وأين؟.

هذه المرة كانت الرغبة في معاودة رؤيته قوية، والإصرار عنيدا على استدعاء الذاكرة لمعرفته، لذلك ظل ميمما وجهه تجاهه، مسددا نظراته صوب الجمع يحاول اختراقه، وتحيّن فرجة لرؤيته.

انصرمت لحظات طوال قبل أن يخف الحشد، ويستطيع أن يرى صاحب الوجه الذي يجلس قبالته، كان الرجل منشغلا مع سيدة وفتاة صغيرة، خمّن أنهما زوجته وابنته، أتاح له ذلك أن يطيل

النظر إلى وجهه، حين تأمله، تأكد له سابق معرفته به، حاول أن يتذكر صاحب هذا الوجه، من المؤكد أنه قد التقاه، ولكن السؤال مايزال قائما، متى؟ وأين؟.

لاحت بارقة رجاء في إمكان تذكره حين اقتربت خاطرة غائمة تتعلق به، سرعان ماتلاشت عندما غاب الوجه عن عينيه باتصال الحشد، لكن الملامح ظلت عالقة في ذهنه، برغم غياب وجه صاحبها، ظل منشغلا يجاهد استحضار سابق رؤيته، من يكون هذا الوجه؟ أوَ يكون صديقا قديما؟ باعدت بيننا مشاغل الحياة، حتى أنساني بعد الشقة اسمه، المؤكد عندي هو رؤيتي له، لكن الشك في أن أكون قد تحدثت إليه، أو جالسته، فمن يكون إذن؟ وأين التقيته؟ ربما أكون قد رأيته عند أحد الأصدقاء، وربما أكون قد رأيته على شاشة التلفاز.

- أنا آسف يامدام، لم أجد مقاس ٣٧.

- معقول؟ إذن ٣٨.

- ولا ٣٨.

- حاول لو سمحت.

- لو كان عندي فلمَ أخبِّئه؟

- والحذاء الموجود في «الفترينة»، أليس ٣٨ ؟

- نعم، ولكني لاأستطيع استخراجه.

- ألن تبيعه؟ أم سيظل المحل محتفظا به؟

- سيباع بالتأكيد، لكن إخراجه الآن يُربك «الفترينة» كلها.

- والحل؟

- خذي حضرتك لونا آخر، الأبيض جميل.

- لا ، لو سمحت حاول تشوف لي ٣٨.

- حاضر ، سأرى إن كان في المخزن ٣٧ أحمر.

التفتت إلى زوجها وقالت مبتسمة:

هل رأيت !؟

أجابها وهو يبتسم :

- أنت أعرف مني بهم.

انصرفت عنه تعاود قياس الحذاء الآخر ثانية.

كانت الضوضاء قد خفّت كثيرا وتناقص عدد الزبائن، واقتصر داخل المحل على عدد قليل تناثروا هنا وهناك، حين تحركت المرأتان الواقفتان أمامه متوجهتين إلى أحد العمال، بدت المساحة المكانية خالية بين الزوج والشخص الجالس قبالته، ماكاد يتجه بنظراته إليه حتى فوجئ بالآخر ينظر إليه أيضا، ارتبك، توسل بابتسامة سريعة تخلصه من حرجه، بادله الآخر الابتسام، اتسعت على شفتيهما، كانت ابتسامة الآخر أعرض، فلم يكن أمام الزوج الا أن يومئ للآخر برأسه محييا، رد الثاني التحية بحرارة أكثر، تأكد للزوج معرفته بالآخر، ومعرفة الآخر به، حاول أن يعتذر عن تأخره في تحيته، احتال على تقصيره بالكلام عن الصغيرة الجالسة إلى جواره:

- العروسة ابنتك؟

- أجل.

- ربنا يخلي.

- وأنت ؟

- ماأزال قريب العهد بالزواج؟

- العقبى لك؟

أردف:

- يعني أخيرا وقعت ياأستاذ طاهر فيما لابد منه؟

- شر لابد منه. (استدرك) لكنه شر لذيذ.

ضحكا، قال الآخر.

- كان المفروض أن تفعلها منذ زمن.

- كل شيء بأجل، وحين قضى الله تزوجت.

- ونعم بقضاء الله، كم سنة مرت لم يَرَ خلالها بعضنا بعضًا؟

تخلص الزوج من الإحراج بلباقة:

- عُمر.

- أي نعم عمر، وقُدِّر لنا أن نلتقي بعد هذا الفراق في محل صغير.

- ألا يقولون أن العالم صغير؟

- فعلا كما تقول، على أي حال أنا سعيد برؤيتك.

- أنا أكثر سعادة.

- وبخاصة بعد أن هداك الله، والتفتّ إلى نفسك وإلى تكوين أسرة.

- كان نزق شباب.

- كلنا مررنا بهذا الدور، المهم أن يلحق المرء عمره قبل أن يضيع.

- حقا فقطار العمر لاينتظر، لكنك باسم الله ماتزال شبابا، وقد عرفتك من أول نظرة.

- شكرا لهذا الإطراء.

- إنها الحقيقة، ولكني أوصيك بتحديد النسل، حتى لاتهرم سريعا كما أنا.

- كم من الأبناء لديك حفظهم الله؟

- نيفين أصغرهم، وهناك قبلها..

انقطع الحديث حين تقدمت زوجته، حاملة معها عدة أكياس تحمل عنوان المحل. نهض من مقعده، نهض الزوج في اللحظة نفسها، التقت أيديهما في وداع، أكد الزوج على الآخر بضرورة معاودة لقائهما بعد أن ذكر له عنوان عمله، أمّن الآخر على رغبته، التفت إلى ابنته، أمسك بكفها وحمل الأكياس باليد الأخرى، ودّعه ومضى، عاد الزوج إلى جلسته، كانت زوجته قد ذهبت لدفع ثمن الحذاء في الخزينة.

وهما يصعدان درجات سلّم العمارة إلى شقتهما صامتين، وقد هدّهما الإرهاق. صاح الزوج فجأة وهو يلطم جبينه براحته؟

- أخ !

توقف وتوقفت زوجته إلى جانبه، وراحت تُحملق في وجهه بانزعاج:

- خيراً، مابك ؟

- معقول؟

- ما الذي هو مقعول؟

- الرجل الذي رأيناه في معرض الأحذية؟

- مابه ؟

- هل عرفت من هو؟

- طبعا لا .

- هل تذكرين حكاية اعتقالي مع المجموعة من قبل المحتلين؟

- أجل .

- وموت رفيقنا المرحوم شكري؟

- نعم.

- ورفيقنا الذي وشى بنا إلى الشرطة، وكان السبب فيما حدث؟

- نعم.

- هل عرفت من هو؟

- من هو؟

- إنه الشخص الذي رأيناه في المعرض.

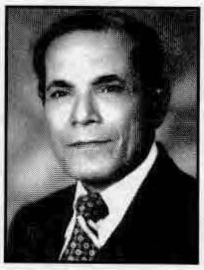
- معقول؟

- وصرفت خمس سنوات من عمري وأنا أبحث عنه لأنتقم منه.

- ولم تره منذ ذلك الوقت؟

- منذ ذلك الوقت ، منذ عشرين سنة .

الفجر في رحاب الأمنيات



يس قطب الفيل

ياشاعراً عاد .. في ليل الرجاءْ
لم نخن ... والأرض تهفو للمنى
عاصفات الريح .. دوّت حولنا
واستتراب الأفق في تطوافنا
ثارت الأمواج ، ثارت، مثلما
غير أنّا ياشراع الملتقى
ودفعنا زورقاً يمضي بنا
فإذا الأرض انطلاق .. يرتجى

ياشاعراً عاد .. ماعاد المدى
في رحاب العلم ، عارٌ أن نرى
نحن في عصر .. قوانا لم تعد
والمنارات التي نحيا بها
إن من فيها - وإن لم يدركوا -
فَلنُقمْ بالعلم درعاً يفتدي
ولنكن عزماً .. إذا ماأوغلت

ياشاعراً عاد .. إنّا نلتوي
ليت من يضرم في هذا المدى
ليت أنّا نفتدي آجالنا
ليست الأرض التي نسكنها
إنما الحرب التي نجهلها
وامتلاك الحق ، إن لم يمتَلك
فازرعوا الدنيا أماناً ، وانهضوا

نحن في الرحلة كنا أوفياءْ
والخطى تمتد في درب العطاء
ربما تُوقِفُ زحف الكبرياء
حول نجم في ليالينا أضاء
لم تثر من قبل ، في ليل الغباء
لم نكن نخشى صراخ الأدعياء
قامة تعلو إلى قلب السماء
عالما في الأرض ، يهفو للصفاء

غابة ، تدمن قهر الأبرياء
هذه الأرض امتهانا وازدراء
فيه تبني وحدها ماقد تشاء
لم تعد تصلح ، إن ثار الفضاء
وحدة تفنى إذا امتد البلاء
روعة الأمن ، إذا عزّ الفداء
في حنايا الكون .. أنياب العداء

أتُرى يحمد هذا الالتواء ؟
لهباً .. يبنيه عشاً للرخاء!!
ونصون الكون من هذا العناء
هي ماترجو سبيلاً للبقاء
هي أن نعرف معنى الانتماء
سطوة العدل فياطول الشقاء
لِغَدٍ يحلو، فإن الفجر جاء

أهم مصطلحات علم النفس (١)

إعداد: وفيق صفوت مختار

(أ)

إحباط: FRUSTRATION

إعاقة المرء عن بلوغ هدف ما، وسدّ الطريق التي يسلكها نحو الوصول إلى هدفه، سواء أكان السعي نحو الهدف سعيًا واعيًا أم غير واعٍ. وتطلق لفظة الإحباط مجازًا على كل نوع من العراقيل والعقبات التي تحول دون بلوغ الهدف المنشود.

وتقتصر أبحاث السلوك في استخدامها لهذا الاصطلاح على عملية محددة تعيق الكائن الحي عن إظهار استجابة معينة.

أحلام اليقظة: DAY DREAMS

هي نوع من التخيلات، أو سلسلة من الصور الخيالية، والحوادث المتخيلة التي تمرّ في خيال المرء، عندما يترك العنان لعين عقله، لكي تنتقل على غير هدى بين الصور السارّة، فيشبع بذلك الرغبات التي لم تشبع في الحياة الحقيقية وعلى صعيد الواقع، ويستسلم لها أحيانًا كوسيلة للهرب من واقعه.

إسقاط: PROJECTION

الإسقاط في علم النفس الحديث هو تفسير الأوضاع والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاس لما يدور في داخل نفوسنا.

وفي مفهوم علماء مدرسة التحليل النفسي يُعتبر الإسقاط بمثابة حيلة نفسية دفاعية، يلجأ إليها الشخص كوسيلة للدفاع عن نفسه ضد مشاعر غير سارة في داخله، مثل: الشعور بالذنب أو الشعور بالنقص، فيعمد - على غير وعي منه - إلى أن ينسب للآخرين أفكارًا ومشاعر وأفعالاً، ثم يقوم من خلالها بالتبرير لنفسه.

اكتئاب: DEPRESSION

هو موقف عاطفي أو اتجاه انفعالي، يتخذ في بعض الأحيان شكلاً مرضيًا واضحًا، وينطوي على شعور بعدم الكفاية واليأس، بحيث يطغى هذا الشعور على المرء أحيانًا ويصاحبه انخفاض عام في النشاط النفسي والعضوي.

والاكتئاب يعتبر من أهم أعراض مرض السوداويّة أو المالنخوليا، والذي يطلق عليه المرض السوداوي باعتباره ذُهَانًا يصاحبه، إضافة إلى الاكتئاب، هبوطُ النشاط الحركي، وانعدامُ الاهتمام بالعمل الخارجي، والأرق، ورفضُ الطعام، وطلبُ الانتحار، وهو أحد جانبي الذُّهان الدوري الذي يعرف بذُهان الهوس والاكتئاب.

انفعال: EMOTION

يتفق العلماء على اعتبار هذه الظاهرة حالة معقّدة أومركبة من حالات الكائن العضوي، تنطوي على تغيّرات جسدية ذات طابع واسع النطاق في التنفس والنبض وإفراز الغدد... إلخ. ومن الجانب العقلي، الانفعال هو حالة من التهيّج أو الاضطراب، تتميّز بشعور قويّ وتؤلّف في العادة دافعًا نحو شكل محدّد من أشكال السلوك وأنماطه.

(ب)

باعث: INCENTIVE

الباعث بمعنى الدافع DRIVE هو اصطلاح عام يجري استخدامه بحيث يشمل الدوافع الغريزية وغيرها، أو القوى المحركة التي تحثّ الكائن الحي، وتدفعه إلى النشاط الموجّه صوب هدف أو غاية. والباعث بمعنى محرّك MOTIVE هو عامل وجداني نزوعي (انفعالي - حركي)، من شأنه تحديد اتجاه سلوك الفرد نحو غاية أو هدف، سواء كان مستوعبًا عن وعي أو دون وعي من جانب المرء.

(ت)

تبرير: RATIONALIZATION

اصطلاح ينطوي على عملية التبرير العقلاني أو المنطقي عقب وقوع الحادث، أو تبرير عمل معيّن بعد حصوله. والتذرّع والتبرير من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد لإبعاد الاتهام عن نفسه، أو لتبرئة ذاته من الشعور بالذنب. وفي علم النفس هو تعليل مقبول يعطيه المرء لنفسه، أو يقدمه لسواه على سبيل تسويغ سلوكه أو تفسير عقيدته.

تعويض: COMPENSATION

عملية نفسية أو حيلة دفاعية يلجأ إليها المرء بقصد التغلب على الشعور الذي يخامره بالضعف أو الدونيّة أو عدم المقدرة، بحيث يعمد إلى إحراز التفوق في ميدان آخر أو اتباع نمط ثان من السلوك.

فالتعويض هو إخفاء الصفة غير المستحبّة تحت ستار صفة مستحبّة والإفراط في تضخيمها.

ويقول فرويد: إن هدف التعويض هو إخفاء النزعات غير المستحبّة وترسيبها في العقل الباطن.

بينما يرى «آدلر» أن التعويض عملية قائمة على الشعور بالضعة، وتستهدف إحراز التفوق.

تمركز حول الذات: EGOCENTRISM

يعني هذا المصطلح جعل «الأنا» محورَ الأشياء، والاهتمامَ أولاً بالذات وبمطالبها، والانصراف عن شؤون الآخرين وعدم الاكتراث بها.

وقد استخدم عالم النفس السويسري بياجيه PIAGER هذا المصطلح للدلالة على نزعة الطفل في سنوات حياته الأولى، إلى اعتبار نفسه مركزًا للعالم ومحورًا لكل شيء، وبالتالي للدلالة على رد كل ما في العالم الخارجي إلى الذات، وتفسيره في ضوء مشاعرها الخاصة، وإدراكه من خلالها.

التوتر: TENSION

حالة من الإحساس العام باختلال التوازن على الصعيدين العضوي أو النفسي، يصحبها تأهب واستعداد من جانب المرء لتغيير سلوكه بغية التصدي لعامل يتهدّده في وضعية حقيقية أو متخيلة. فالتوتر ينطوي على تصعيد في مدى استجابة الشخص حيال وضعيات تواجهه وتتهدده أحيانًا. ومن أعراضه ومظاهره: فوران الدم، والتهيج العام، وسرعة التنفّس.

(ث)

ثواب: REWARD

الثواب أو المكافأة هي كناية عن حالة من التجربة السارة التي يسفر عنها نمط معيّن من السلوك، يصدر بفعل عوامل خارجيّة أو داخليّة. ومن شأن هذه الحالة أن تكون عامل تشجيع على معاودة النمط السلوكي الذي أدّى إلى بعث الرضا والسرور في نفس المرء. وقد يجرى اعتماد المكافأة كلّما نجح الشخص في إعطاء الإجابة الصحيحة بغية تشجيعه على المضيّ في الجد والنجاح.

(ج)

الجماعة المرجعية: REFERENCE GROUP

هي الجماعة التي نعتبر أنفسنا من أعضائها والمنتمين إليها. ومنها نستمدّ القيم والأهداف والمعايير والاتجاهات التي يتمثّلها الفرد، فتصبح معاييره واتجاهاته هو، وتؤلف جزءًا من «الأنا». ويتحدد مركزه أساسًا من خلال هذه الجماعة. فالانتماء إلى الجماعة يكسب الفرد شعورًا بالأمن والطمأنينة، فيساعد على إبقاء ولاء الفرد المنتمي نحو الجماعة المرجعيّة.

جين: (مورِّث): GENE

هو الوحدة التي تحمل عامل الوراثة في الكروموزوم أو داخل الصبغيّات التي يبلغ عددها ٤٨ صبغيّة في الإنسان. توجد هذه الوحدات أو المورّثات (الجينات) في خليّة الجرثومة، وكل تغيير يطرأ على المورّث، ويحدث تغايرًا مستقرًا، يعرف بالتحوّل الفجائي في الجرثوم الوراثي أو الطفرة الجينيّة GENE MUTATION.

(ح)

الحياء: SHYNESS

هو القلق والانزعاج في حضور الغير من الناس، وينشأ عن وعي للذات شديد الحدّة. أما «ماك دوغال» فيرى أن الحياء ناجم عن الاستثارة المتواقتة (في وقت واحد) للشعور بالذات، السالب منه والموجب. والحياء يختلف عن الجُبن بمعنى TIMIDITY أو التهيّب والخشية والوَجَل.

الحيل الدفاعية: DEFENSE MECHANISM

أو سبيل الدفاع عن النفس، وهي كل وسيلة يستخدمها المرء من أجل الحفاظ على سلامته البدنية، وتأمين راحته العقلية والنفسية والجسمية، وبغية تحقيق مآربه ورغباته؛ لئلا يتهدّدها الإخفاق وتبوء بالفشل. وهناك أمثلة عديدة على الحيل التي يلجأ إليها الشخص رغمًا عنه أو دون وعي منه لحماية نفسه ضد الآثار المؤلمة التي تنجم عن وضع غير ملائم، منها: الإعلاء والتعويض والإسقاط والكبت والنسيان والخداع والتبرير والخيبة والتراجع والتهرّب والهجوم.

(خ)

الخجل: SHAME

حالة عاطفية أو انفعالية معقّدة، تنطوي على شعور سلبي بالذات، أو على شعور بالنقص

والعيب لايبعث الارتياح والاطمئنان في النفس. ويقول ماك دوجال: إن تجربة الخجل لايمكنها أن تتم إلا حين ينشأ لدى المرء إحساس بقيمة ذاته، ويتولد عنده احترام لهذه الذات.

(د)

دور اجتماعي: SOCIAL ROLE

هو الدلالة الوظيفية للفرد داخل الجماعة، أو الشخصية كما تتكشّف من خلال نمط معيّن للسلوك حيال الجماعة. فالدور يضطلع بمجموعة من الخدمات، والحوافز التي تحرّك الفرد فتجد إرضاءها من خلال دوره. مثلما أن دور الفرد في الجماعة يعتمد على أدوار جميع الأفراد الآخرين فيها، فيتغيّر تبعًا لتغيّرها. والجماعة تتوقّع من الفرد أن ينتهج نمطًا معيّنًا من السلوك.

الدونيّة: INFERIORITY FEELING

أو الشعور بالنقص والضّعة، وهو شعور سوي عادي بالضعف والعجز النسبي، أو بانعدام الفعاليّة والكفاءَة، ويتعزّز أحيانًا بنقائص خاصّة مثل الصحّة الجسديّة أو التشوّه أو العيب. لكنّه شعور يحفز الفرد دومًا ويحرّكه لبذل جهود من شأنها انتزاع الاعتراف من الآخرين. ويقول آدلر: إن الشعور بالدونيّة يدفع بصاحبه إلى إحراز التفوق على الغير، وغالبًا ما يؤدّي إلى أعراض عُصابيّة من مختلف الأنواع، ومن جملتها عقدة النقص COMPLEX.

(ذ)

الذات : SELF

تستخدم عادة بمعنى الشخصيّة أو الأنا، حيث يجري اعتبارها بمثابة عامل (ABENT) يعي هويّته المستمرّة. وتستعمل أحيانًا بمدلولها الواسع، فتطلق على حيوان أو حتى على شيء مادّي، يُعتبر كعامل من العوامل. كما يتمّ استخدام اللفظة كبداية في كلمات مركبة أو على غرار كلمة منفصلة ومستقلّة، فتصبح على صيغة النعت و الصفة.

الذكاء: INTELLIGENCE

هو المقدرة على مواجهة وضعيات ومواقف مستجدّة، أو على تعلّم مواجهتها، بواسطة استجابات جديدة ومتكيفة. ويفهمه علماء النفس من مدرسة الجشطالت بمعنى التبصر والبصيرة. فالذكاء يحضر عندما يكون الفرد البشري أو الحيوان مدركًا ولو بصورة ضئيلة، للصلة الوثيقة بين سلوكه وهدفه. وهو القدرة على تنفيذ اختبارات أو تأدية مهمّات تنطوي بدورها على فهم استيعابي للعلاقات، حيث تتراوح درجة الذكاء تبعًا لتعقد العلاقات أو تجريدها. وللذكاء مفاهيم متعددة منه: «الذكاء الاجتماعي» SOCIAL INTELLIGENCE وهو الذكاء الذي يستخدمه الفرد في معاملاته مع الآخرين. و«الذكاءالتجريدي» ABSTRACT INTELLIGENCE، وهو قدرة المرء على استعمال المفاهيم والرموز المجرّدة في حقل التفكير النظري بصورة فعالة. و«الذكاء الحسي» CONCRETE INTELLIGENCE، وهو مقدرة المرء على معالجة الأمور الواقعية والأشياء العينية. و«الذكاء العام» GENERAL INTELLIGENCE، ويطلق على مقدرة عامة لدى المرء تؤهّله لتحقيق التكيّف الهادف.

الذهن: INTELLECT

تطلق لفظة (INTELLECT) على العقل (MIND) بالنسبة لناحيته الإدراكية والمعرفية، ولاسيّما في معرض الإشارة الوثيقة إلى عمليّات التفكير العليا. مثل التصور والمقارنة والتجريد والتعميم والاستدلال المنطقي، فالذهن هو مدار العمليّات التصورية والعقلية.

(ر)

الرجعة (النكوص): REGRESSION

تستخدم هذه اللفظة للدلالة على إحدى وسائل الوقاية النفسيّة التي يلجأ إليها المرء، وتقوم على التراجع والانكفاء أمام المشكلات الحياتية واللّوذ بتلك الأنماط السلوكية التي سبق للشخص أن ألفها واطمأن إليها. مثل نزعة العودة إلى الطفولة، حيث يعمد الراشدون إلى تمثيل أدوار تنتمي إلى سنّ سابقة. وقد يكون النكوص ارتدادًا إلى مرحلة مبكرة وطفولية نتيجة للاستغراق، أو إلى صيغة نموذجية، كما يدلّ على رجعة الطاقات الجنسية إلى سبل أخرى من سبل التعبير.

الرغبة: DESIRE

يعرّفها درفر بأنها اصطلاح عام للشهيّة مصحوبة بوعي واضح لموضوعها وهدفها. فالرغبة تنطوي على إدراك للغرض المستهدف واهتمام بحيازته أو امتلاكه، مثلما تقوم على إسباغ «الجدارة» على الشيء المرغوب فيه. إنها قصديّة على الدوام، تنصب على شيء أو تجربة أو شعور معين، وتنطلق من وعي لايشوبه الإبهام.

رُهاب (خُواف): PHOPIA

الخوف هو قلق عصبي أو عصاب نفسي، لا يخضع للعقل، ويساور المرء بصورة جامحة من حيث كونه رهبة في النفس شاذة عن المألوف، تصعب السيطرة عليها أو التحكّم فيها. ينطوي على طابع مرضي، وينشأ عادة من جرّاء تجارب سابقة غير سارة ومترسّبة في حالة لا شعورية، أو إنه يتولّد من صدمات نفسيّة

دائرة المعارف

عنيـفـة. وهو خـوف من أشـيـاء مـعـينة أو وضـعيات ومـواقف مـحـدّدة، ومن الإتيـان بأعـمـال ونشاطات موصـوفـة. والشـخص الذي يعتريه الخُواف لايفهم طبيعة هذا القلق والخوف المرضي (فوبيا).

ومن أنواع الخواف: خـواف الإصـابة بالمرض PATHOPHOBIA؛ خـــواف الأعـمـاق BATHOPHOBIA؛ خـواف الأمـــاكـن المغـلـقـــة CLAUS- TROPHOBIA؛ خـــواف رؤيـة الـدم HAEMATOPHOBIA؛ خواف الظلمة SCTOPHOBIA؛ خـواف الموت والوفـاة THANATOPHOBIA...الخ.

(ز)

الزعامة: LEADERSHIP

هي استـعـداد وقـدرة على توجـيـه الغيـر وإرشادهم وتسلّم مـقاليد أمورهم. والزعـامة قـدوة للآخرين، ودور يؤديـه الشخص الفـرد أو مـجـموعـة من الأفـراد أحـيـانًا (القـيـادة الجـماعيّة) على سـبيل التـعـبيـر عن رغبـات الجماعة وعن أهدافها.

يشترط في ذلك أن تعتـرف بها الجماعة، وأن تعـتـبر القـائد ناطقًا باسـمـهـا ومجـسّدًا لآمالها وأمانيها.

(س)

السجيّة: CHARACTER

هي كناية عن مـجـمـوعة من الـصـفـات والمزايا الشـخـصـيّة التي يتـمّ النظر إليـهـا من الزاوية الأخلاقيّة والأدبيّة. فالسجيّة هي الميزة الخـاصّة التي يـتـحلّى بهـا الفـرد، وتميّزه عن سواه مـن الأفراد. وقد اعـتبـرها عالم النبات الألماني مندل بمثابة الحصـيلة النهـائية لأحـد خطوط النمو الخاضـعـة لعوامل وراثية خاصّة. فـهي إحدى نواحي الشـخصـيّة التي تنطوي على الخصال الدائمة لدى الفرد.

السلوك: BEHAVIOR

هو مـجـمل الاسـتـجـابة الكـليّة، على الصعيدين الحركي والغددي، التي تصدر عن كائن عضـوي إزاء أي وضع أو موقف يواجه هذا الكائن، ويدعـوه إلى القيـام بردّ فعل مـا. تطلق على كل عـمل يأتيـه الكائن الحي، من الأعـمـال الجـسـمـية الـظاهرة والباطنة، إلى العـمليّات الفـيـزيولوجيـة والنشـاط العـاطفي والعـقلي. ومنهم من يحـصر السلوك بالعـمل الظاهر للعيان عن طريق العـضلات والغـدد، والقابل للمشاهدة والملاحظة.

(ش)

شخصية: PERSONALITY

لفظة مشـتقّة من كلمـة لاتينية (PER- SONA) وتعني القناع أو الـوجه المسـتـعـار الذي يرتديه المـمثل. والشـخـصـيّة كناية عن مـجـمـوعـة خصـائص المرء، الجـسـميّة منهـا والعاطفيـة والنزوعية والعقليـة، التي تمثل حياة صاحـبهـا، وتعكس نمط سلوكـه المتكيّف مع البـيئة. فـهي لفظة يجـري اسـتـخدامهـا على معان عدّة شعبية وسيكولوجيّة.

أمـا معناها الأشـمل فهـو التنظيم المتـسق والدينامي لصـفـات الفـرد الجـسـميّة والعـقـلية والأخـلاقيـة والاجتـمـاعيـة، حـسب تجليهـا للآخـرين في مـجـال الأخـذ والعطاء داخل الحياة الاجتماعية.

الشعور: FEELING

الشـعـور هو اصطلاح عـام لـلدلالة على الناحية الانفعاليّة في التجربة، مثل تجربة اللذة ونقيـضها والاهتمـام وما شابه ذلك. يشتمل عادة التجربة العاطفية، ويستخدم على صعيد شـعـبي بمعنى غـيـر مـحـدد لـلدلالة على أية تجـربة، ولاسيـمـا للإحـساسـات اللّمـسـية . وعلى صعيد الانفعـال هو بمثابة الحالة النفسيّة أو التوتر النفسي المصاحب لهياج العاطفة.

(ص)

الصراع: CONFLICT

هو التضاد بين دوافع أو رغبـات متعارضة ومتـناقضة، ممّا يـؤدي إلى تصارعـهـا، ويسـفر عن التـوتر العـاطفي الـذي ينطوي غـالبًا على إزعـاج شـديد. وتقـول نظريات الـتـحـليل النفــسي بأن هذا الـوضع يؤدي بـدوره إلى كـبت أحـد الدوافع أو إحـدى الرغـبـتين المتصارعتين في داخل النفس.

وقـد صنـف بعض العلمـاء الـصـراع إلى ثلاثة أنواع:

الأول: صـراع الإحـجـام AVOID- ANCE - AVOIDANCE CON- FLICT ينشـأ عندما يجد المرء نفسه أمام قوتين سلبيتين يريد أن يبتعد عنهما.

الثاني: صـراع الاقتـراب (الإقـدام) AP- PROACH - APPROACH CON- FLICT وينشــأ هذا النـوع من الصــراع بين هدفين إيجابيين ومتضاربين يتعذر التوفيق بينهما.

الثالث: صـراع الاقـتـراب والإحـجـام APPROACH - AVOIDANCE CONFLICT وينشـأ هذا الـصـراع عندمـا يغدو الهدف إيجابيًا وسلبيًا في آنٍ واحد، أي عندما يكون الهدف جـاذبًا للفردِ ومهدّدًا في الوقت نفسه.

قصة قصيرة

العروس

حسين علي هنداوي

كان الليل قد ألقى بستائره المكفهرة على الطرقات عندما كان زيدان عائداً من قرية أم الجِمال إلى بلدته، ولما كان البرد يكشّر عن أنيابه، والمطر ينهمر بغزارة شديدة، فقد قرر زيدان اللجوء إلى مغارة الزرازير الممتدة في تلك التلة الصغيرة علّ المطر يهدأ من انفعاله وتتوقف شرايين السماء عن النزيف.

وما إنْ باشر زيدان بعبور المغارة حتى رأى عينين تبرقان داخلها.

عندها أحسَّ بأن هاتين العينين هما «ضَبْعٌ» يكمن هنا. ولما كان معتادًا على مقارعة الضباع فقد تقدم منه ببطء، ثم قفز عليه بسرعة البرق، وبعد عراك شديد تمكن زيدان من خنق الضبع وجره خارج المغارة. وأثناء جره للضبع كان زيدان يركل جسما غريبا أحس بفطرته الريفية أنه جسم لآدمي ميت.

حمل زيدان قدّاحته ثم أشعلها، وأخذ يتحسس بإحدى يديه هذا الجسد. إنه جسد أنثى. ورغم أنه كان في عجلة للرجوع إلى زوجته وأولاده الذين لم يرهم منذ أسبوعين، فقد قرر المبيت في مغارة الزرازير حتى الصباح لكي يتحقق من شكل هذه الأنثى. فأبناء الريف لديهم نخوة أصيلة تدفعهم دائماً إلى مَدّ يد العون حتى للغرباء، فكيف بأبناء بلدتهم الواحدة، ثم إنه لابدّ له من معرفتها فالبلدة صغيرة، وجميع أفرادها يعرفون بعضهم بعضا.

وضع زيدان نعليه تحت رأسه وغرق في نوم عميق، لقد بلغ منه التعب حداً جعله يستغرق في نومه وكأنه صخرة جثمت على آلام الأرض.

ولما بزغ أول خيط للضوء وكان زيدان قد أفاق من نومه كعادته فتململ قليلاً ثم نهض، وأخذ يقلب الجثة ثم غطى الجزء المكشوف منها وجر الضبع إلى داخل المغارة ثم سد بابها بمجموعة من الحجارة وقفل راجعاً إلى بلدته، ولما دخل البلدة كان لابد من المرور عبر السوق حتى يصل إلى بيته الواقع في الطرف الآخر، وأثناء مروره في السوق سمع عليّاً يصيح كعادته وهو راكب حماره ويقول:

" من رأى أو سمع أخبار (حرمة) عبدالقادر فله مئة ليرة ذهبية"

وتبسّم زيدان بينه وبين نفسه ودخل الدار فقامت زوجه وجهزت له صحناً من اللبن والدبس وجلست إلى جانبه وأخذت تحدّثه عن قصة مريم، ثم استطردت في حديثها قائلة: إنه لمن الغريب حقاً أن تختفي في ليلة زواجها. فهي كما عُرِفَ عنها فتاة خجولة مؤدبة ابنة حسب ونسب، ولم يعرف عنها السوء قط، لقد كانت راضية بزواج ابن عمها عبدالقادر، ولكن قد تكون غزوات البدو قد اختطفتها، والناس في ضجة العرس فهي جميلة والعين عليها كما يقولون. وحمد زيدان ربه بعد أن مسح فمه بطرف منديله، وقال: لاتتعجلي ياخديجة، فكل شيء لابد أن يظهر على حقيقته مهما طال عليه الزمن، ثم حمل نفسه متوجهاً إلى مضافة عبدالقادر وسلَّم على الجميع ثم جلس في إحدى الزوايا يستمع إلى حديث الرجال.

قال أبوعبدالقادر: سنقوم بتشكيل مجموعات خمس، وكل مجموعة مؤلفة من ثلاثة رجال يجوبون القرى ولايرجعون إلى البلدة دون أن يأتوا برأسها مهما كانت الظروف، لقد خفّضتْ رؤوسنا بين العشائر، وأقسم أنها ستصير عبرة لمن يعتبر.

وتنحنح زيدان، وقال: ياجماعة! لاتتعجلوا، فشرفكم مصون، وكرامتكم محفوظة، وابنتكم ابنة الرجال! وتلفَّت الجميع إلى زيدان وهم مشدوهون.

قال أبوعبدالقادر: أكمل حديثك يابني!

وأردف زيدان: البارحة عُدْت من قرية أم الجمال وساقتني الأمطار إلى مغارة الزرازير علَّ السماء تتوقف عن الهطول. وما أن دخلت المغارة حتى وجدت فيها ضبعاً فخلَّصْتُ عليه وحملته خارج المغارة فتعثرت قدماي بجسد آدمي وانتظرت حتى الصباح فوجدت ابنتكم قد أكل قسم منها فأغلقت عليها باب المغارة، فاركبوا خيولكم وستجدونها.

هتف الجميع بصوت عفوي: ابن أصل يازيدان! بارك الله في همتك، وستر عرضك.

وانطلقت الخيول لترجع بالعروس والضبع حيث عُلِّقَ أمام دكان أبي عدنان ليراه الجميع وليعرفوا أن شرف الفتاة كان أبيضا.

عزف الروح وحرف القصيد

عقيل ناجي المسكين

جئتُ والأطلال جَذلَى بانفرادِ   والهوى يطوي سنيني بانقياد
جالَ فكري في خيالي، في ظنوني   ما اشتياقي عن ديَاري يا هنادي
جاءني من ثغرها ردٌّ مثيرٌ   إذْ سقتهُ بسمةٌ تشذو بوادي
أيْ خليلَ الروح ياعمري ونفسي   ذا الهَوى يحلو بقربي وابتعادي
جئت منها وارتضعتُ الودَّ فيها   من ثراها صرت أنمو بازدياد
إنَ قلبي خلف أضلاعي ينادي   يا بلادي يا بلادي يا بلادي
أنتِ ياوردًا بأحداقي وروحًا   سوسنيًا ضاع عبقًا في وهادي
أنتِ في صحراءِ آفاقي وحُلمي   أنتِ يا أنشودةً من كلِّ حَادي
أنتِ يا أرجوزةً من عزفِ روحي   أنتِ يا قيثارةً في لحنِ شَادي
أنتِ آهاتي وموّالي وشعري   أنتِ في بَالي وطيفي في سهادي
أنتِ في بحري وأمواجي سفينٌ   أنتِ في طوفانِ نفسي كالمهادِ
أنتِ قلبي خلفَ أضلاعي ينادي   يابلادي يا بلادي يا بلادي
أنتِ أحلامُ الصَبَايا، أنت رسمٌ   في خَيَالي، في عُيُونِي، في مِدادي
أنتِ آمالي وأسراري وكنهي   أنتِ روحي، أمنياتي وانشدادي
أنتِ ليلي بالهوى أهفو إليها   أنتِ يا أحلى غرام في مُرادي
لاتلمني ياسميري ما بحالي   هذهِ الأنّاتُ أشواقي وزادي
إنها دقاتُ قلبِ عاشقٍ للـ   ـبرِّ والخيراتِ بالأفضالِ بادي
إنها أصداء أوتاري تنادي   يا بلادي يا بلادي يا بلادي
إنها ينبوعُ حبٍّ دافقٍ بالـ   ـيمن والإيمان يجري للتلادِ
إنها أنغامُ محزونٍ يغني   كلَّ آلام الورى في كل نادي
يومَ أن كانت روابينا صحارَى   مقفراتٍ والحمَى فيها البوادي
هاجدود في الثرى جادت بزرعٍ   صار ينمو في رُؤانا للحصادِ
ذاك عزمٌ صادقٌ ما غاب عنّا   فارتقينا للأعالي باتئاد

ذاك عـــــرقٌ نابضٌ فـــــينا ينادي ... يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي
يفـــخـــرُ البـــاني لصـــرحٍ من بناءٍ ... إذ رقى فـــيـــهـــا بدينٍ واعـــتـــقـــادِ
واهتـــــدى الراقي لخـــــيـــــرٍ من إلهٍ ... رازقٍ لـــلـــخـــلـــقِ فـــي كـــلِّ الـــوهـــادِ
حـــمَّل الانســـان عـــقـــلاً من ضـــيـــاءٍ ... فـــاهـــتـــدى بالنور نـــهـــجًـــا للســـدادِ
شـــدَّ رحلَ الســـيـــرِ قـــدمًـــا للمـــعـــالي ... فـــاجـــتـــنى العليـــاء قطفًـــا بالأيادي
مـــا ابـــتـــغى الدنيـــا لـــلهـــوٍ وانـــحـــدارٍ ... بلْ مـــشـــاها درب جـــد واجـــتـــهـــادِ
وابتـــــداها غـــنوةً صـــــوتُ المُنَادي ... يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي
وارتـدى الأخـــــلاق ثـوبًـا لـيس يـبـلـى ... من صـــــروفِ الدهرِ أو جـــهـــلِ الأعـــادي
يحـــمـــل القـــرآن صـــدقًـــا في صـــدورٍ ... وهـــو يرويهـــا بهـــدي واعـــتـــداد
واقـــتـــبـــسنا من هـــداه النور وهجًـــا ... شعَّ للأجـــيـــالِ حـــبًـــا باتِّقَـــادِ
ذاك حكـم اللهِ يعـلو في ســـمَـــانا ... مـــا التـــجـــأنا للدّنَايَا والرقَـــادِ
إنهُ العـــــزُ الـــذي يُرقِي لمجـــــدٍ ... من أمـــانِ والتـــقـــاءٍ واتِّحـــادِ
فـــازدهي في عـــالـمٍ وارقَيْ عـــلاهُ ... يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي
مـــهـــبط الأمـــلاك ذي خـــيـــرُ الأراضي ... بَـلَّغَ الإســـلامَ فـــيـــهـــا خـــيـــر هادي
ها بـطيبٍ للورى فـــيـــهـــا حـــبـــيبٌ ... خط للإنســـــان دربًـا للرشـــادِ
قـــد بداها دعـــــوةً يعلو لواها ... شـعلة التـوحـيـدِ والنور القـيـادي
مـــســـرح الأمـــجـــاد والتـــاريخ يحكي ... دولـةً عظمى وأســـرار العـــمـــادِ
إنه الفـــخـــر الذي ينشي لســـاني ... يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي
بـارك البـــاري رُبَاها واجـــتـــبـــاها ... عن بقـــاعِ الأرضِ طرًا والنجـــادِ
إذ حَـــبَـــاهَـا من قـديمٍ خـيـر مـهـوى ... بيت حجٍ واعـــتـــصـــامٍ وارتيـــادِ
إنه الخـــيـــر الذي نرجـــوه دومًـــا ... نعـــمـــةً كـــبـــرى على كل السَـــوادِ
إنه الشـــوق الذي يحـــيـــا ربيـــعًـــا ... في رؤانا فـــانتـــشى عطر الوِدادِ
واســـتـــقـــاها الطـيـر لحنا عـــسجـــديًا ... فـاســـتـــحـــالت أغنيـاتٍ للجـــهـــادِ
إنـه الحب الـذي يُســـــقَـى رويًـا ... للبـــرايا مـن بلادي عـن بلادي
تلك أســـراري بنظمٍ عن شـــعـــوري ... مـا اتخـذت الشعـرَ سيـفي أو زنادي
ها أنا قـد بحـتُـهـا ياصـاحِ عـذرًا ... إن سبـقت الريح فـيـهـا كـالجـواد
إنهـــا آيات صـــدقٍ في ضـــمـــيـــري ... فـانتـهلهـا من عـيـوني، من فـؤادي
مـــا اكـــتـــفى حـــرفي لنبض الحب يومًـــا ... بل أتي يحـــدو قـــصـــيـــدًا باطِّراد
فـــارتقـــبـــهـــا درة الأشـــعـــار مني ... نورها يضـوي بحـوري وامـتـدادي
خطّت الأنوار سطـرًا من حـــروفي ... يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي يـــا بـــلادي

السعودية



الأمير
سلطان بن
عبدالعزيز



الأمير
سلمان بن
عبدالعزيز

سمو النائب الثاني يفتتح المعرض البيئي

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام رئيس اللجنة الوزارية للبيئة الشهر الماضي في الرياض المعرض البيئي الذي استمر ثلاثة أسابيع ضمن أنشطة برنامج مشروع التوعية البيئية السعودي .

أوضح صاحب السمو الأمير فهد بن عبدالله مساعد وزير الدفاع والطيران لشؤون الطيران المدني أن مشروع التوعية البيئية السعودي قد انبثق من خلال برنامج التوازن الاقتصادي ضمن الاتفاقية مع شركة جنرال دينامكس ، وتم تمويل أنشطة المشروع من القطاع الخاص، إذ أسهمت أكثر من ١٤٠ شركة وطنية وأجنبية في هذا التمويل.

وتمثلت المرحلة الأولى من المشروع في إعداد ملصقات التوعية البيئية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة (اليونسكو)، التي تم توزيعها على المدارس والمرافق التعليمية الأخرى والقطاع الخاص لتعميق مفهوم المحافظة على البيئة ومخاطر التلوث، ويمثل المعرض البيئي المرحلة الثانية، ويرمي إلى التثقيف، ورفع مستوى الوعي البيئي.

وقد لاقى المعرض إقبالاً كبيرًا من المواطنين وتشجيعًا من كبار المسؤولين.

الأمير سلمان يفتتح واحة العلوم

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض، ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، مركز واحة العلوم بحي السفارات بمدينة الرياض، الذي يشكل نواة لبعض عناصر مشروع واحة العلوم الكبرى، التي تعتزم الهيئة إنشاءها مستقبلاً.

وتشتمل واحة العلوم المرحلية على أكثر من خمسين معروضة علمية في مجالات مختلفة، توضح مبادئها المهمة، وظواهرها المتباينة، بهدف تثقيف الشباب السعودي وتشجيعه على البحث العلمي.

وفاة الشيخ عبدالله خياط إمام المسجد الحرام

تُوفي في الشهر الماضي في مكة المكرمة الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط إمام المسجد الحرام وخطيبه السابق (٨٩عامًا).

وكان الشيخ خياط قد تولى إمامة الحرم المكي في صلاة العشاء، وصلى بالناس في الحرم إمامًا في العشر الأواخر من رمضان، ولم يكمل التاسعة عشرة من عمره.

وقد عين إمامًا للمسجد الحرام بالاشتراك مع الشيخ عبدالظاهر أبو السمح بأمر ملكي صدر في العام ١٣٤٦هـ، ثم عين إمامًا وخطيبًا للحرم المكي في العام ١٣٧٣هـ، وتقاعد في العام ١٤٠٥هـ لاعتلال صحته.

وكان الشيخ خياط عضوًا في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتولى إدارة مدرسة الأمراء عام ١٣٥٦هـ بأمر من الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وعين كذلك في هيئة كبار العلماء بعد تأسيسها مباشرة في العام ١٣٩١هـ، وظل عضوًا فيها حتى العام ١٤١٣هـ.


الشيخ عبدالله خياط

من أهم مؤلفاته: «مبادئ السيرة النبوية»، «الرواد الثلاثة»، «صحائف مطوية»، «اعتقاد السلف»، «الخطب في المسجد الحرام» (٦أجزاء)، «التفسير الميسر» (٣ أجزاء)، «حكم وأحكام من السيرة النبوية»، «تحفة المسافر بأحكام الصلاة والصيام في الطائرة»، «تأملات في دروب الحق والباطل»، إلى جانب مشاركات صحافية وإذاعية متعددة.

موسوعة جغرافية سعودية

بدأت الجميعة الجغرافية السعودية في إعداد موسوعة للأماكن الجغرافية في المملكة، تتخذ - في مرحلتها الأولى - المعاجم الجغرافية التي أصدرها رواد الجغرافيا السعوديون مثل الشيخين: حمد الجاسر وعبدالله بن خميس وغيرهما مرجعًا.


عبدالله خميس

ويتم -في المرحلة الثانية بعد -عامين استكمال مالم يذكر في المعاجم الحالية، بحيث تكون الموسوعة شاملة للأماكن الجغرافية بالسعودية كافة.

منع إجراء أبحاث على المواقع الأثرية

أعلنت وزارة المعارف أنه لن يسمح لأي شخص مهما كان عمله بإجراء أبحاث أو دراسات على المواقع الأثرية، واستثنت الوزارة الذين يحملون تصريحًا أو موافقة صريحة من إدارة الآثار والمتاحف، على ألا تتجاوز مدة التصريح شهرًا.

تجيء هذه الخطوة نتيجة لكثرة طلبات الزيارة، وأعمال الأبحاث الأثرية، وخوفًا من التعديات التي قد تتعرض لها المواقع الأثرية من بعض الأشخاص.

معرض تشكيلي للخط العربي والزخرفة الإسلامية

شارك ٤٦ فنانًا وفنانة في المعرض الجماعي الثالث لفناني منطقة القصيم، الذي أقيم - مؤخرًا - في بريدة تحت شعار «الخط العربي والزخرفة الإسلامية»، وافتتحه أمير المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز.

تضمن المعرض مجموعة من اللوحات تعكس جماليات الخط العربي والزخرفة الإسلامية وأسرارهما ، ونظَّمه فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في القصيم.

التراث السعودي في معرض لفنانة إيطالية

أقيم في جدة - مؤخرًا - المعرض الشخصي الأول للفنانة التشكيلية الإيطالية أورشيون ميشيلينا.

واستوحت الفنانة مادة المعرض من التراث والبيئة في المملكة العربية السعودية، حيث ترجمت ميشيلينا تجربة سنوات من إقامتها في المملكة إلى لوحات تشكيلية تعبر عن عادات البلاد وتقاليدها وبيئتها، وتعكس الواقع والتحول الحضاري الذي عرفته السعودية في مختلف مجالات الحياة.

سلسلة ثقافية تصدرها الرابطة

بدأت رابطة العالم الإسلامي في تنفيذ سلسلة جديدة من الكتب الثقافية الإسلامية تحت عنوان «سلسلة جيل المستقبل». وقد صدرت باكورة السلسلة بكتاب «الحقائق الأساسية للإسلام» لمؤلفة د. عبدالله سعد.

كتب جديدة

وصايا إسلامية في أدب الذرية، تأليف د.إسماعيل عبدالفتاح الكافي.

الحركة الثقافية في شهر

ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ، تأليف د. رشيدة عبدالحميد اللقاني.

(صدر الكتابان السابقان عن جامعة الملك سعود في الرياض).

كيف القلب ينساك؟ ديوان للشاعر عبد الإله محمد جدع، قدّم له الشاعر يحيى توفيق، وصدر عن دار انتصار للنشر.

القيمة الاجتماعية والتاريخية في كتاب البخلاء للجاحظ، تأليف د. صالح بن سليمان الوشمي، صدر عن فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالقصيم.

الأدب الإسلامي: إنسانيته وعالميته، تأليف د. عدنان علي رضا النحوي، صدر عن دار النحوي للنشر والتوزيع.

الطريق التعب، (ثلاث عشرة قصة قصيرة لأدباء من بريطانيا وروسيا وفرنسا والمكسيك) جمعها وترجمها إلى العربية خلف سرحان القرشي، وصدرت عن نادي الطائف الأدبي.

تقليب النار على الحطب في لغة السرد القصصي، تأليف سعيد السريحي.

الأجناس الأدبية (ترجمة لمجموعة مقالات متخصصة) قام بترجمتها إلى العربية عبدالعزيز شبيل.

نظرية التلقي، تأليف روبرت هولب، ترجمه إلى العربية د. عزالدين إسماعيل.

(صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن نادي جدة الأدبي الثقافي).

الإعلام والتحديات المعاصرة، تأليف د.فؤاد عبدالسلام فارسي، صدر ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» عن مؤسسة تهامة للنشر والمكتبات.

الضفة الثالثة، تأليف كمال ممدوح حمدي، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية.

من قضايا البحث العلمي في الجامعات السعودية، تأليف د. محمد بن عبدالرحمن الربيع، صدر عن إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الإمارات

المؤتمر الأول للثقافة

ينظم اتحاد كتاب الإمارات وأدبائها المؤتمر الأول للثقافة في الإمارات خلال شهر شوال المقبل.

يتناول المؤتمر محورين أساسيين تتفرع عنهما عدة محاور، وهما: الثقافة الوطنية في دولة الإمارات قبل قيام دولة الاتحاد، والثقافة في المرحلة الاتحادية.

يشارك في تنظيم المؤتمر عدد من المؤسسات العامة في حقل الثقافة.

كتب جديدة

الفهرس المختصر للمخطوطات العربية والإسلامية، إعداد بسام محمد بارود، إشراف د. عبدالحميد الرفاعي، صدر عن دار الكتب الوطنية في أبو ظبي.

البحرين

معرض لتاريخ الطوابع بدول مجلس التعاون

أقامت جمعية البحرين لهواة الطوابع، معرضًا لتاريخ الطوابع في دول مجلس التعاون الخليجي.

أقيم المعرض برعاية وزارة الإعلام، وبمناسبة صدور كتاب «تاريخ الطوابع في دول مجلس التعاون الخليجي»، حيث عرضت النسخ الأصلية للطوابع التي وردت في الكتاب، وهي من أندر طوابع المنطقة.

سلطنة عمان

صرح إسلامي جديد

قرر السلطان قابوس بن سعيد إنشاء مسجد في محافظة مسقط يتسع لما يزيد على ١٥٫٥٠٠ مصل، على نفقته الخاصة.

يجمع المسجد بين مهمة أداء العبادات والشعائر، والتنوير الديني والثقافي، حيث سيكون منظومة متكاملة تحتوي إلى جانب أماكن العبادة على قاعات لتدريس علوم الدين الإسلامي وفقهه.

الكويت

الفائزون بجوائز سعاد الصباح للإبداع الفكري والأدبي

أعلنت - مؤخرًا - أسماء الفائزين بجوائز د. سعاد الصباح للإبداع الفكري والأدبي.

نال جائزة الشعر نصرت حبشي (سورية)، تلاه عبدالسلام قاسم المحاميد (سورية)، ثم في المركز الثالث مناصفة كل من: حسان الجودي (سورية) ومحمد السيد عبدالعظيم (مصر).

وحصل على جائزة الرواية زياد كمال حمامي (سورية)، يليه النور الكارس أحمد رفع الله (السودان)، ثم هويدا سمير عبدالمجيد (لبنان).

وفاز بجائزة القصة القصيرة هادي مجد الدين بكر (مصر)، تلاه مصطفى الحاج حسين (سورية)، ثم عامر الديك (سورية).

وكانت جائزة التراث وموضوعها: دراسة نقدية لشاعر معاصر أو كتاب من نصيب بهاء الدين أحمد مزيد (مصر)، تلاه لؤي علي خليل (سورية)، ثم سهير محمد السيد حسنين (مصر).

كتب جديدة

أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي، تأليف د. حسن وجيه، صدر عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع بالكويت، ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية.

من أشراط الساعة الكبرى: خراب الكعبة، تأليف محمد إبراهيم الشيباني، صدر ضمن «السلسلة الإرشادية» عن مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

مصر

المؤتمر الدولي الثالث للأدب المقارن

نظمت كلية الآداب بجامعة القاهرة - مؤخرًا - المؤتمر الدولي الثالث للأدب المقارن، الذي يقام دوريًا كل عامين.

شارك في المؤتمر ستون مفكرًا وأديبًا مصريًا وعربيًا وأجنبيًا، بحثوا قضايا التاريخ في الأدب، وكيفية توظيف الحدث التاريخي في العمل الأدبي، ومدى حرية الكاتب في التعامل مع الواقع التاريخي بشيء من الخيال، وتداخل القصص الشعبية والتراث الشفهي مع الحدث التاريخي.

مركز للبحوث والدراسات الإسلامية

أسست جامعة القاهرة مركزًا للبحوث والدراسات الإسلامية يتبع كلية دار العلوم، ويضم مجلس إدارته نخبة من المفكرين وأساتذة الجامعة، بهدف مواجهة تحديات العصر برؤية إسلامية واضحة.

يتكون المركز من خمسة أقسام رئيسة، منها قسم لإحياء التراث العربي والإسلامي، وآخر لتدريب طلبة الدراسات العليا على وسائل البحث العلمي، والثالث للعلاقات الخارجية الإسلامية والعربية، والرابع للمحاضرات والندوات المتخصصة في الواقع الإسلامي، والأخير للتاريخ والحضارة الإسلامية.

المؤتمر السنوي لاتحاد المؤرخين العرب

اختتم - مؤخرًا - في القاهرة المؤتمر العلمي السنوي لاتحاد المؤرخين العرب، الذي يعقد تحت شعار «الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول».

ترأس المؤتمر د. سعيد عبدالفتاح عاشور، وناقش عدة محاور، تناولت مراحل مختلفة من تلك الحقبة، بمشاركة مجموعة من أبرز الأكاديميين والمؤرخين العرب، من بينهم د.غيثان علي جريس (السعودية)، د. فاروق عثمان أباظة (مصر)، د. فيصل الكندري (الكويت).

جامعتان جديدتان


نلسون مانديلا

تقرر إنشاء جامعتين جديدتين، أولاهما في الإسماعيلية، تحمل اسم جامعة نلسون مانديلا، والثانية في قنا، باسم «جامعة جنوب الوادي» لخدمة أبناء محافظات قنا وسوهاج وأسوان.

ومن المقرر أن تضم جامعة مانديلا ٣٤ كلية ومعهدًا، وتقام بالتعاون بين اللجنة الأمريكية لدعم الإنماء الاقتصادي في إفريقيا، والوكالة الإفريقية العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وجامعة كولومبيا. إضافة إلى معونة كندية، وقد رصد لإنشائها ٤٥٠ مليون دولار.

أما جامعة جنوب الوادي فمن المقرر أن تُفتَتَحَ مع بداية العام الدراسي الجديد، وتتضمن في مرحلتها الأولى كُلِّيتين في مدينة الأقصر، أولاهما للسياحة، والأخرى للآثار، إضافة إلى كلية للخدمة الاجتماعية في مدينة أسوان.

حملة لإخلاء الآثار الإسلامية في جنوب القاهرة

بدأت منطقة آثار جنوب القاهرة في أول إجراء من نوعه في مصر منذ خمسين عامًا

الحركة الثقافية في شهر

لإخلاء الآثار الإسلامية الواقعة تحت إشرافها من شاغليها، تمهيدًا لبدء ترميمها، وإعادة فتحها للزيارات السياحية.

وجرى إخلاء عدد من الأماكن الأثرية، من بينها منزل السلطان قايتباي الذي يعود تاريخه إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكانت تشغله ٣٢ أسرة يصل عدد أفرادها إلى ٢٥٠ فردًا، ومنزل السادات المتميز بزخارفه العثمانية الرائعة، وكانت تشغله أربع أسر، و«سبيل الوفائية» و«سبيل إبراهيم بك» اللذان كانا يستغلان تجاريًا وصناعيًا.

مركز إسلامي

يفتتح خلال شهر رمضان الجاري مسجد النور بحي العباسية في القاهرة، الذي يعد أكبر مركز إسلامي، أقيم في مصر في السنوات الأخيرة.

وقد شارك في بناء المسجد ثلاثة آلاف عامل، وتكلفت عملية إقامته ٢٧ مليون جنيه مصري، ويصل ارتفاع مئذنته إلى ١١٢ مترًا، ويعلوها هلال نحاسي ارتفاعه ستة أمتار، وروعي في تصميمه أن يصبح مركزًا إسلاميًا اجتماعيا وتعليميًا.

متحف للأحياء المائية

أعدت إدارة السياحة بمحافظة سيناء الشمالية مشروع متحف الأحياء المائية بالمنطقة.

شملت دراسة المشروع إعداد المتحف وتجهيزه بما يتلاءم مع مواصفات المتاحف العالمية، حيث سيضم أشهر أنواع الأسماك والأحياء المائية التي تتميز بها المحافظة.

الفائزون بجائزة كفافيس

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز مهرجان الشاعر اليوناني كفافيس لعام ١٩٩٤م.

فازت بجائزة الشعر العربي الشاعرة نازك الملائكة، ونال جائزة الشعر المصري الشاعران محمد سليمان، ونصارعبدالله، وذهبت جائزة الشعر اليوناني إلى الشاعر جورج كاكو ليدس، وحصل على جائزة الدراسات د. عبداللطيف أحمد علي.

وتمنح جوائز كفافيس سنويًا تكريمًا لذكرى الشاعر اليوناني الأصل الذي عاش الجزء الأكبر من حياته في مصر، وعبر في أعماله عن الحضارة المصرية واليونانية.

كتب جديدة

أثر العابر، مختارات من دواوين الشاعر أمجد ناصر، صدرت عن دار شرقيات في القاهرة.

محاضرات وندوات

«المسلمون في القوقاز» عنوان ندوة شارك فيها كل من: د. أحمد موسى عادل الشيشاني، و د. علي أوزك، وأدارها د. عبداللطيف محمد الحميد.

«الفراغ الروحي طاعون العصر»، عنوان محاضرة ألقاها د. حسن ظاظا. نظم الندوة والمحاضرة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وأقيمتا في قاعة المحاضرات التابعة للمركز بمقر مؤسسة الملك فيصل الخيرية في الرياض.

«يحيى حقي مبدعًا وناقدًا» عنوان محاضرة ألقاها في اتحاد كُتّاب الإمارات وأدبائها، د. عبد الفتاح محمد عثمان.

«الموارد المائية في الشرق الأوسط» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي بسفارة جمهورية مصر العربية في الرياض، د.زغلول النجار.

«الشعر مرآة الحياة» عنوان أمسية شعرية أقيمت في جمعية المعلمين بالفجيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، جمعت بين شعراء الفصحى والنبط.

«المرأة والمجتمع المدني في العالم العربي» عنوان محاضرة ألقتها في النادي العربي في لندن د. خديجة محمد صفوت.

«فكرنا النقدي في مواجهة الفكر العربي» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي ببريدة د. عبدالحكيم حسان.

نظمت اللجنة الثقافية باتحاد كتاب الإمارات وأدبائها أمسية قصصية بالشارقة للقاصتين أسماء الزرعوني وانتصار السعدي.

«مسؤوليات تربية الأبناء» عنوان محاضرة ألقتها في جمعية الإرشاد الاجتماعي بعجمان في دولة الإمارات العربية المتحدة مريم المقبالي.

لغة بدون كلام، للفنان محيي الدين اللباد (يقدم الفنان في كتابه لغة الإشارات والعلامات المرسومة)، صدر الكتاب عن دار الشروق.

أحوال، مجموعة قصصية لمحمد كشيك، صدرت عن المركز المصري العربي.

لحظات في زمن التيه، مجموعة قصصية للسيد نجم، صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الكاتب الحديث وعالمه، تأليف ج.س.فريزر، ترجمه إلى العربية أحمد سلامة السيد.

لحس العتب، رواية لخيري شلبي، صدرت ضمن سلسلة «مختارات فصول».

(صدر الكتابان السابقان عن الهيئة المصرية العامة للكتاب)

السودان: حوارات الهوية والوحدة الوطنية، تأليف عبدالعزيز حسين الصاوي، صدر عن مركز الدراسات السودانية.

«هارب من الأيام»، «شيء من الخوف»، «قصر على النيل»، «نقوش من ذهب ونحاس»، أربعة أعمال للأديب ثروت أباظة، صدرت ضمن سلسلة «صفوة الأعمال الكاملة» عن الشركة المصرية العالمية للنشر.

للعشق رائحة الجنوب، مجموعة قصصية لعبدالرحمن شلش، صدرت عن هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية.

السودان

منتدى «إشراقة» الثقافي

تقرر إقامة منتدى ثقافي دائم للشعراء والمبدعين في الميدان الذي يحمل اسم الشاعر التيجاني بشير بمدينة الخرطوم. يحمل المنتدى اسم «إشراقة» وهو اسم أشهر ديوان للتيجاني.

وفاة بشير محمد سعيد

توفي في الشهر الماضي بشير محمد سعيد (٧٤ عامًا) عميد الصحافيين السودانيين، ومؤسس صحيفة «الأيام» السودانية في العام ١٩٥٣م.

وكان سعيد قد بدأ حياته المهنية مدرسًا، ثم امتهن الصحافة في الأربعينيات، حيث عمل في صحيفة «سودان ستار» التي كانت تصدر باللغة الإنجليزية.

وفي الستينيات عُيِّن مستشارًا إعلاميًا في الأمم المتحدة، كما عمل مستشارًا إعلاميًا لرئيس المجلس العسكري الانتقالي الفريق عبدالرحمن سوار الذهب، وتولى رئاسة اتحاد الصحافيين السودانيين مرات عديدة، وله عدد من المؤلفات المنشورة التي تتناول تاريخ السودان، وتاريخ الصحافة السودانية.

«مفهوم التنوير في الفكر المعاصر» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جازان الأدبي د. حلمي محمد القاعود.

استضاف نادي أبها الأدبي الشعراء: عبدالله القرعاوي، د. منصورالحازمي، د. عبدالله العثيمين في أمسية أدارها الأديب حمد القاضي.

استضاف ديوان الكوفة في لندن الروائي إبراهيم الحريري في حديث عن تجربته الروائية.

«السنن الاجتماعية والتغيير الحضاري» عنوان محاضرة ألقاها في مقر الجمعية العربية للتربية الإسلامية في القاهرة جودت سعيد.

«التكنولوجيا والتنمية» عنوان ندوة عقدها في أوكسفورد مجموعة من العلماء والباحثين والأكاديميين العرب.

«السياسة والشعر الشفهي في كتاب الشاهنامة للفردوسي» موضوع محاضرة ألقاها في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن د. محسن أشطيني.

«ملتون الفردوس المفقود» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي د. عزت خطاب.

«نظام التعليم المستمر في بريطانيا ومدى اختلافه عن النظام السائد في الكويت» موضوع محاضرة ألقاها في جامعة الكويت جراهام سنيت.

«تربية الطفل» موضوع محاضرة ألقاها في الجمعية الخيرية النسائية للخدمات الاجتماعية بالدمام د. يوسف أبو حميدان.

نظمت الهيئة العامة لقصور الثقافة ندوة في قصر السينما بالقاهرة عن الأديب يحيى حقي، بمناسبة الذكرى الثانية لرحيله، شارك فيها الدكاترة: فؤاد دواره، مصطفى مرعي، نعيم عطية، أحمد تيمور، وأدارها فؤاد قنديل.

الحركة الثقافية في شهر

العراق

آخر أبراج بابل في خطر

ذكرت تقارير آثارية أوربية أن آخر أبراج بابل يغوص تحت الأرض بمعدل خمسة أقدام سنويًا.

واكتشف الفريق الآثاري النمساوي الذي كان يعمل في العراق منذ عام ١٩٨٠م بعد استئنافه عمله عقب انتهاء حرب الخليج أن زقوات بورسيبا التي على بعد ١٠٠ كيلو متر من بغداد وتعد من أقدم الصروح الهرمية المبنيـة بالطابوق، وترتفع عن الأرض ٦٠ قدمًا، تعرضت للسرقة والنهب، وبدأ الفريق في محاولة إنقاذ مايمكن إنقاذه من الزقوات المحاطة بتلال من الأبراج المهدمة.

ويعود تاريخ زقوات إلى القرن السادس قبل الميلاد حيث بناها الملك البابلي نبوخذ نصر لتكون بابل الثانية، وفقدانها يقضي على آخر أبراج بابل المشهورة التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة.

سورية

الإيسيسكو تقر خطة دعم المؤسسات الثقافية

أقرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) خطة لدعم المؤسسات الثقافية الإسلامية، وتحقيق نشاطات تربوية في دول البوسنة والهرسك، وأذربيجان، والصومال.

وأكدت المنظمة في ختام مؤتمرها الخامس بدمشق - مؤخرًا - سعيها للحفاظ على وحدة مدينة القدس، وحماية هوية الأماكن المقدسة والتراث الإسلامي فيها.

كتب جديدة

«وفي الناس المسرة»، «سنتان وتحترق الغابة» و«شتاء قاس آخر»، ثلاث مجموعات قصصية صدرت في إطار سلسلة الأعمال الكاملة للأديب الراحل سعيد حورانية عن دار المدى في دمشق.

أدبيات عربيات: سير ودراسات، تأليف عيسى فتوح، إصدار خاص للمؤلف.

جلد الحبب، رواية لأندريه دي بلزاك، ترجمها إلى العربية ميشيل خوري، وصدرت عن وزارة الثقافة.

مراجعة نقدية لأدبيات المسرح العربي وتنظيراته، تأليف عبدالرحمن زيدان، صدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

«سبعون ألف أشوري»، «ابن عمي ديكران»، مجموعتان قصصيتان لوليم سارويان الأول، ترجمة حسني سيد لبيب، صدرتا عن دار الصداقة بحلب.

لبنان

كتب جديدة

الديموقراطية وحقوق الإنسان، تأليف د. محمد عابد الجابري، صدر ضمن سلسلة «قضايا الفكر العربي» عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

المعرفة المؤسسة: مساهمة في التحليل السوسيولوجي للخطاب الفلسفي المدرسي في المغرب، تأليف د. مصطفى محسن.

اتفاق غزة - أريحا: التحديات، المخاطر، التداعيات، قراءة مختارة من المساهمات العربية، إعداد محمود عبدالفضيل.

(صدر الكتابان السابقان عن دار الطليعة)

الجيوبوليتيكا والجيوستراتيجيا، تأليف بيار سيليربيه، ترجمه إلى العربية عاطف علبي، وصدر عن مركز الدراسات والبحوث والتوثيق.

مجتمع جبل لبنان في عصر الثورة الصناعية في أوربا، تأليف دومنيك شوفالييه، ترجمته إلى اللغة العربية منى عاقوري، وصدر عن دار النهار للنشر.

قَيْدُكَ أم حريتي؟ مجموعة قصصية لزينب أحمد حفني، صدرت عن المؤسسة اللبنانية العربية للتوزيع والطباعة والنشر.

الفجر يشق الحجر، مجموعة شعرية للدكتورة نور سلمان، صدرت عن مؤسسة النحال للطباعة والإعلان.

الذخائر الشرقية، تأليف كوركيس عواد، جمع وتقديم ومراجعة د. جليل العطية، صدر عن دار الغرب الإسلامي.

الأردن

مواقع سكنية وقبور أثرية

اكتشفت مواقع سكنية تقع بالقرب من السهول والأودية في الأجزاء الشرقية من

مدينة عمان، يرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث، أي نحو ٧ آلاف عام قبل الميلاد.

جاء الكشف خلال مسح أثري شامل للمناطق الشرقية من العاصمة الأردنية. حيث أسفرت النتائج عن اكتشاف حقب تاريخية مختلفة، يعتقد العلماء أنها سوف تسهم في إعادة كتابة تاريخ عمان بشكل مفصل، من خلال ما توفره الكشوفات من مادة تاريخية ذات توثيق علمي.

من ناحية أخرى اكتشفت في بلدة كفر نجه بقضاء عجلون مجموعة من القبور تعود إلى العصرين البرونزي المبكر والمتوسط، أي قبل ما يزيد على ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

ودلت التقنيات على وجود استيطان بالمنطقة ارتبط بالسهول الزراعية.

كتب جديدة

ياءات الحلم الهارب، ديوان شعر لمحمد بلقاسم خمار، صدر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في عمان.

الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، تأليف غازي السعدي، صدر عن دار الجليل.

فلسطين

أول صحيفة لـ «حماس» تصدر في غزة

صدر في مطلع شهر رجب الماضي العدد الأول من صحيفة «الوطن» الأسبوعية، التي تعد أول صحيفة تعبر عن حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، تجيزها السلطة الفلسطينية في قطاع غزة.

يرأس تحرير «الوطن» عماد الفالوجي، وهو صحافي وشخصية بارزة في حركة «حماس»، وكان نائبًا لزعيمها في الضفة الغربية وقطاع غزة من عام ١٩٨٩م إلى عام ١٩٩١م.

سميح القاسم رئيسًا لاتحاد الكُتَّاب



سميح القاسم

أعيد انتخاب الشاعر سميح القاسم رئيسًا لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في إسرائيل، وانتخب محمد علي طه نائبًا له، والدكتور جمال قعوار أمينا للصندوق.

وركز القاسم في بيان مفصل حول نشاطات الاتحاد قَدَّمه خلال اجتماع مؤتمر الكتاب الفلسطينيين بالقاهرة على أهمية قضايا النشر والترجمة، والمشاركة في الأعمال الثقافية مع وزارة الثقافة في السلطة الفلسطينية.

وفاة الشنطي مؤسس صحيفة «الدفاع»

توفي في الولايات المتحدة الأمريكية الصحافي الفلسطيني صادق الشنطي عن عمر يناهز ٨٥ عامًا.

ويُعَدُّ الشنطي من أبرز الصحافيين الفلسطينيين، حيث أسس عام ١٩٣٢م جريدة «الدفاع» بالاشتراك مع شقيقه الراحل إبراهيم الشنطي، ثم توقفت عام ١٩٤٨م، وأعاد إصدارها مرة أخرى في القدس إلى أن توقفت للمرة الثانية عام ١٩٦٧م، ثم صدرت في عمان عام ١٩٧١م، وظلت مستمرة في الصدور حتى تم إلغاء الصحف الفلسطينية: «الدفاع» و«فلسطين» و«المنار» لدمجها في صحف يومية.

وقد تعرض الراحل للاعتقال أكثر من مرة إبان الانتداب البريطاني في فلسطين، بسبب مقالاته المدافعة عن القضية الفلسطينية.

الجزائر

كتب جديدة

مذكرة في مصطلح علم الحديث، والجمع الحثيث إلى جمع فوائد علم الحديث لأبي العباس شهاب الدين القسطلاني، تأليف بشير ضيف بن أبي بكر،

صدر الكتابان عن ديوان المطبوعات الجامعية.

تونس

ندوة علمية عن المؤسسات البحثية العربية والتركية

تقام في مدينة زغوان ندوة دولية عن «دور المؤسسات البحثية في تطوير العلوم الإنسانية والاجتماعية في البلدان العربية وتركيا» خلال شهر شوال المقبل (مارس ١٩٩٥م).

ينظم الندوة مركز الدراسات والبحوث

الحركة الثقافية في شهر

العثمانية والتوثيق والمعلومات في تونس، ويشارك فيها أكثر من أربعين باحثًا عربيًا وتركيًا وأوربيًا وأمريكيًا.

وتركز الندوة على ثلاث محاور رئيسة هي: الأوضاع الإدارية لمؤسسات البحث العلمي في العالم العربي وتركيا، وخصوصيات البحث العلمي في أوربا والولايات المتحدة، وتقويم أوضاع مؤسسات البحث العلمي الخاصة في العالم العربي وتركيا.

المغرب

مطالبة باستراتيجية وطنية ثقافية

أكد المجلس الوطني للثقافة في ختام اجتماعاته مؤخرًا برئاسة ولي العهد الأمير سيدي محمد، أهمية وضع استراتيجية وطنية شاملة ودقيقة للنهوض بالقطاع الثقافي، بحيث ترتبط بواقع الثقافة المغربية وآفاقها، وتعمل على الحفاظ على التراث الوطني.

ودعا المجلس إلى إعفاء النتاج الثقافي المغربي من الرسوم والضرائب، وعقلنة العمل الثقافي وترشيده، وتحديد أولوياته.

إعادة الاعتبار للذات في الملتقى الفكري الثاني

شاركت مجموعة من الباحثين والكُتّاب والمفكرين في الملتقى الثاني للفكر المغربي، الذي استضافته - مؤخرًا - مدينة الدار البيضاء.

ناقش المؤتمرون عدة موضوعات، دارت في مجملها حول التحديث من حيث كونه إعادة اعتبار للذات، حيث بحثوا قضايا المفهوم المؤسس على خلفية التحديث الأوربي، واستلهام المجتمعات العربية - ومن بينها المغرب - لأنموذجه، ودورالفكر الإصلاحي المرتبط بالحركة الوطنية التي طالبت باستقلال المغرب في الانفتاح على الفكر الأوربي مع تأكيد الصلات مع المشرق العربي، والوعي المتجدد بالدين وفق شروط الحياة الراهنة، وانفتاح المجتمع المغربي على التراث، والتأكيد على أن فاعلية أي إبداع حداثي يجب أن تتأسس من خلال إعادة الاعتبار إلى الذات والإحساس بها.

ندوة الرواية والدراية في الثقافة الإسلامية

نظمت جامعة القرويين بفاس بمشاركة جامعة الزيتونة التونسية ندوة في موضوع «الحوار بين الرواية والدراية في الثقافة الإسلامية»، وذلك خلال شهر رجب الماضي. ناقشت الندوة عدة محاور من أبرزها: نظرية المعرفة من الوجهة الإسلامية، كما جاءت عند الغزالي وابن رشد، والنقل والعقل بين المذاهب الكلامية: المذهب الأشعري نموذجًا، والتكامل

رسائل جامعية

«تطويرعلاج لمكافحة كائن دقيق يسمى أكافثاميبا» موضوع رسالة دكتوراه في الكيمياء الحيوية، نوقشت في كلية طب المناطق الحارة بجامعة لندن، تقدمت بها د. سعاد محمد عامر العسيري.

«دور الصفحة الدينية في الأهرام والوفد في معالجة أهم القضايا الاجتماعية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق، تقدمت بها رباب رأفت الجمال.

«أمراض الطفيليات الداخلية في أسماك البلطي التي يمكن أن تنتقل إلى الإنسان» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب البيطري بجامعة قناة السويس، تقدمت بها ليا فتحي عبدالحي.

«مراكز المعلومات الصحافية في المملكة العربية السعودية: دراسة مسحية لمراكز المعلومات الصحافية بمكة المكرمة» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، تقدم بها موفق صالح علاّف.

«القيمة الدرامية للصمت في الفيلم الروائي» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للسينما بالقاهرة، تقدمت بها سلوى أحمد سعد الدين علي.

«محاولة في نقد الفكر التيولوجي: محمد عبده نموذجًا» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة السوربون، تقدم بها محمد حداد.

بين النقل والعقل في الدراسات الأصولية: أبو الوليد الباجي، وأبو إسحاق الشاطبي كنموذجين، ومناهج الدراسات اللغوية العربية بين النقل والعقل، وموضوعات أخرى.

مؤتمر الاتحاد العام للأدباء العرب

عقد في الدار البيضاء المؤتمر التاسع عشر للاتحاد العام للأدباء العرب في الرابع من شهر شعبان الماضي.

وتعد هذه المرة الأولى التي تستضيف المغرب فيها اجتماعات الاتحاد، وحضر مؤتمر هذا العام بعض كتاب مصر بصفتهم الشخصية، حيث إن قرار الاتحاد العام بتعليق عضوية اتحاد كُتَّاب مصر بسبب اتفاقية كامب ديفيد مايزال قائمًا.

وحدا المؤتمرون الأمل في أن يتمكن المؤتمر من البروز بالاتحاد كإطار ثقافي مستقل، يوطد العلاقات بين الكتاب والمبدعين العرب، وتجلى هذا الاتجاه خلال الندوة الفكرية التي أقيمت على هامش الاجتماعات تحت عنوان «الخطاب الأدبي العربي بين الثوابت والمتغيرات».

قناة تلفازية ثقافية

تعد وزارة الإعلام المغربية حاليًا مشروعًا ثقافيًا مهما، يتمثل في إنشاء قناة تلفازية تختص بالثقافة والموضوعات الثقافية.

ولم يعلن - بعد - تاريخ بدء بث هذه القناة التي تعرّف بالمكونات الإبداعية للمجتمع، والثقافة المغربية.

كشف أثري

اكتشف موقع أثري بمقبرة تدعى «للاهنية الحمرية» بالقرب من مدينة آسفي، يتكون من بقايا جدار لبناية استعملت في بنائها مادة التابية والحجر، يُعتَقَد أنها تعود إلى عهد الموحدين.

كما وجدت بالموقع مجموعة من الأواني الخزفية التي كانت تستخدم للطهو وحمل الماء، وخزان أرضي للمياه، ومخزن للحبوب، ويرجح الآثاريون أن تعود هذه المكتشفات إلى ما قبل القرن الخامس عشر الميلادي.

بريطانيا

مؤسسة أحمد بهاء الدين الثقافية


أحمد بهاء الدين

أنشأت أسرة الكاتب والصحافي الكبير أحمد بهاءالدين مؤسسة ثقافية في لندن تحمل اسمه، وتقوم بنشاطات ثقافية وتعليمية في الوطن العربي.

من بين النشاطات التي تعتزم المؤسسة تنفيذها تقديم جوائز ومنح دراسية للمتفوقين من الشباب في أحد المجالات الصحفية أو الفكرية التي حظيت باهتمام بهاء الدين، وإقامة الندوات والمكتبات في المعاهد التعليمية التي ترتبط باسمه.

وتمول مشروعات المؤسسة من خلال التبرعات التي يقدمها أصدقاء أحمد بهاء الدين وتلاميذه ومحبوه.

وفاة أوزبورن

نعت الأوساط الثقافية والأدبية البريطانية الكاتب المسرحي جون أوزبورن، الذي توفي بأزمة قلبية.

ويعد أوزبورن من أشهر كُتَّاب المسرح في بريطانيا خلال القرن الميلادي الحالي، وأبرز مسرحياته الاجتماعية اللاذعة مسرحية «انظر خلفك بغضب»

أحدث الكتب

الشعر والتصوف في الإسلام، تأليف مجموعة من الباحثين المسلمين والأجانب،

«التمييز في أحكام الحدود والتقارير» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المركز العربي للدراسات الأمنية في الرياض، تقدم بها ديب بن سالم العتيبي.

«القضايا النحوية والصرفية في تاج العروس للزبيدي» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الأزهر، تقدم بها يس إبراهيم عفيفي أبو زيد.

«أثر البعد الاقتصادي والسياسي للمراجعة الخارجية في الربحية والمركز المالي في وحدات قطاع الأعمال بالتطبيق على شركات البترول بالسويس» موضوع رسالة دكتوراة نوقشت في كلية التجارة بجامعة قناة السويس، تقدم بها بهاء محمد حسين منصور.

«الوظيفة الاتصالية للعلاقات العامة في الجهاز المصري: دراسة تطبيقية مقارنة على عينة من البنوك في مصر» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها يحيى حسني أحمد.

الحركة الثقافية في شهر

صدر عن دار نشر كامبريدج يونيفرسيتي برس في لندن.

محطات عربية، ديوان للشاعر حافظ محفوظ، صدر عن دار داريوس.

العنف الأسري: الجريمة والعنف ضد المرأة، تأليف د. ليلى عبدالوهاب، صدر عن دار المدى.

ملحوظات ومذكرات صحافي ملتزم، تأليف أندريو جراهام بول، صدر عن منشورات جون ليبي أند كومباني ليمتد.

أمريكا والحرب الباردة، تأليف هـ.و. براندز، صدر عن دار نشر جامعة أوكسفورد.

إسبانيا

معرض للآثار الإسلامية

تستضيف مدريد معرضًا للقطع الأثرية الإسلامية خلال الفترة من ١٦رمضان الجاري إلى ١٤ذي القعدة ١٤١٥هـ (١٦فبراير - ١٤ أبريل ١٩٩٥م).

يحتوي المعرض على ٥٤ قطعة أثرية إسلامية، تم اكتشافها خلال عام ١٩٩٤م في تركيا وإيران، وتتم حاليًا طباعة ألف نسخة من تقرير كامل عنها بخمس لغات: العربية والفارسية والتركية والإنجليزية والإسبانية.

بولندا

معرض للفن الإسلامي

تستضيف مدينة وارسو معرضًا للفن الإسلامي، تقيمه مصر ابتداء من ٢٥ محرم ١٤١٦هـ ولمدة ثلاثة شهور (٢٣ يونية ١٩٩٥م).

يضم المعرض ٨٠ قطعة فنية، تمثل عصوراً إسلامية متنوعة بدءًا بالعصر الأموي وانتهاء بالعصر المملوكي، وتواكبه مجموعة من الندوات والمحاضرات حول الحضارة الإسلامية في مصر: تاريخها وحاضرها.

ألمانيا

جائزة لأديب سوري

منح الأديب السوري رفيق شاعر جائزة ألبرت شاميسون الأدبية التي تمنح لأحسن كاتب أجنبي يكتب بالألمانية، عن روايته «الكاذب الصادق».

ورفيق من مواليد دمشق عام ١٩٤٦م، وهو حاصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء العضوية، لكنه ترك الكيمياء ليعمل في الأدب، ونشرت له عدة أعمال بالألمانية حيث يقيم. من أبرزها «أساطير أخرى»، و«الحَمَل في ثياب الذئب».

معرض روائع الفنون

يقام حاليا معرض بعنوان «روائع الفنون» في قاعة أوستلونج هول في مدينة بون.

يضم المعرض نحو ألفي عمل فني، من لوحات وتحف من البورسلين النادر والفضة الخالصة ابتداء من عصر النهضة، وعروض الفن السيريالي في فترة الثلاثينيات، وجمعت هذه الأعمال من عدة متاحف خاصة في الدول الإسكندنافية، مما يتيح لزائر المعرض رحلة مع بانوراما فنية عبر المتاحف الأوربية والمجموعات الخاصة.

فرنسا

أيام ثقافية لبنانية

نظم المنتدى الثقافي اللبناني أيامًا ثقافية لبنانية في العاصمة الفرنسية باريس تحت عنوان «ثقافة وتربية وتنمية» في نهاية شهر رجب الماضي.

أقيم المهرجان في مقر منظمة اليونسكو، وتضمن فعاليات ثقافية وفنية شتى، من بينها معرض تشكيلي، وآخر للحرف اليدوية اللبنانية، وأمسيات شعرية وأدبية، وعروض موسيقية وسينمائية.

اليونان

هيئة دولية لثقافات البحر المتوسط

اختيرت رودس لتكون مقرًا دائمًا لأول هيئة دولية لثقافات البحر المتوسط.

وكان مؤتمر التفاعل الثقافي بين شعوب البحر المتوسط الذي استضافته اليونان - مؤخراً - قد قرر إنشاء هذه الهيئة، على أن تعقد اجتماعاتها ونشاطاتها ومؤتمراتها دوريًا في بلدان البحر المتوسط المختلفة.

سويسرا

مواقع جديدة
بلائحة التراث العالمي

أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ٢١ موقعًا ثقافيًا، و ٨ مواقع طبيعية في لائحة التراث العالمي.

من المواقع التي أضيفت ساحة الغزال في سلطنة عمان، وقصر بولاتا في لاهاسا بالتبت، وخليج هالونغ في فيتنام، وآثار كيوتو القديمة في اليابان، ومدينة فيلنيوس القديمة في ليتوانيا، والحديقة الطبيعية لجبال رونزي، وحديقة بويندي الوطنية في أوغندا، وحديقة رونانا الوطنية في الأندلس، والحديقة الوطنية في لوس كاتويس في كولومبيا، والمواقع الأسترالية للثدييات الأحفورية في ريفر سلاي وناراكورتي، وحديقة كانايما الوطنية في فنزويلا.

وفاة فنان تشكيلي

توفي الفنان التشكيلي السويسري ماكس بيل عن عمر يناهز ٨٦ عامًا، إثر أزمة قلبية مفاجئة.

ولد بيل - وهو مصور ونحات وكاتب وسياسي - عام ١٩٠٨م، ودرس عام ١٩٢٧م لمدة عامين في معهد باوهاوس للفن المعماري والفنون التطبيقية بألمانيا، وتأثر في عمله بأعمال المصور السويسري بول كلي.

قبرص

فنار روماني
من القرن الثاني الميلادي

اكتشف فنار تاريخي روماني يعود إلى القرن الثاني الميلادي في جزيرة بافوس بالجنوب الغربي من قبرص.

يبلغ طول الفنار المكتشف ما يقرب من العشرين مترًا، وهو يشبه - إلى حد كبير - فنار الإسكندرية، وينتظر أن يسهم الكشف في الدراسات المتعلقة بالتاريخ الأثري لهذه المنطقة التي سيطر عليها الرومان خلال تلك الفترة.

إيطاليا

وفاة
الشاعر فرانكو فورتيني

ودعت إيطاليا شاعرها الكبير فرانكفو فورتيني الذي توفي عن عمر يناهز ٧٧ عامًا.

وأسهم فورتيني المولود عام ١٩١٧م في العديد من القضايا الأدبية، خاصة عندما نشر ديوانه عام ١٩٤٦م، كما قام في الخمسينيات الميلادية بكتابة مقالات أدبية في مجلة «أوفيسيانا» وترجم أعمال جدته وكافكا ومارسيل بروست وبريخت وسيمون فيل.

لوكسمبرج

لوكسمبرج
عاصمة ثقافية لأوربا

أختيرت مدينة لوكسمبورج لتكون عاصمة الثقافة في أوربا عام ١٩٩٥م خلفًا لمدينة لشبونة.

وينتظر أن تستضيف لوكسمبورج بهذه المناسبة عدة أعمال ثقافية وفنية أوربية.

الولايات المتحدة

عشر سنوات على الأكاديمية
الإسلامية السعودية



الأمير بندر بن سلطان

أصدرت الأكاديمية الإسلامية السعودية بالولايات المتحدة الأمريكية عددًا خاصًا من مجلتها «أخبار الأكاديمية» بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشائها، وقد تَصَدَّر العدد إهداء إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز عرفانا بدوره - حفظه الله - في النهضة التعليمية في البلاد، وفي إنشاء هذه الأكاديمية التي تضم طلابا من ٢٧ دولة، وترمي إلى غرس القيم والأخلاق والتعاليم الإسلامية في نفوس طلابها من أبناء المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية.

وضم العدد كلمة صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز سفير خادم الحرمين الشريفين في واشنطن، ومقالات أخرى متعددة، كتبها عدد من التربويين، إلى جانب لقاءات مع بعض أولياء الأمور والطلاب، جاءت كلها مُدعمة بالصور التي تُبرز الأنشطة المختلفة للأكاديمية.

كارتر شاعراً

انضم الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر إلى قائمة الرؤساء الشعراء التي سبقه إليها الرئيسان جون كوينسي آدمز وإبراهام لنكولن.

ويعد الديوان الشعري الذي يصدره كارتر خلال هذا الشهر كتابه التاسع.



ابداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلـة
اسبوعية سياسية ثقافية اجتماعية
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفـراد الأسـرة

جزيرة العرب مهد نشأة فكرة الحق والقانون

كتاب جامعي لطلاب الحقوق، يعنى بـ «تاريخ نشأة فكرة الحق والقانون وتطورها لدى الإنسان» في مختلف حضاراته. وكانت الطبعتان الأولى والثانية منه قد صدرتا في عامي ١٩٦١ و ١٩٦٣م، تحت عنوان «المدخل إلى التاريخ العام للقانون»، غير أن المؤلف الدكتور معروف الدواليبي عالج الأخطاء المتمثلة في الركون فقط إلى الدراسات التي تجعل من الحضارتين اليونانية والرومانية المصدر لكل شيء، رمى إلى استدراك ذلك الخطأ الذي لاتخلو منه الكتب الجامعية في البلدان العربية الإسلامية ، على أساس تخطيط جديد مبتكر لتاريخ نشأة فكرة الحق والقانون، وعلى أساس أن جزيرة العرب مهد الحضارة الإنسانية الأولى، وقام بتغيير اسم الكتاب في الطبعة الثالثة من «المدخل إلى التاريخ العام للقانون» إلى مسمى جديد يعبر عن المحتوى بصورة أوضح، وهو «جزيرة العرب المهد الأول لتاريخ نشأة فكرة الحق والقانون».

الكتاب صدر عن دار الشواف بالرياض، ويقع في ٥٤٢ صفحة من القطع الكبير، وعالج المؤلف موضوعه في أربعة فصول وخاتمة.

النهاية : الكوارث وأثرها في مسار الكون

كتاب يعرض أهم القضايا التي تشغل بال الفيزيائيين، وبخاصة فيما يدور حول ما يسمى بالانفجار الكبير، والنظريات التي تبحث في أساس بدء الكون. ويقدم المؤلف فرانكين كلوز نتائج استقصاءاته حول احتمالات حدوث كارثة كونية.. ويجيب عن عدد من التساؤلات العلمية عن طريق دراسة الفضاء والمجرات والشهب والنيازك والكويكبات والنجوم التي تتفجر، ونجوم السوبر نوفا، ويغوص في صميم المادة حيث جسيمات الذرة من إلكترونات وبروتونات، ويعرض أهم وأحدث ماتم اكتشافه في هذه المجالات.

ويذهب المؤلف إلى تأكيد خطورة الركون إلى ضآلة احتمالات حدوث كارثة كونية، «قد تبيد الحياة على الأرض جزئيا أو كليا»، على حد قوله.

ويدعو إلى أن تؤخذ هذه الأمور جديًا، وأن يتم تدبير كيفية مواجهتها من الآن. ومن الحلول المقترحة التي يعرضها الكتاب، حل هو أقرب إلى أفكار روايات الخيال العلمي، ولكنه مبني على أساس علمي، ويتمثل هذا الحل في «أن يستعمر الإنسان الفضاء في الوقت المناسب، ويترك كوكب الأرض المهدد بكوارث».. «ولكن هل سيكون إنسان المستعمرات الفضائية على شاكلة إنسان الأرض؟».

الكتاب هو الإصدار رقم «١٩١» في سلسلة عالم المعرفة التي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب في الكويت. ويقع في ٣٥١ صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على أربعة أجزاء، و ١٣ فصلاً، وقام بترجمة الكتاب د. مصطفى إبراهيم فهمي، وراجعه عبدالسلام رضوان.

نظرية في علم العروض وتعليمه

كتاب من تأليف ميخائيل أديب المشتهر بميشيل أديب، يرمي إلى تبسيط فهم علم العروض وتيسير تعلّمه، وهو يشرح بتفصيل الوحدات الموسيقية لإيقاعات الشعر العربي؛ أي التفعيلات التي وضعها أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة ١٦٠ أو ١٧٠هـ) أستاذ سيبويه.

ويشمل الكتاب ـ الذي يقع في ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط، ـ على منحيين، الأول إيضاحات للنظرية التي توصل إليها المؤلف في تعليم العروض حسب منهج تحليلي وتطبيقي، يؤيد قوانين نظريته، والمنحى الثاني في معالجة موضوع الكتاب، وهو ما ذهب إليه المؤلف من نقل الأفكار والمعلومات والمصادر والمراجع إلى هامش الكتاب لتوفير الجهد على الباحث، ولم يكتف بالإشارة إلى مواقع الأفكار والمعلومات التي عناها. وبذلك صار الهامش «كتابًا ثانيًا»

ويقول أديب: «إن الجديد الأول في نظريته العروضية هو تسمية الإيقاع (وحدات الخليل) بالمقطع، والجديد الثاني هو أنه «أعاد ترتيب البحور» حسب المقطع الأول (التفعيلة الأولى) من وزن كل بحر، فَحَوَّلَ بذلك العدد الكبير من أوزان البحور إلى ثلاث مجموعات حسب نوع المقطع الأول في كل منها.

الكتاب صدر عن دار الألسن في حلب ـ سوريا ويقع في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط.

مجموعات شعرية

كتاب يشتمل على ست مجموعات شعرية للشاعر السوري مروان خاطر.

ويقف المتابع للدواوين الستة، وهي «أغاني الفرات»، «أخاف عليك فابتعدي»، و«نشيد القرية»، «أصوات في سمع الزمن المقهور»، «حمدان»، «الناي الجريح»، على تطوّر التجربة الشعرية لدى المؤلف، وفي ذلك قال عبدالقادر الحصيني في تقديمه للكتاب: «أذكر حين قرأت مجموعته الأولى، «الناي الجريح»، الصادرة عام ١٩٦٢م أنْ شعرت بأنها اندفاعة تمتزج فيها العاطفة بالدهشة، والوجود بالتشتت، والمراهقة بالرهق، والعذوبة بالشوائب، شأن كل انبثاقة أولى لكل نبوغ».

أما المجموعة الشعرية السادسة، «أغاني الفرات»، التي تضم قصائد الشاعر بين عامي (١٩٨٠ـ ١٩٩٤م)، فعنها يقول الحصيني : «تخرج المضامين من أُطر تموضعها في داخل المقاطع، وتنداح على جسد القصيدة كاملاً، وتخرج المجموعة من أُطر المنطق النثري الذي يُعَوِّل على المحاكمة والاستنتاج، وتدخل في المنطق الشعري الذي يُعَوِّل على ترسيخ قناعاته عبر رؤاه».

مسابقة مجلة الفيصل

١- جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ، مجلة الفيصل،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١٦)

ج١: قال تعالى: ﴿قالوا يالوط إنّا رسل ربك لن يصلوا إليك فـأسْرِ بأهلك بقطع من الليل ولايلتفت منكم أحد إلاّ امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب. فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود. مُسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾ (هود: ٨١ - ٨٣). وهذا العذاب الشديد أخذ الله - سبحانه - به قوم لوط لما كانوا يرتكبون من سيئات، ويأتون من فاحشة. فإن جريمة اللواط من أكبر الجرائم، وهي من الفواحش المفسدة للخلق وللفطرة وللدين والدنيا، بل للحياة نفسها. وقد عاقب الله قوم لوط عليها بأقسى عقوبة، فخسف بهم الأرض، وأمطر عليهم حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة، وانحرافهم عن الفطرة السليمة بإتيان الرجال من دون النساء.

وقد أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقتل فاعله ولعنه، فقد روى أبو داود، والترمذي، والنّسائي، وابن ماجة، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به». ولفظ النسائي: «لعن الله من عَمِل عَمَلَ قوم لوط.. لعن الله من عَمِل عَمَلَ قوم لوط.. لعن الله من عَمِل عَمَل قوم لوط».

ولقد شَدَّدَ الإسلام في عقوبة هذه الجريمة لآثارها السيئة، وأضرارها في الفرد والجماعة، وأسهبت كتب الطب - القديم منها والحديث - في بيان الآثار المدمرة لهذه الجريمة الشنعاء.

* * *

ج٢: شرع الإسلام للمسلمين إحياء الأرض الميتة التي لم يسبق تعميرها، وتهيئتها للانتفاع بها في السكنى والزرع ونحو ذلك. وقد وردت أحاديث في الحث على ذلك، منها:

١- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من أحيا أرضًا ميتة فهي له». رواه أبو داود والنسائي والترمذي، وقال: إنه حسن.

٢- وقال صلى الله عليه وسلم : «من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكله العوافي فهو له صدقة».رواه النسائي، وصححه ابن حِبّان. والعوافي: الطير والسباع.

٣- وقال - عليه الصلاة والسلام - : «من أحاط حائطا على أرض فهي له». رواه أبو داود. وقد بسطت كتب الفقه شروط اعتبار الأرض مواتًا، وشروط إحيائها وتملكها، ومتى يُسلّم لمحييها بحقه، وكذلك متى يسقط عنه ذلك الحق، وأسهب العلماء في ذلك، جزاهم الله خيرا.

* * *

ج٣: القرامطة، أصحاب دعوة منحرفة عن الشرع الحنيف، كانوا يدينون بمذهب الإسماعيلية، واتخذوا الدعوة إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أغراضهم، وعُرفوا بذلك نسبة إلى أحد دعاتهم: حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط الذي نشرها في الكوفة سنة ٢٧٨هـ. بدؤوا دعوتهم بنشر المذهب الإسماعيلي حين بعث الإمام الإسماعيلي، الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، اثنين من الدعاة إلى اليمن هما: عليّ بن الفضل الحميري اليمني الأصل، ومنصور بن حسن الكوفي، للدعوة له. ونجح عليّ بن الفضل نجاحًا كبيرًا في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن. أما منصور بن حسن فتغلب على جزء من بلاد اليمن، وجعل مركز دعوته في «مسور».

والقرامطة حركة باطنية هَدّامة، اعتمدت التنظيم السري العسكري، ظاهرها التَّشيُّعُ لآل البيت، وحقيقتُها الإلحادُ والشيوعيةُ والإباحيةُ وهدمُ الأخلاق والقضاءُ على الدولة الإسلامية، وكانت بدايتها على يد عبدالله بن ميمون القداح الذي نشر المبادئ الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠هـ، وذلك قبل أن يقوم حمدان قرمط بنشرها علانية في الكوفة، وتوسعت الحركة حتى

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....

العنوان: ....

شملت العراق، والبحرين، وبعض بلاد الجزيرة العربية. ويعد سليمان بن الحسن بن بهرام مؤسس «القرامطة» الحقيقي، ومنظم دستورهم السياسي والاجتماعي.

* * *

ج٤: حل اللغز الشعري: الشمعة.

* * *

ج٥: وقعت حرب المائة عام (١٣٣٧ - ١٤٥٣م)، بين انجلترا وفرنسا. وكان سببها معارضة ملوك انجلترا - باعتبارهم أدواقًا لمقاطعات فرنسية - لسياسة ملوك فرنسا، التي تقضي بإخضاع الأدواق للملك، وادعاء بعضهم حقوقًا في التاج الفرنسي. أيدت فرنسا اسكتلندا ضد انجلترا، كما أيدت الفلاندر انجلترا ضد فرنسا. هُزمت فرنسا في الشوط الأول من الحرب (١٣٣٧ - ١٣٦٠م)، واحتل الانجليز كاليه. وفي الشوط الثاني (١٣٦٩ - ١٣٧٣م)، استعاد دي جسكلان معظم الأراضي المفقودة، ولكن هنري الخامس ملك انجلترا، هزم شارل السادس ملك فرنسا، واستولى الانجليز وحلفاؤهم البرجنديون على أراضٍ كثيرة، إلا أن ظهور جان دارك، ومساعدتها ولي العهد الفرنسي (شارل السابع فيما بعد)، غيرَّ مجرى الحرب لصالح فرنسا.

نتائج مسابقة العدد (٢١٦)

أ - فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، فاطمة عبدالله رجاالله الجباري، ينبع البحر - المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، عمر أحمد ذي النون، دمشق - سورية.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ريالاً سعوديًا، علوان أحمد عبدالله مهدي، صنعاء - اليمن.

* * *

ب - فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- حمده حسن عبدالله، المحرق - البحرين.
٢- صفاء محمد إبراهيم الزفتاوي، دمياط - مصر.
٣- خديجة أمين مصطفى، عمّان - الأردن.
٤- حورية ناصر غيث البركاتي، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.
٥- زارع بن عبدالله بن ظافر الشهري، نواكشوط - موريتانيا.

* * *

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢عددًا)، كل من:

١- عبدالمطلب حسن جمعة إسماعيل، ود مدني - السودان.
٢- ألفة بنت عبد العزيز بحلوس، باجة - تونس.
٣- جليلة عبدالسلام بن عزايز، طنجة - المغرب.
٤- عائشة حسن رشيد، الدوحة - قطر.
٥- داليا عبدالرازق محمد الطيب، أسوان - مصر.
٦- عبدالله عبدالقادر جودي، بوسعادة - الجزائر.
٧- حسن طه أبو حرب، البقعة - الأردن.
٨- نورة بنت دحام المحيميد، حلب - سورية.
٩- خالد محمد الحميد، الرس - المملكة العربية السعودية.
١٠- فريدة بن زيان بنت السعيد، المسيلة - الجزائر.

* * *

د - كما فاز بجائزة إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، كل من:

١- عبدالحميد عمارة محمد، بيشاور - الباكستان.
٢- محمد فتحي حسن الشناوي، الشرقية - مصر.
٣- خليل بن يوسف الزواري، صفاقس - تونس.
٤- حمدان بن محمد الببكري الكرسيفي، تارودانت - المغرب.
٥- خالد حمد حسن مدني، كسلا - السودان.

أسئلة مسابقة العدد (٢١٩)

السؤال الأول:

كانت الآية الكريمة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، أول آية نزلت على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وهو يتعبد لربه عز وجل في غار حراء. ما آخر آية نزلت من القرآن؟

* * *

السؤال الثاني:

يوم القيامة، وردت له أسماء عدة في القرآن الكريم. اذكر خمسة منها مؤيدة بالآيات التي وردت فيها.

* * *

السؤال الثالث:

عندما استعاد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الرياض سنة ١٩٠٢م، بدأ ذلك بالاستيلاء على حصن المصمك المعروف. متى بُني هذا الحصن؟

* * *

السؤال الرابع

الجمباز، من الرياضات البدنية المعروفة. من الذي أنشأه في العصر الحديث؟ ومن اللاعب - أو اللاعبة - الذي حصل على الدرجة الكاملة في ألعاب الجمباز لأول مرة في تاريخ اللعبة، في إحدى الدورات الأولمبية المعاصرة؟.

* * *

السؤال الخامس:

بدأت محطات البث الإذاعي تنتشر في العالم عقب إجراء ماركوني تجربته الشهيرة عام ١٩٠١م، متى افتُتحت أولُ محطة إذاعية في المملكة العربية السعودية؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٢١٩)
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال:

لَيْسَ المَزْكَزُكُ بأَنْيَئِهِنَّ

يضـرب هذا المثل في تساوي القـوم في الشر.

والمزكزك من قولهم «زَكَّ الدَّرَّاجُ»، وهو مثل «زَافَ الحمام» وذلك إذا تبختر حول الحمامة واستدار عليها ساحبًا ذنبه، ويقال لحم نيٌّءٌ، على وزن نيِّع بيِّن النُّيوءَة، وناء اللحم يَنِيء نَيْأً، وكذلك نَهُؤ اللحم، ونَهِئَ نُهُوأة إذا لم ينضج.

وأصله أن بعض الأعراب أصاب طائر المكاء، فدفنها في رماد ساخن، وجعل يخرجهن ويأكلهن، فنهض واحد منها حيًّا، فعدا خلفه فأخذه وجعل يأكل، فقال له صاحبه: إنه نيءٌ، فقال: لَيْسَ المَزْكَزُكُ بأنيئهنّ».

الموت جوعًا

تعد المجاعة التي عمت شمال الصين عامي ١٨٧٧ - ١٨٧٨م، أكبر مجاعة عرفت في التاريخ، إذ راح ضحيتها قرابة تسعة ملايين ونصف المليون نسمة.

الناس في الخير أنحاء

الناس في الخير على أربعة أنحاء: منهم مَنْ يفعله ابتداء وهو الكريم، ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم، ومنهم مَنْ يتركه استجمامًا وهو الرديء، ومنهم مَنْ يتركه حرمانًا وهو الشقي.

أقرب الأشياء وأبعدها

أقرب الأشياء: الأجل، وأبعدها: الأمل، وأنفسها: الصاحب المؤاتي، وأوحشها: الموت، وأحمدها عاقبة: الصبر، وأذمها عاقبة: المعاصي.

طمع أشعب

جلس أشعب وامرأته يأكلان من قدر، فقال: ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام! فقالت امرأته: أين الزحام وليس على الطعام إلا أنا وأنت؟ قال: وددت - والله - لو كنت أنا والقدر فقط.

الأصمعي والمتشاعر

عرض رجل على الأصمعي شعرًا رديئًا، فبكى الأصمعي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: يبكيني أن ليس لغريب عندكم قدر، لو كنت في بلدي بالبصرة، ما جسر رجل أن يعرض عليَّ مثل هذا الشعر وأسكت دون تأديبه.

خلتان

قال حكيم: تجنب عيب أخيك لخلتين: الأولى لعلك تعيبه بشيء هو فيك، والأخرى فإن يكن الله تعالى عافاك مما ابتلاه به فلا يكن شكرُك اللهَ على العافية تشهيرًا بأخيك على البلاء.

الأيادي ثلاث

الأيادي ثلاث: بيضاء وخضراء وسوداء، فاليد البيضاء: الابتداء بالمعروف، واليد الخضراء: المكافأة على المعروف، واليد السوداء: المنُّ بالمعروف.

الأيام ثلاثة

قال عامر العدواني: الأيام ثلاثة: يوم مضى عليك لاترجوه، ويوم أنت فيه لابُدَّ منه، ويوم يأتيك لا تأمنه. فأمسِ واعظٌ، واليومُ غنيمة، وغدٌ لاتدري ما حكمه. وأمس الماضي شاهد مقبول، وأمين مؤد أودعته زادًا خيرًا أو شرًا، وترك لك عوضًا منه لتحسن صحبته، واليوم الذي أنت فيه ضيف سريع الظعن، فأحسن له الصحبة يلقنك الحجة ويحبوك الشهادة، وغد المقبل حاكم تنتظر قدومه، فإما حبيب لايظلم وإما عدو لايرحم.

بخلاء

يروي الجاحظ في كتابه «البخلاء» أن سائلاً وقف يومًا بباب قوم فقال: إني جائع. قالوا: كذبت، فقال السائل: جربوني برغيفين ورطلين من اللحم.

فكرة العاقل.. مرآته

قال المنصور لولده: يابني لاتبرم أمرًا حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته، واعلم أن الخليفة لايصلحه إلا التقوى، والسلطان لايصلحه إلا الطاعة، والرعية لايصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً مَنْ ظَلَم مَنْ دونه.

من وصية أب لابنه

قال سعيد بن جبير لابنه: يابني إني موصيك بوصية، إن لم تحفظها مني كنت جديرًا بأن لاتحفظها من غيري: يابني أظهر للناس الجميل، وإياك وطلب الحاجة، فإنه فقر حاضر، وإذا صليت فصل صلاة مودع، وأنت ترى أن لاتصلي بعدها أبدًا، وإن استطعت أن تكون غدًا خيرًا منك أمس فافعل.

انتخابات

كان سياسي بريطاني يلقي خطبة خلال حملة انتخابية. وأثناء ذلك أخذ طفل برفقة والدته في البكاء، فنهضت الأم وحملت الطفل لتغادر الصالة، وخشي السياسي أن يفقد بمغادرتها صوتًا انتخابيًا، فناداها أن تعود قائلاً: لا بأس عليك ياسيدتي ابقي فالطفل لا يضايقني، فقالت المرأة: ربما، لكن من المؤكد أن صوتك يضايقه.

هوى النفس

قال لقمان لابنه: يابني أول ما أحذرك من نفسك، فإن لكل نفس هوى وشهوة، فإن أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها، فإن الشهوة كامنة في القلب ككمون النار في الحجر، إن قُدح أورى، وإن تُرك توارى.

بين شاعرين

كان شاعر النيل حافظ إبراهيم يبغض أحد الشعراء المعاصرين له، لكنه كان مضطرًا إلى التعامل معه، لكون ذلك الشاعر يتبوأ منصبًا مهمًا، وذات يوم التقيا فسأله الأخير: مَنْ أعظم شعراء العربية؟ قال حافظ: المتنبي. فقال له: وما أعظم ما قاله: فأجاب حافظ بغيظ:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوًا له ما من صداقته بدّ

ولم يفهم الشاعر - بالطبع - ما يقصده شاعر النيل.

يوصيه بأولاده!

حضر أعرابي عند الحجاج بن يوسف الثقفي، فقُدم الطعام وأكل الحضور جميعًا منه، ثم قُدمت الحلوى، فترك الحجاج الأعرابي حتى أكل منها قطعة ثم قال: مَنْ أكل الحلوى ضربت عنقه! فامتنع الناس عن أكلها، وبقي الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة، وإلى الحلوى مرة، ثم قال: أيها الأمير أوصيك بأولادي خيرًا، واندفع يأكل. فضحك الحجاج وأمر له بصلة.

أكبر عملة وأصغرها

أكبر عملة وأصغرها من حيث الحجم هي تلك التي صدرت في الصين عام ١٣٦٨م، وكانت من فئة «كوان» ومقاسها ٢٢.٨×٣٣سم.

وأصغرها عملة الأباني في رومانيا وكان مقاسها ٢٧.٥×٣٨مم.

لغويات

أكثر اللغات انتشارًا في العالم: لغة مندارين «اللغة الصينية الشمالية»، وأكثرها حروفًا: اللغة الكمبودية حيث تتكون من ٧٢ حرفًا، وأقلها حروفًا: لغة روتوكاس وتتكون من ١١ حرفا، وأوسعها من حيث التراكيب والمعاني: اللغة العربية. وأكثرها تعقيدًا في النحو والصرف: اللغة الألمانية.

هكذا كانوا

وليَ ابنُ شبرمة قضاء البصرة وهو كاره، فأحسن السيرة، فلما عُزل اجتمع إليه أهل خاصته ومودته، فقال لهم: والله لقد وُلّيت هذه الولاية وأنا كاره، وعزلت عنها وأنا كاره، وما بي من ذلك إلا مخافة أن يليَ هذه الوجوه مَنْ لايعرف حقها، ثم تمثل بقول الشاعر:

فما السجنُ أبكاني ولا القيد شَفّني
ولا إنني من خشية الموت أجزع
بلى إن أقوامًا أخاف عليهم
إذا مت أن يُعطوا الذي كنت أمنع

التجربة

لاتمدحنّ أمرءًاحتى تجرّبه
ولاتذمنّه من غير تجريب
فربّ خدن وإن أبدى بشاشته
يضحي على خدنه أعدى من الذيب

أكبر توأم سنًا

لايتعدى حظ التوأم في البقاء حيّاً لمائة عام أكثر من واحد على مليار، وقد حدث ذلك للتوأم جولبراند وبرنت مورترود، حيث ولدا في ٢٠ ديسمبر ١٨٥٨ ومات جولبراند عن عمر يناهز ١٠١ عام في أغسطس ١٩٦٠م، وتوفي برنت في يناير ١٩٦٤م.

دعابة حزبية

كان الكاتب الأسكتلندي الساخر برنارد شو يلقي في إحدى القرى خطابًا، يؤيد فيه حزب العمال، وختم خطابه بقوله: «هل هناك من أحد بعد كل هذا يعترض على تفوق حزب العمال وأفضليته على حزب المحافظين».

وفي تلك اللحظة نهق حمار، فاستدرك برنارد شو الموقف بسرعة وقال: هل رأيتم لقد تأكد الآن للجميع أنه لن يعترض على ذلك إلا حمار.



لحظات تأمل في الماضي



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

ما ضاع حق

سَعدى حسن رزق

يا أمــــة الـشّرق ذاتَ الـعـــزّ والـشّمَم   تدارسـوا مــاجـرى في قـمــة الهَرَم!
ألا ترونْ لـلاسـتـثناءِ قـاعـدةً؟!   ولـو علـى جُنُب من صـاحب الحـرم
نُشّئتُ في بيت علمٍ مـات كـابرهُ   ومـا تـخطّى بنوه مـبلغ الحُلُم!
وقـد عشـقتُ نظامَ الشّعر من صغري   وبات عنـدي نتـاجٌ جـدّ مُلتَزِم
ويوم أرسلتُ لـلإعـلام جـوْهرةً   مـوقّعًا أنّني الحِرْفيُّ ذو الشّيَم
لم يُرضـهم جـريانُ النّهـر في قلمي   لكنّهم ينشـرون الحـرَّ بالعَدَم!
هذا الذي قـد جرى من غيـر تبصرةٍ   من الصّحـافـة ذاتِ القـدر والعِصَم

* * *

أكـادمـيُوا دراسـات أقـدمُهُم   مع احـترامي لشـخص حـافظِ الذّمَم!
يطبّق العلمَ أعـمـالاً لرفـعـتنا   كـلاهمـا يـوجبُ الإخـلاصَ بالهِمَم
فلم نُزاحـمـهُ فـيمـا قـد أنيط به!   وذاك من حـقّه فـرضٌ على الأمم
لكن إذا أثلةٌ قـد أخـرجتْ ثمـرًا   وخـالفتْ سـائدًا للضـاد والعـجم
وأثبـتت أنّهـا كُفْءٌ لناتِجِهـا   وبينهـا سـامـقـات النّخل في أرَمِ!
نـدسُّهـا؟ لاتُرى للنّور طَاهرةً!   فـيُقـتل الفـرسُ في داجٍ من الظّلم

* * *

إن السّليـقـةَ أعطتني شـهـادتَها   ولـيـس يُنـكـرها فـي الـنّاس ذو قلـم
و"ابنُ الملوّح": هل كـانت إجـازتُهُ   عن الـدّراسـة؟ حـتّى فـاض بالألم
"جـمـيل بثْنة" كم غَنّى بهـاجـرة   يرعى سـخـالاً له في جـملة البَهَم
كـلاهمـا شـاعـرٌ أدّى رسـالتَهُ   وغـيـرهم كـثـرةٌ في الأعـصـر الدُّهُم
لعلّهـا فـتنة في النّاس فـاشـيـةٌ   لا هُمَّ فـالطف بنا في زلّة القَدَمِ
عـيني على مـحنة الآداب باكـيـةٌ   لكن تطوّع في إبْرائهـا قَسَمي!
يا صـاحبَ الصّاع طفّفْ لن تدومَ سـوى   بعضِ الزّمـان، وتلقى حـسْرَة النّدم
أهكذا قـسـمـة ضيـزى خلَصْتَ لهـا؟!   سـرْ كيـفمـا شئتَ!! عين الحقّ لم تنم!

هذه القصيدة بمثابة رسالة شعرية موجهة إلى أهل الأدب، وناقديه والقائمين عليه، تحمل بين أبياتها نفسًا ساخطة شاكية. اختار الشاعر لرسالته قالبا شعريًا على وزن البسيط، وهو أحد أبحر ثلاثة كثر دورانها في الشعر العربي وهي: الطويل، والكامل، والبسيط.

والعنوان يوحي بإصرار الشاعر، وإلحاحه بالشكوى، لا من سيطرة كل غث تافه مما يقال له شعر فحسب، وإنما من ضياع الشعر العربي بين أهله، وصيرورته غريبًا بين ذويه. ومن حقه أن يشكو ومن حقنا أن ندفع وندافع.

تطالعنا في تلك الأبيات دلائل الشاعرية، والقدرة على الصياغة الفنية تبدو في تراكيبها البنائية، وألفاظها ذات الظلال المعنوية، وأخيلتها التصويرية كما تبدو في مضامينها، وموضوعها، وبنائها الفني.

فلو تأملت قوله:

يا أمة الشرق ذات العز والشمم   تدارسوا ما جرى في قمة الهرم

لأعجبتك الدقة في بناء الأسلوب؛ فتراه يستخدم حرف النداء «يا» الدال على البعد، والبعد هنا معنوي، لايتصل بالزمان أو المكان؛ لأنهما لاينفكان عن الشاعر، فهو يعيش بينهما، ويتفاعل معهما، ولكنه آثر تلك الأداة للدلالة على انفكاك الجهة، وبعد الهوّة بينه وبين زمانه ومكانه، فكأنه لايعيش في ذلك الزمان أو المكان من جرّاء ذلك النفور الذي يقابل به.

وفي مجال الألفاظ تتجلى الدقة في استخدام الكلمات ذات الظلال المعنوية الواسعة. من ذلك: «جرى - جريان» إذ توحيان بتدفق شاعريته، وعدم جمود ماتجود به قريحته؛ لأن الجري فيه حركة وانسياب.

ومن ذلك لفظة «ندسها» فهي لفظة تصويرية، تُطلعك على صورة من يخفي الشيء خلسة حَذِرًا كأنه يرتكب جرمًا، فتبدو عليه علامات القلق والاضطراب، وتلك حال من يعوقون حركة الشعر العربي الأصيل، ويروجون لكل غث تافه. ومن ذلك أيضًا كلمة «فتنة» في قوله:

لعلها فتنة في الناس فاشية   لاهُمَّ فالطف بنا في زلة القدم

ففيها إيحاء باتساع الخرق، وأن الأمور باتت جد خطيرة، إذ إن المروجين لهذه الترهات لاهدف لهم سوى وأد النزعة العربية، وفتح باب الفتنة التي تروق لبعض الأدعياء، فيسخرون أنفسهم لخدمتها.

وتبدو النزعة العربية الإسلامية المحافظة في تأثره بألفاظ القرآن الكريم مثل: «جنب - تبصرة - ندسها - ضيزى» فقد وردت في قوله تعالى: ﴿والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾(النساء : ٣٦)، ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾(ق : ٨) ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾(النحل : ٥٩) ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾(النجم : ٢٢).

ومن ميزات هذه القصيدة، سلامة الملكة التصويرية لدى الشاعر، فإنها تدل على عمق في الخيال، ودقة في التعامل مع عناصر الصورة والتأليف بينها. والشعر تعبير تصويري لا تقريري، الصورة فيه تؤدي وظيفة رمزية بدلالاتها الذاتية، والموضوعية، والبيئية. وصور الشاعر في تلك الأبيات لاتقوم على الوصف «الميكانيكي» المجرد لما آل إليه حاله وعصره، لكنها صور حية تنبض روحًا وشعورًا. مثال ذلك قوله:

لم يرضهم جريان النهر في قلمي   لكنهم ينشرون الحر بالعدم

فاختيار صورة جريان النهر لانسياب الشعر وتدفقه اختيار موفق، وله دلالته الذاتية والموضوعية. وكذلك قوله: «لكن إذا أثلة قد أخرجت ثمرًا... وبينها سامقات النخل في أرم... ندسها» فيه خيال تصويري، يرمز به إلى تأصل الملكة الشعرية لديه، وأصالة التيار الذي سلكه، كما توحي بتصارع التيارات الأدبية وتزاحمها.

ومن الصور الساخرة قوله: «يا صاحب الصاع طفف» ففيها إيحاء باختلال ميزان النقد، وسيطرة الهوى والأثرة عليه.

وموضوع القصيدة فيه جدة وطرافة. وفي الحياة العادية أشياء كثيرة تصلح مادة للشعر، كما أن فيها موضوعات تافهة قبيحة لاتصلح موضوعًا للشعر، لكن الشاعر المتمكن يضفي عليها من الجمال الفني، ما يجعل النفس تهتز لها، إما عن طريق الصور التي يلتقطها خياله، أو المشاعر التي تحمل على المشاركة الوجدانية أو الألفاظ بظلالها وموسيقاها. وهذا ما رأيناه في تلك القصيدة، إذ استطاع الشاعر أن يضفي على موضوعها من حسه وشعوره، ولفظه وخياله، ما يجعلنا نشاركه في شكواه، ونتعاطف معه، ونشعر بما فيها من روعة وجمال.

وقد تعرض الشاعر لقضية شائكة، هي قضية الشعر الحر، وكان حذرًا يقظًا في تعريضه بهذا التيار، والتنديد بالمروجين له، يبدو ذلك من قوله: «لكنهم ينشرون الحر بالعدم» «عيني على محنة الآداب باكية» وقوله:

هذا الذي قد جرى من غير تبصرة   من الصحافة ذات القدر والعصم

ولايفوتنا أن ننوه بالبناء الفني لهذه القصيدة، من حيث البداية والنهاية إذ أنه يمثل قمة السقوط من القمة إلى القاع، مستخدمًا الأداة نفسها «يا» «يا أمة الشرق ذات العز والشمم» «يا صاحب الصاع طفف» وشتان ما بين البداية والنهاية، وكأن الشاعر يشير بهذا إلى قمة السقوط والتدني للوضع الشعري والذوق الفني في هذا العصر.

د. حسني محمد حسن

الأقليات المسلمة والدور الحضاري للدعوة



قرأت من ضمن ما قرأت بمجلة «الفيصل» الغراء إطلالة رئيس التحرير الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين المعنونة بـ «الأقليات بميزان العطاء» في العدد رقم٢١٣. ونحن من جانبنا نؤيد الدكتور زيداً في رؤيته التي أعتقد أنه فجر بها قضية في غاية الأهمية، ألا وهي أهمية إعداد الدعاة حتى يقدموا الصورة الحقيقية للإسلام، لكني أود أن أطرح وجهة نظري المتواضعة حول الموضوع .

وبادئَ ذي بدء نقرر أنه لايخفى على الجميع أننا لانعيش وحدنا في العالم، ولا أحسب أن أحدا من المشتغلين بصناعة الرأي في شرق العالم أو غربه يستثني عقولنا، أو يعفي تراثنا مما تُستَهدف به العقول والتراث من تعتيم، بل لعله - على العكس - يحق لكل منصف أن يرى أننا نحظى في خطط (استراتيجيات) وأفكار (أيديولوجيات) الغرب والشرق - على حد سواء، وفي سياساتهم الاتصالية بمكان، أيِّ مكان. والقرآن الكريم يعطي - إن وعت العقول - الدليل المستمر والمتجدد على اتساق الزمان، وإن طال وتباينت حقبه. وهذا الدليل الحقيقي الذي يوقفنا عليه القرنُ العشرون هو انتهاء الصراع إلى المناجزة بالكلمة. الكلمة التي أقام القرآن معجزته عليها قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، وتحدى بها عقل الإنسان وقدرته. وكان لابد لفروع العلم الغربي من أن تتناول هذا القرآن من خلال مناهج تحكمها تحت ستار من الموضوعية المدّعاه، وكان نتاج ذلك تراثًا ضخمًا من الدراسات التي قام ويقوم بها المستشرقون والمبشرون، ولا يختلف الجديد منها عن القديم في الأخطاء والأباطيل.

ومن ناحية أخرى فإن الهجمة القديمة الجديدة على الإسلام لاتزداد ضراوة فحسب، بل تحاول في الوقت نفسه أن تكسب أرضا داخل نطاق معسكر الإسلام، وهي لاتعدم بيننا من لايستلهمون في فكرهم وجهدهم سوى وحيها الخادع.

ومن وجهة نظرنا المتواضعة أن هذا ينتهي بنا بالضرورة إلى التأكيد على الدعوة الإسلامية التي لها من الخصائص ما يجعلها قادرة على أن تفي بغاية الإنسان في القرن العشرين، فيما ينشده من تكامل، وحسبنا أن تعالج هذه المسألة من خلال رؤية واحد من أكبر الثقات الغربيين - كما يقولون - في مجال الدراسات وهو منتجمري وات، إذ إنه ينتهي - على ما به من انحياز في كتاب له عن «الإسلام وتكامل المجتمع» إلى ما يمكن أن يكون من أمر هذا الدين وتأثيره في مجتمعه الغربي إذا عاد أصحابه إلى الاستمساك بالعروة الوثقى، وقرر لهم أن يعاودوا إبراز الدور الحضاري للنسق الفكري الإسلامي، وهو يرى أن النقطة الأساسية في هذه المسألة هي التجديد الروحي أو استعادة القوة المحركة، ويتساءل عما إذا كان ذلك ممكنا للإسلام والمسلمين، ونراه يضطر إلى التسليم بأن كل شيء يوحي بأنهم - أي الدارسين الغربيين - ليسوا في وضع يمكنهم من القطع برأي، أو لعلنا ندري ما إذا كان ذلك سذاجة منه أو تظاهرًا بالسذاجة واعجبْ معي وأطلِ العجب، إذ نراه بعد ذلك يقرر «أن الإسلام في سعيه لكسب العالم كله سيتصرف على نحو يتسق مع سجله القديم» فصاحبنا (وات) يعي إذن أن للإسلام سجلا خالدا يجلو واقعه كممارسة، ولاشك في أن سمات هذه الممارسة ترتبط بخصائص النسق الفكري الإسلامي.

ثم يصل وات بعد ذلك إلى حقيقة أن ينجذب الناس إلى الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يتوجه برسالته إلى العالم كله، ثم يستطرد قائلا بالحرف الواحد: «ولو أننا نظرنا إلى الإسلام. إذن، نرى أنه غير مناسب لأن يكون دينا للعالم كله» وذلك في كتابه «الإسلام وتكامل المجتمع» الصادر في لندن عام١٩٧٠م.

وكان بوسعه طبعا أن يقول ببساطة « نرى أنه مناسب»، لكنها الغصة في حلقهم، أو قل

إن شئت في عقولهم وقلوبهم من هذا الدين.

وفي الواقع فإن دعوة الإسلام ومميزاتها ليست في أي حاجة إلى قولة يقولها أحد من الفرنجة، والحق في دعوة الإسلام واضح وقائم بمقوماته وصفاته، وإن حاول الخصوم أن يوهنوا من عزيمة دعاته، وهيهات لهم أن يبلغوا الغاية في ذلك ﴿يُرِيْدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ﴾ (التوبة:٣٢). إننا لا ننكر الدور الحضاري للنسق الفكري الإسلامي وقيمته الاتصالية الكبرى التي ترتبط بقدرته على جعل التفاعل الاجتماعي السويّ يؤدي إلى التكامل الاجتماعي.

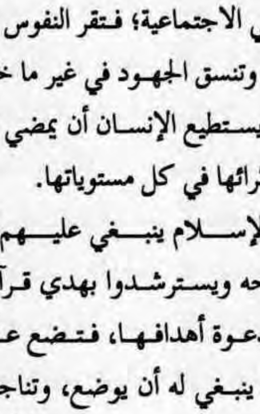
إن لديننا العظيم أصولا اعتقادية تقيم الإيمان على سواء الحجة في العقل والوجدان؛ وأحكام تشريعية تهيء السبل المثالية لاجتماع الإنسان على اختلاف المكان أو الزمان؛ وتتكامل هذه الأصول وتلك الأحكام لتناغم بين ما يعتمل داخل الإنسان في انفراده، وما تقتضيه الدواعي الاجتماعية؛ فتقر النفوس بلا قلق أو اغتراب؛ وتنسق الجهود في غير ما خلل أو اضطراب، ويستطيع الإنسان أن يمضي في بناء حضارته وإثرائها في كل مستوياتها.

إن دعاة الإسلام ينبغي عليهم أن يستلهموا روحه ويسترشدوا بهدي قرآنه، حتى تحقق الدعوة أهدافها، فتضع عقل الإنسان حيث ينبغي له أن يوضع، وتناجزه بالكلمة والمنطق، ثم هي بعد ذلك لاتُقيِّد حرية من شاء في أن يعتقد فيما يشاء، ثقة منها في غلبة المنطق السويّ إذا أتيح له أن يصل إلى أفهام الناس.

فما بالنا نتقاعس ونفسح المجال لغيرنا ممن ليست لاتجاهاتهم الفكرية (أيديولوجياتهم) مقومات عقيدتنا كي تعلو أصواتهم بالباطل اللجلج؛ وتركنا عقولنا وعقول شبابنا نهبا مشاعا تتناهشه مخالب سياسات الاتصال التي يرسمها أصحاب هذه المذاهب، وكيف ندع انتماءاتنا الثقافية أو الفكرية تتوزع هنا وهناك، والحق بيّن، ولا يتطلب سوى أن يتاح له الطرح الخالص النقي بعيدا عن المصلحة أو المنفعة الذاتية، واقترابا أكثر مما فيه صالح الإنسان عامة.

محمد محمود فايد
الجيزة ـ مصر

بل «صلى الله عليه وسلم»



في أثناء اطلاعي على العدد ٢١٢ بدت لي بعض الملاحظات، وهي كالتالي:

الأولى: الاكتفاء بحرف الصاد بدلاً من عبارة «صلى الله عليه وسلم» في مقال: «موقف عمر بن الخطاب من الشعر»، حيث ورد مانصه: «وهو في هذا يستهدي التوجيه النبوي الكريم في قول الرسول (ص): «إعطاء الشعراء من بر الوالدين» انتهى بنصه.

واستعمال (ص) بدلاً من «صلى الله عليه وسلم» خطأ، لا يصح من وجوه؛ هي كالآتي:

١ـ مخالفة ذلك لنص القرآن الكريم ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليمًا﴾ (الأحزاب:٥٦)، ونصوص أخرى من السنة النبوية المطهّرة.

٢ـ مخالفةُ ذلك لما أوجبته الشريعة من محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، والنصوص في ذلك كثيرة لايجهلها مسلم، وليس من توقيره أن نقول: محمد (ص) أو محمد (صلعم)، بل الصواب أن نقول: صلى الله عليه وسلم.

٣ـ مخالفة ذلك لما عليه السلف الصالح في هذا الصدد، فلم يُنقل أو يُؤثر عن أحدهم أنه قال: محمد (ص) أو محمد (صلعم)، بل جميع مؤلفات السلف ومصنفاتهم وأقوالهم مشفوعة بالصلاة الكاملة على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أذكر أني رأيت في كتاب من كتبهم (ص) أو (صلعم).

٤ـ ليس في هذا الاختصار المخل أية فائدة شرعية أو علمية، ولذلك لايجوز لانعدام الفائدة.

وأود من إخواني الكتّاب تدارك هذا الخطأ الشائع جدًا في كتابات بعض المُحْدثِين. ولعل هذا هو الذي حدا بي للحديث في ذلك، إلى جانب ما للنبي صلى الله عليه وسلم من حقوق عظام علينا نحن المسلمين.

الثانية: ورد في المقال السالف نسبة القول: «إعطاء الشعراء من بر الوالدين» إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم. ولقد أتعبت نفسي وجهدتها في سبيل الوقوف على هذا الحديث، فلم أجد له أثرًا فيما بين يديّ من كتب الحديث الصحيحة وكتب الحديث التي تختص بالموضوعات، وإن كان يغلب على ظني أنه ضعيف أو موضوع.

ولكن لو تفضل الأخ الكاتب بتخريج الأحاديث بعزْو الحديث إلى مُخَرِّجه لأراح نفسه بالتأكد من صحة الحديث أو عدمه، وأراحنا بالوقوف على صحة الحديث والتأكد من ذلك. وهذا أيضا مما يتساهل فيه كثير من الكتّاب، ولو رجعنا إلى مؤلفات علمائنا لوجدنا لهم اهتمامًا عظيمًا بذلك.

وهذا ما تقتضيه مكانة السنة النبوية المطهرة في نفوسنا وقلوبنا.

محمد نجيب لطفي
الفيوم ـ مصر

أين التقصير في تعليم العربية للناطقين بغيرها ؟



قرأت العدد ٢١٢ من مجلة «الفيصل» الغراء، وكان حافلاً بالمواد المثيرة، وأحسب أن اللقاء الذي أجراه الأخ علاء حسني المزين مع الدكتور ظهور أحمد أظهر رئيس قسم اللغة العربية بجامعة البنجاب يجب أن لا يمرّ دون تأمل، لأنه حوار ذو شجون، يعكس واقعًا مؤلمًا، يتمثل في تقاعس الناطقين بالعربية في مجال نشر لغتهم خارج الوطن العربي، وتركهم للباكستانيين بالذات يناضلون لوحدهم ومن دون تحقيق نتائج ملموسة من أجل نشر اللغة العربية في الباكستان. وأستطيع أن أقول: إن هذا الحوار حريّ بأن يكون الجرس الذي يدق في أذن كل غيور على لغة القرآن الكريم، وينبه كل عربي يجحد لغته إلى ضرورة إعلاء شأن هذه اللغة المباركة التي خصها الله سبحانه وتعالى بما لم يخص به غيرها.

يذكر الدكتور أظهر في هذا الحوار أن الرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق «أول حاكم مسلم في المنطقة يصدر أمرًا رسميًا، بجعل العربية لغة إجبارية من الصف السادس إلى الصف الثاني عشر». لنفرض أن الرئيس الراحل اختار الفرنسية لغة إجبارية بدلاً من العربية، ولنتصور ماذا سيفعل الفرنسيون عندئذ.

المهم في الأمر أن عربيًا واحدًا لم يتحرك لاستثمار هذه المبادرة التي لاتكاد تحلم بها أية لغة أخرى في العالم، وإن انتكاسة هذه المبادرة ـ وقد انتكست فعلاً ـ قد لاتسمح لها بفرصة ثانية، ولم تتقدم العربية عن الصف الثامن بسبب عدم وجود مدرس عربية مؤهل في تسعين بالمائة من مدارس البنين، وفي تسع وتسعين بالمائة من مدارس البنات. أين المنظمات العربية الرسمية وغير الرسمية التي تدعي أنها نذرت نفسها لخدمة لغة الضاد؟ وأية مهمة يمكن لهذه المنظمات أن تقوم بها أقدس من هذه المهمة؟

يقول المعنيون بتنفيذ هذه المبادرة ـ كما يذكر الدكتور أظهر ـ: «إنه من المستحيل أن نتقدم خطوة في هذا المجال، لأن العربية صعبة ثقيلة وليس لدينا الوسائل اللازمة».

لقد نجح الحاقدون على الإسلام والعربية من مستعمرين وصهاينة في نشر دعواهم: إن العربية صعبة ثقيلة، حتى بين مسلمي الباكستان الذين يتحرقون لاستيعاب ما يقرؤونه في كتاب الله، ولن نستغرب من ضخامة الدورالذي يقوم به هؤلاء الحاقدون لتشويه صورة اللغة العربية أمام غير العرب، وإظهارها بمظهر العقدة المستعصية التي يستحيل اقتحامها. إذا تذكرنا أن عام ١٩٨٧م مثلاً شهد مؤتمرًا بمشاركة ١٥٠ شخصية مسيحية بهدف تنصير المسلمين في العالم (ص ١٢٨ من العدد نفسه)، وأن عملية هدم الإسلام لابد أن تمر بعملية هدم اللغة العربية. أما دعوى صعوبة العربية مقارنة بغيرها من اللغات ففرية يعرف بطلانها الغربيون قبل العرب، إذ أثبتت اللسانيات المعاصرة أنه لا لغة في العالم أصعب من غيرها، وأن مدى سهولة اللغة الثانية أو صعوبتها تتناسب طرديًا مع مدى قربها من اللغة الأم أو بُعدها عنها. صحيح أن لغةً ما قد تكون أصعب من لغة أخرى في جانب معين أو جوانب معينة، لكن الحصيلة النهائية واحدة لجميع اللغات: أدوات التعريف والتنكير في الألمانية والفرنسية مثلاً أصعب منها في العربية والإنجليزية، وتصريف الأفعال - أي تغير صيغها حسب الزمن والفاعل - أصعب في العربية والفرنسية منها في الإنجليزية، والعبارة الفعلية (التي تتألف من فعل وأداة) أكثر تعقيدًا في الإنجليزية منها في العربية. ومهما تطول قائمة هذه الأمثلة لن نستخلص منها شيئا عن اللغات بشكل عام، إذ إن اللغة التي تصعب في زاوية معينة تسهل في زاوية أخرى. وتفسير ذلك أن اللغة - كما يعرّفها الأخ بدر نشأت في مقالته «اللغة وحياة الإنسان» في ص ١٤٦ من العدد نفسه - «من أهم مؤسسات كل أمة»، وهي في الواقع وسيلة للتعبير عما يدور في ذهن الإنسان من أفكار وعواطف. وبما أن الذهن البشري واحد أساسًا عند جميع الأمم فإن الجهد البشري للتعبير عن هذه الأفكار والمشاعر واحد ، أي أن الجهد اللغوي العام واحد مهما تباينت اللغات في جزئياتها، لأن كل اللغات تؤدي مهمة واحدة.

أما عدد المفردات في كل لغة فيتحدد باعتبارات حضارية لا علاقة لطبيعة اللغة بها، إذ يتناسب عدد كلمات اللغة طرديًا مع مدى ارتفاع المستوى الحضاري للناطقين بها.

والواقع إنه مهما عمل الحاقدون على تشويه اللغة العربية وتصويرها لغة صعبة ثقيلة أمام عشاقها من الناطقين بغيرها؛ فليس من الصحيح أن نلقي اللوم عليهم كليا. وليس من الصحيح أيضا أن نلقي بقية اللوم على الحكومات العربية التي لم تتحرك لاحتضان هذه المبادرة الباكستانية.

علينا نحن المتخصصين بتعليم العربية للناطقين بغيرها أن نعترف بأخطائنا ونتحمل مسؤولياتنا في عدم إيفاء لغتنا حقها. وما دمنا قد اتفقنا على أنه لا لغة في العالم أصعب أو أسهل من لغة أخرى، فما الذي يجعل الباكستانيين وغيرهم من المجتمعات الإسلامية يتعلمون الإنجليزية بسرعة وشغف، ويتكلمونها بطلاقة ويسر، في حين تبدو لهم العربية غولاً لايقهر؟ أين العيب: في اللغة أم في أهلها؟ الجواب بكل تأكيد أن العيب في طريقة تقديمها للناطقين بغيرها. يقول الدكتور أظهر عن المدارس الأهلية الدينية التي تتولى تدريس العربية في باكستان إضافة إلى المدارس الرسمية: إن «مناهجها قديمة وعقيمة، أعدت قبل ثلاثة قرون أو أكثر». إنها حالة مأساوية إذا تذكرنا أن مناهج تعليم اللغات الأوربية تقوَّم حسب حداثتها، وأن كتب تعليمها تكاد تتجدد سنويًا، ما بالنا نحن العرب؟ لماذا لانفعل شيئًا؟ لماذا نترك لغتنا تُدَرَّس في باكستان وغيرها من المجتمعات الإسلامية في آسيا وإفريقيا عبر مواد أعدت قبل ثلاثة قرون؟ أليست هذه مسؤوليتنا نحن العرب تجاه ضمائرنا وتجاه مشاعرنا القومية؟

العلة الأساسية إذن في طريقة تدريسنا للغة العربية للناطقين بغيرها. ولا أقول للأجانب؛ لأن بعض متعلميها عرب أصلاً كما هي الحال في شمال إفريقيا، ولأن آخرين - الباكستانيين وغيرهم - يعشقونها أكثر مما يعشقون لغاتهم الأصلية. مطلوب منا أن نطور طرائق تدريسها مُقتدين بطرائق تدريس الإنجليزية والفرنسية للأجانب، وأن نأخذ بعين الاعتبار وبشكل جدي الفرق بين تدريس اللغة العربية لغة أولى وتدريسها لغةً ثانيةً أو ثالثة. ومطلوب منا أن نحدد الهدف بوضوح عند تأليف أو إعداد أية مادة تعليمية للحالة الثانية. أقول هذا وأتذكر أن مدير برامج تعليم العربية في ماليزيا - الحاج رملي - قال في مؤتمر حضرناه عن هذا الموضوع في الرباط عام

١٩٨٠م إنهم يستخدمون للمبتدئين مقتطفات منتقاة من ألفية ابن مالك لعدم توافر نصوص أخرى أكثر ملاءمة منها! المطلوب في إعداد المادة التعليمية تحديد الهدف بدقة: هل التركيز على المحادثة أم الاستيعاب أم القراءة أم الكتابة؟ ومن خلال هذا التحديد يتحدد المسار بشكل علمي صحيح. مطلوب أيضا مراعاة الجانب النفسي للمتعلم. وإذا تذكرنا أن متوسط الأعمار لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها أعلى عادة من معدل الأعمار للعرب - وهذه مسألة تنتظم كل اللغات الأخرى - تَوَجَّب أن نراعي هذه الحقيقة وأن لا نقدم لهم ما نقدمه للمتعلم العربي الذي يكون عادة في مرحلة الطفولة.

العامل الحضاري مهم أيضا؛ على المؤلف أن يأخذ بنظر الاعتبار ما يتلقاه المتعلم في مواده الدراسية الأخرى من جغرافيا وتاريخ وسياسة وتقاليد، من أجل أن تلتحم مادة العربية بتلك المواد وتسير بشكل طبيعي معها.

أما العامل اللغوي فيتجلى في ضرورة مراعاة الفروق بين اللغة الهدف (العربية) ولغة الطالب الأصلية (الأوردية في هذه الحالة)، فنقلل من التمارين عند نقاط التماس - أي حالات التشابه بين اللغتين - وتكثر منها في حالات الاختلاف، وينطبق ذلك على جميع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية. بعبارة أخرى، فإن الجرعة التعليمية التي تعطى لناطق الأوردية قد لاتصلح - كما هي - لناطق الإسبانية مثلاً.

العامل الأخير عامل الموضوعية؛ من حقنا بل من واجبنا أن نضفي عبارات المديح والإطراء على لغتنا أمام المتعلم العربي بالشكل الذي يجعلها أجمل لغات العالم في عينيه، وهذا أمر مشروع. لكننا عندما ننتقل إلى المتعلم غير العربي سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، فمطلوب منا أن نزن كلماتنا، ولن ندعي للغتنا ما ليس بها لأنها أصلاً لا تحتاج إلى ذلك. يقول الأستاذ بدر نشأت «لغتنا العربية من أغنى لغات العالم». أتمنى أن تكون لغتنا أغنى لغات العالم، وقد كانت فعلاً كذلك أيام كان العرب سادة العالم علمًا وثقافة وحضارة، إذ كانت اللغة العربية تُصَدِّر من الكلمات أكثر مما كانت تستورد. أما الآن فالموقف مختلف، وبما أن العرب ليسوا حاليًا أمة قيادية في مجالات العلم والتكنولوجيا والثقافة، فلايمكن منطقيًا أن تكون لغتهم أغنى لغات العالم.

وهذه حقيقة يجب أن نقرّ بها أمام المتعلم غير العربي في الأقل، وأن لاندعي للعرب والعربية ما ليس لهما حاليًا.

أما أن نقول إن في العربية مئات المرادفات للجمل والسيف والصحراء فهذا صحيح، لكن العبرة في ما يجري الآن فعليًا على الألسن وليس في ما هو مدفون في متون الكتب.

والحقيقة التي يجب أن نقر بها أن الإنجليزية أغنى لغات العالم في مفرداتها الآن؛ لمجرد أن الناطقين بها في أعلى مستوى حضاري، الأمر الذي يجعل مفرداتها المستعملة فعليًا يربو على نصف المليون مفردة، وهذا رقم لاتدنو منه أية لغة أخرى. إن اعترافنا بهذه الحقيقة لن يمس العربية بشيء؛ لأنها أرفع من أن ندعي لها ما ليس بها، يكفيها أن تكون لغة القرآن الكريم، ويكفيها أنها كانت أغنى لغات العالم في الماضي، وأنها مُتهيئةٌ حاليًا لتلقف كل مايجدّ في مجالات العلوم المختلفة، ولن تقف عائقًا في أية نهضة يشهدها العرب في المستقبل.

هذه ملاحظات عابرة أطرحها أمام كل الغيارى على نشر العربية خارج الوطن العربي لغرض مناقشتها بالتفصيل على صفحات مجلة «الفيصل» الغراء، من أجل أن لا نلقي اللوم كله على الحكومات العربية التي لم تقدم الدعم المادي لمشروع نشر اللغة العربية في الباكستان، ومن أجل أن يتحمل مدرسو العربية لغير الناطقين بها دورهم في هذا التقصير، بهدف تكاتف الجهود لتلافي ما يمكن تلافيه في الباكستان، ولضمان عدم تكرار ما حدث، إن بادرت دولة إسلامية أخرى إلى تبني العربية أو إلى تعريب نفسها.

والله من وراء القصد.

مجيد الماشطة

مدير برنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها
مركز اللغات -
جامعة صنعاء - اليمن



الجزيرة تكفيك



المسائية

تثري مساءك

تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة »للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ ».. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

ردود خاصة

الأخ أحمد معتوق العيثان ـ الأحساء:

يسرنا تزويدك بأي معلومات تحتاج إليها، ولكن يصعب علينا إعطاؤك عناوين كتّاب المجلة دون تحديد منك لأسماء مَنْ تُريد مراسلتهم، لأن عددهم كبير.

الأخ مروان محمد سعيد باجمّال ـ مكة المكرمة:

أحلنا رسالتك إلى قسم الاشتراكات، وسيهتم بموضوعك.

الأخت ماجدة أبو شوشة رضوان ـ مركز الدلنجات ـ محافظة البحيرة ـ مصر:

لاتتوافر لدينا مع الأسف الأشرطةُ التي تسألين عنها، وسنحاول مساعدتك إذا ما تيسر لنا ذلك.

الأخ محمد فالح مبروك الجهني ـ المدينة المنورة:

أسعدنا اتجاهُك إلى متابعة المجلات الجادة المفيدة، كما أسعدنا اختيارُك «الفيصل» التي ترحب بك وبأمثالك صديقًا دائما. تساؤلاتك سيجيب عنها القسم المختص.

الأخ عبدالنبي عبدالله الطيب ـ بربر ـ السودان:

قسم خدمات المعلومات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض سيتولى الرد على رسالتك ياأخ عبد (رب) النبي، ونأمل أن يكون هذا هو اسمك الصحيح!

الأخ مرزوقي محمد ـ تاوريرت ـ المغرب:

نعتذر لعدم إمكان الإجابة عن الأسئلة التي بعثت بها إلينا، وهي أسئلة ثقافية عامة يمكن الحصول على إجاباتها من الموسوعة ودوائر المعارف.

الأخ عبدالله الردادي ـ المدينة المنورة:

ليست لدينا معلومات عن الكاتب الذي سألت عنه، ولا عن مؤلفاته، كما لايتوافر لدينا عنوان مجلة «المشكاة»، فمعذرة.

الأخ أحمد محمد عمار مرزوقي ـ قفصة ـ تونس:

ملحوظاتك بشأن التوزيع في بعض مناطق تونس نشكرك عليها، وقد أحلناها إلى قسم التوزيع للأخذ بها في الاعتبار. ونشكرك على ماكتبته إلينا حول شعرالندب.

الأخ ياسين مهنة ـ باتنة ـ الجزائر:

حبذا لو حددت المجلات أو المراكز الاقتصادية التي تستفسر عنها حتى يمكننا مساعدتك.

الأخ أحمد موفّقي ـ الجلفة ـ الجزائر:

ما ذكرته في رسالتك صحيح، وهو أننا لانعيد نشر ما سبق نشره من موضوعات، مع ترحيبنا بأي إنتاج أدبي جديد لك.

الأخت نسرين ثابت نصر قائد ـ أبين ـ اليمن:

سرتنا رسالتك وما تحمله من تطلعات أدبية، ونحن في «الفيصل» نرحب بالمواهب الأدبية الناشئة، ونشجعها، وما لديك من كتابات ومقالات يمكنك إرسالها إلى باب «تباشير».

الأخ أحيا محمد ـ أغادير ـ المغرب:

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

رسالتك حولناها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وسيتولى قسم خدمات المعلومات فيه الرد عليها إن شاء الله.

الأخت زينب يحيى نعمان - صنعاء - اليمن:

شكرا جزيلا على ملحوظاتك وتصويباتك على بعض ما نشر في العدد ٢٠٢، والعدد الذي طلبته في طريقه إليك.

الأخ محمد الصالح الساحلي - سوسة - تونس:

دار الفيصل الثقافية لم تنشر من قبل شيئا عن تعقيم المخطوطات والفنيات المستعملة في صيانتها، وما نشر حول ذلك في مجلة «الفيصل» كان تعريفا بقسم ترميم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، يمكنك مراسلتهم - إن أردت.

الأخت غ. بنموس - السمارة - المغرب:

شكرا على البطاقة البريدية والتحية اللطيفة التي بعثت بها إلى المجلة، ونأمل أن تكون المراسلة في المرات القادمة بالاسم الصريح تعزيزاً للثقة المتبادلة بين المجلة وقرائها.

الأخ شيخموس حسن حسن - القاشملي - سورية:

تحيتك إلى الزميل رئيس التحرير وصلت، وهو يشكرك عليها، ونحن بدورنا - من خلال هذه السطور - ننقل تحياتك إلى كتّاب المجلة الأفاضل الدكتور محمود جبر الربداوي والأستاذ زهدي الفاتح والدكتورة تماضر حسون، وإعجابك بهم، علما بأن رسالتك الأولى لم تصلنا.

الأخ عز الدين بورفعة - أدرار - الجزائر:

نعتب عليك كثيرا ياأخ عز الدين، لكونك عربيا من بلد نعتز بإسلامه وعروبته، وتراسل مجلة عربية تعتز بأصالتها، باللغة الإنجليزية! فما الداعي؟ نأمل أن نقرأ منك باللغة العربية في المرات القادمة.

الأخ إبراهيم محسن عبدالله مهيوب - صنعاء - اليمن:

ملحوظتك بشأن توزيع المجلة في اليمن نقلناها إلى القسم المختص، وليس لدينا كتب حول علم الفلك، ويمكنك الحصول عليها من المكتبات التجارية الكبرى في بلدك.

الإخوة والأخوات: نادية أولاد حمو وأنجاء علي - تطوان - المغرب، سميرة بلعمري - سطيف، طوبال سليم - قسنطينة، حسونة عبدالحليم - بسكرة - الجزائر:

الملحق التعليمي في السفارة السعودية في بلدكم بإمكانه الإجابة عن تساؤلاتكم، وتزويدكم بالمعلومات التي تحتاجون إليها.

الإخوة والأخوات: معتز محمد يوسف - صنعاء - اليمن، فرفاري فائزة - بئر خادم - الجزائر، ياسر محمد حسن سعد - القاهرة - مصر:

يؤسفنا عدم إمكان التجاوب مع طلباتكم لما تحمله من طابع شخصي، مع دعواتنا للجميع بالتوفيق.

الأخ معز عطي - القيروان - تونس:

الأعداد التي طلبتها سيردُّ عليك قسم التوزيع حول إمكان تزويدك بها حسب ما هو متوافر لدينا منها.

الأخ نبيل عبدالحميد عيسوي - المنوفية - مصر:

لايتوافر لدينا عنوان مطابع البيان التجارية في دُبي.

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:

السعودية ٨ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات ٧دراهم - قطر ٧ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - عُمان ٧٥٠بيسة - الأردن ٥٠٠فلس - اليمن ٢٥ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦دراهم - تونس ٦٠٠مليم - الجزائر ١٠دنانير - العراق ٤٠٠فلس - سورية ٢٠ليرة - ليبيا ٨٠٠درهم - موريتانيا ١٠٠أوقية - الصومال ٢٠٠٠شلن - جيبوتي ١٥٠فرنكا - لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على موعد

الخصوصيات الحضارية وعملية التنمية



إبراهيم نويري

هناك تيار عريض من الناس في أمتنا - بما فيهم الكثير من المثقفين - يقع في الخطأ، ويغلب عليه الوهم والخلط في التقدير، حين يعتقد بأن المستوى المعيشي والحضاري الذي عليه شعب ما أو حضارة معيّنة، هو نتاج مرحلة واحدة من تاريخ ذاك الشعب أو تلك الحضارة!.

كما يزعم آخرون أيضًا - بما يظنونه الحقيقة الكبرى - بكون السبيل الصحيح لاستنهاض المجتمع وتطويره نحو الأفضل، إنما يبدأ بتكريس قاعدة «التقليد» والإيمان المطلق بقيم ومفاهيم المجتمعات التي نجحت في الوصول بإنسانها إلى بعض المراتب والدرجات اللائقة بآدميته، وحققت له من الرفاهية ورغد العيش مايتطلع إليه كلُّ إنسان على ظهر هذه الأرض!!.

والواقع - كما تصرح به التجربة والملاحظة - أن هذه التصورات بعيدة تماماً عن الصواب، فضلاً عن أنها مجانفة أيضًا للمنطق الطبيعي في التطور والتغيير.

فليس هناك تحوُّلٌ حضاريٌ وعقلي شمولي قاد مجتمعًا ما إلى النجاح والتألق، كان مؤسسًا على ركائز من التلفيق، والخلط العشوائي بين الأصيل والغريب، وعدم الخضوع إلى قوانين ومعادلات التفاعل بمحدِّداته وضوابطه.

وإذا كانت الإنجازات الحضارية الكبرى محكومة بمعايير موضوعية خاصة، فإن الانطلاق من الذات يشكّل دائمًا القوة الحقيقة الضاغطة باتجاه أي تقدم أو تطور يعكس السِّمات المميِّزة لتلك الذات وخصوصياتها.

لقد ترسخت هذه النظرة، وتحوّلت إلى مبادئ، أو إلى قيم فلسفية، اعتمدها زعماء ومفكرو المرحلة التي اصطُلح على تسميتها بمرحلة النهضة في أوروبا؛ وبدهيٌّ أن الفكرة - مهما كانت درجة صحتها - لن يُكتب لها النجاح إلا إذا أُحيطت بشروط نجاحها وعوامله، تمامًا مثل البذرة التي لاتنمو إلا في مناخها ومحيطها الطبيعي.

لذلك فقد كان عملُ زعماء النهضة في أوروبا، في البداية منصبًا حول خلق الجو العام الملائم لتلك المبادئ والأفكار التي آمنوا بها، والتزموها تطبيقًا وتنظيرًا في منهجهم، وفي مقدمتها الانطلاق من الذات والانسجام مع الخصوصيات.

فتراكم التجارب مع تحديد قاعدة الانطلاق، والإصرار المتواصل بوعي على تزكية ودعم الثقة بتلك القاعدة، إلى جانب غربلة التجارب المتنوعة وحسن الاستفادة من إبداعات الآخرين وانقداحات عقولهم، هو الطريق الراشد لتحقيق الوثبة الحضارية بواسطة الاستناد إلى تغيير اجتماعي وثقافي مؤسس على أُطُر وروافد وأدوات أصيلة نابعة من عمق وخصوصيات الكيان الحضاري والتوجه الفكري القائم بكل مضامينه وبصماته النفسية والعقلية والمزاجية.

والنخبة المثقفة اليوم في العالم العربي والإسلامي، مطالبة بإلحاح، وأكثر من أي وقت مضى، بأن تستوعب هذه الحقيقة الكبيرة، وتعمل من أجل تجاوز العقبات المختلفة، التي تحول دون بروز أمتنا ومجتمعاتنا على المسرح العالمي؛ وليس مهمًا - في نظري - بخصوص هذه المسألة بالذات، الاحتجاج باختلاف الاتجاهات والمشارب الفكرية والمنازع العقدية (الايديولوجية).. فالتخلف مرض ونكبة، فهو حين يصيب المجتمع - أي مجتمع - فإنه لايفرّق بين اتجاهاته وتياراته الفكرية.

إن القوى الاستعمارية المعادية لمصالح العالم العربي والإسلامي وتوجهاته، تدرك أتم الإدراك أثر الجهود التنموية القائمة على أساس من الخصوصية الفكرية والثقافية، وأبعاد استقلال الفعل الحضاري.. من أجل ذلك فإن جميع الحلول والبرامج تُوضع - مدعومة في أحيان كثيرة بحوافر مشجِّعة - في متناول أمتنا ومجتمعاتنا؛ بينما تُوضع العراقيل والحواجز في وجه الحلول والبرامج الأصيلة النابعة من ذات الأمة، المتّسقة مع شخصيتها بكل مكوِّناتها وخصوصياتها وأنساقها العقدية والروحية والثقافية.

إن تلك القوى الراصدة لحركة مجتمعاتنا وتطلعاتها المشروعة للتنمية والنهوض والتقدم، تنشط بدأب وتخطيط وإعداد، كي لاتأخذ أُمتنا الوجهة الصحيحة لانطلاقاتها الفعلية المأمولة.. ولضمان تحقيق الانحراف عن هذه الوجهة، فإن تلك القوى عملت وتعمل بشتى الوسائل والأساليب على غزو العقول والتبديل الفكري والثقافي، بهدف تأييد التبعية لدى إنساننا ومجتمعاتنا، ومن ثم تأخير أو إقصاء أي محاولة صحيحة للنهوض والتنمية.

وفي انتظار حسم هذه المعادلة المتداخلة، يظل السؤال مطروحًا على نخبتنا الثقافية والفكرية.. كيف السبيل للخروج من هذه المفازة، وتأكيد الانعتاق بالصورة والكيفية المتناغمة مع توجُّهاتنا وموروثاتنا الحضارية؟!.